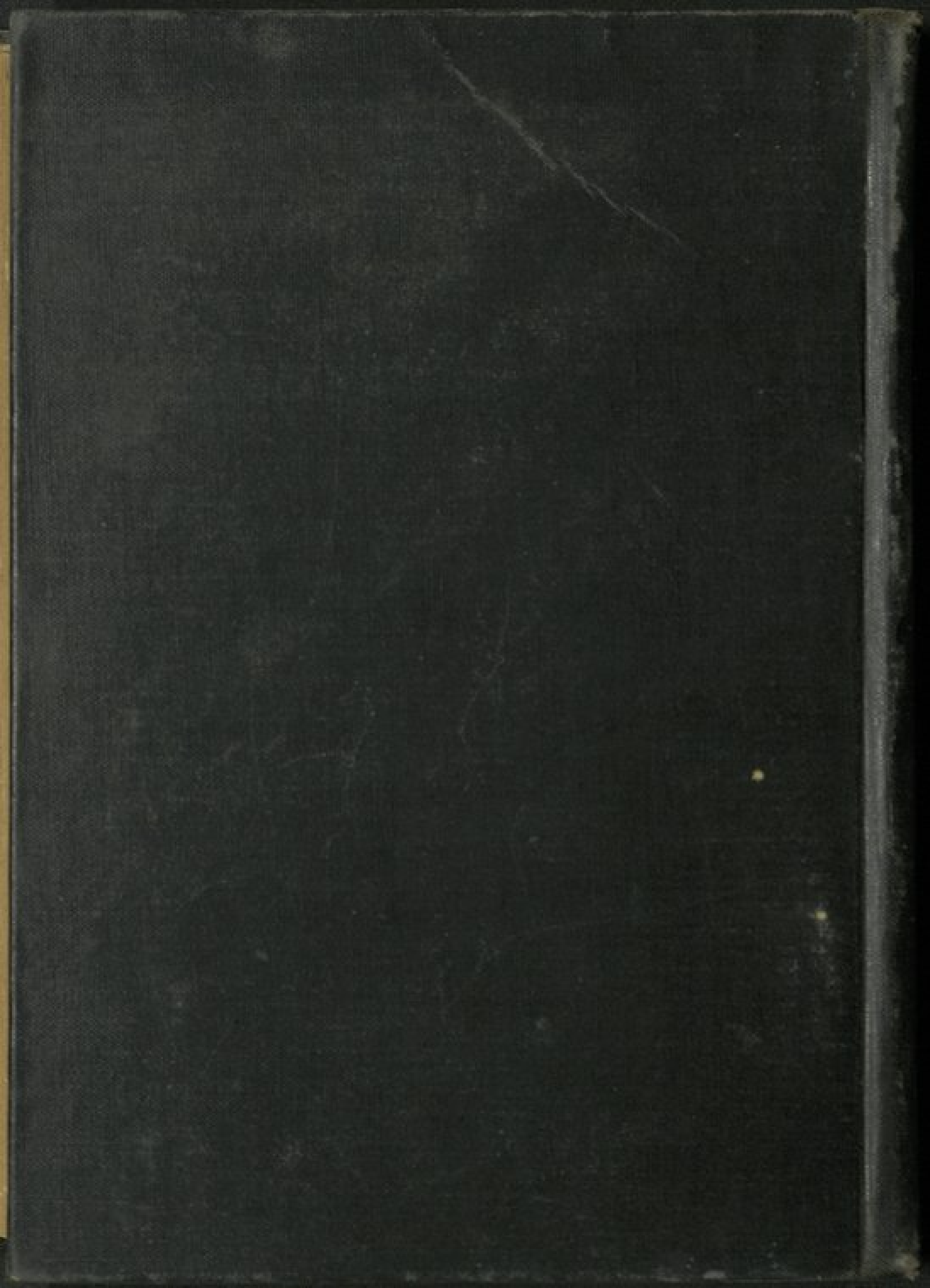
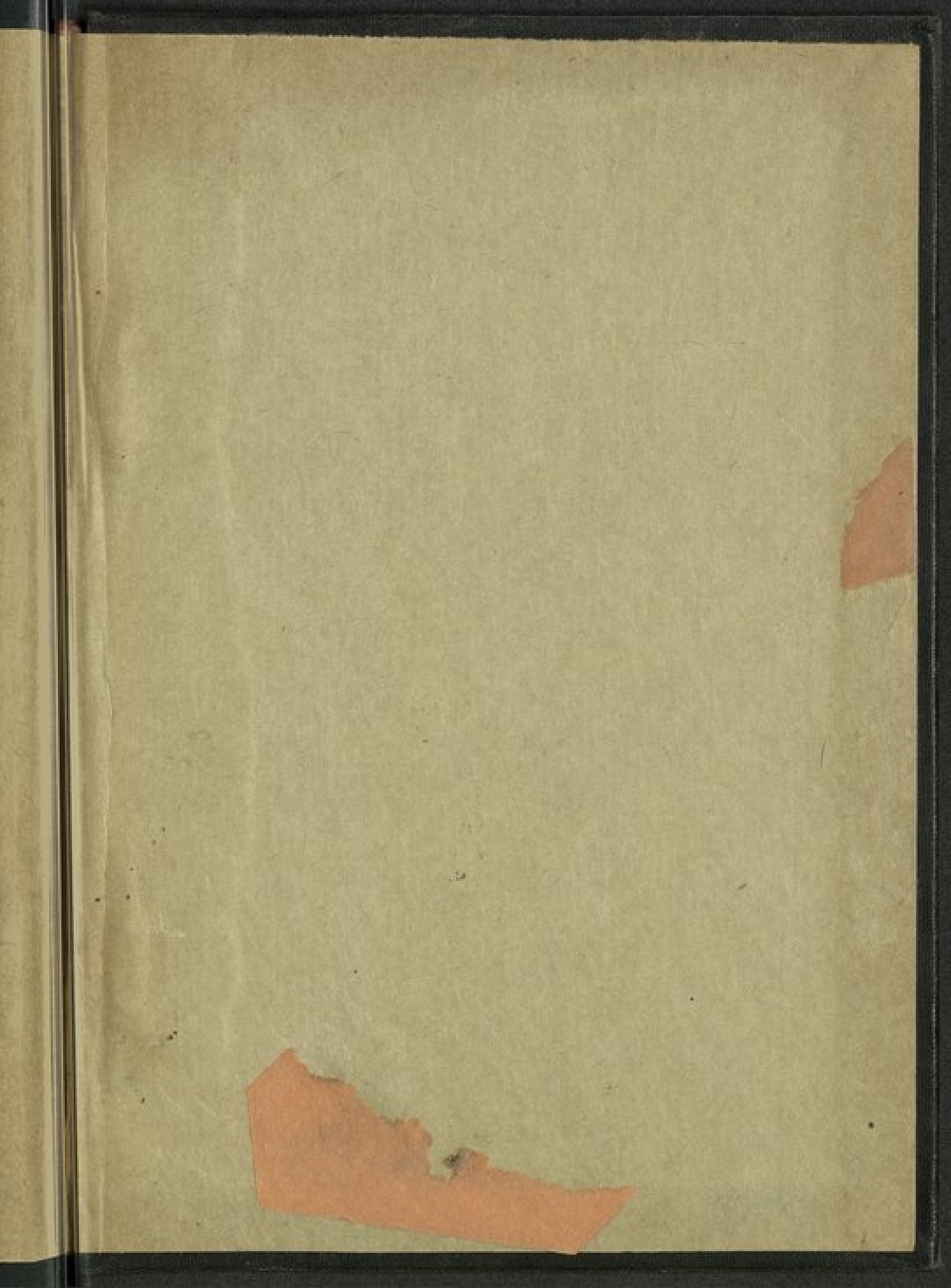
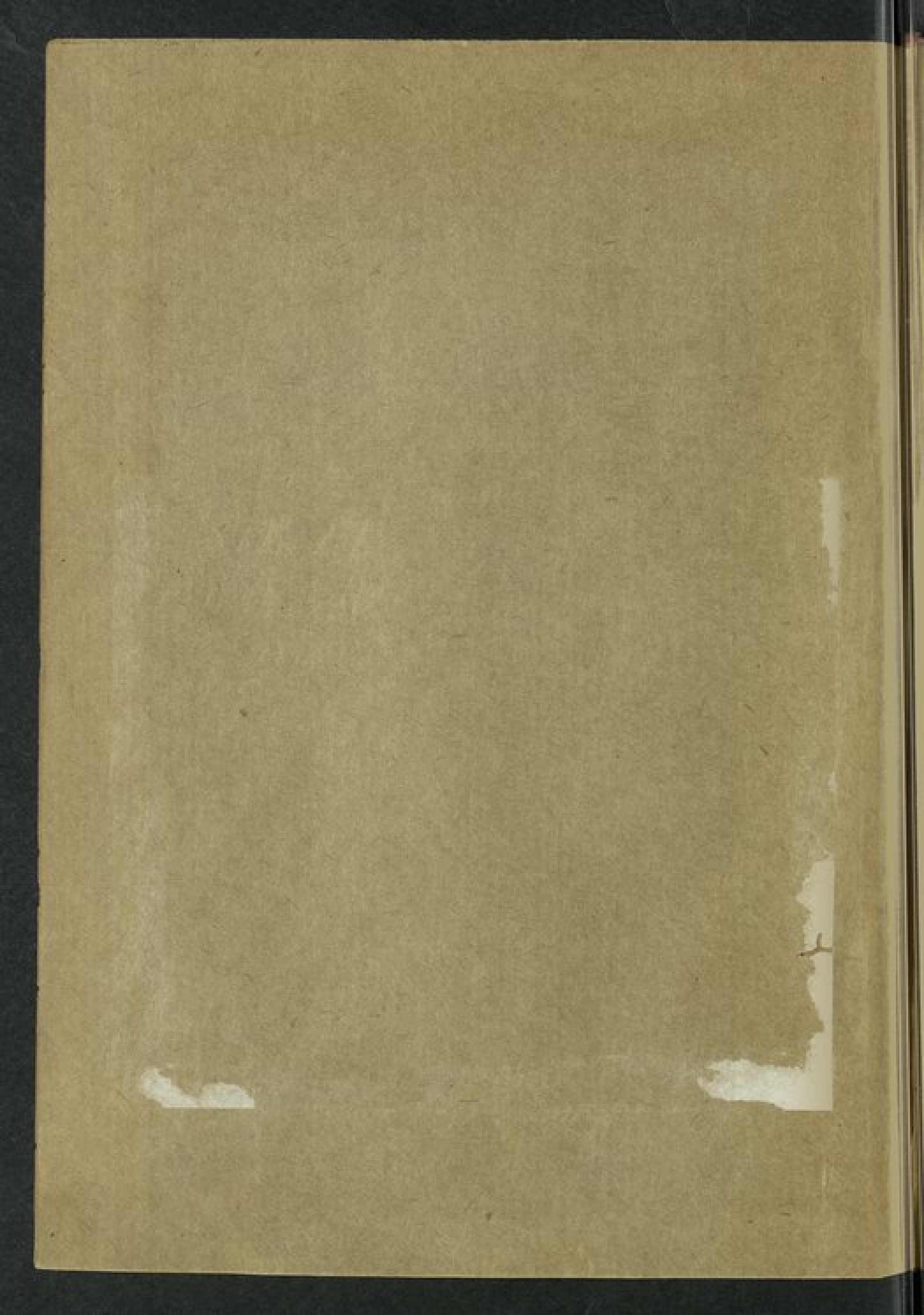
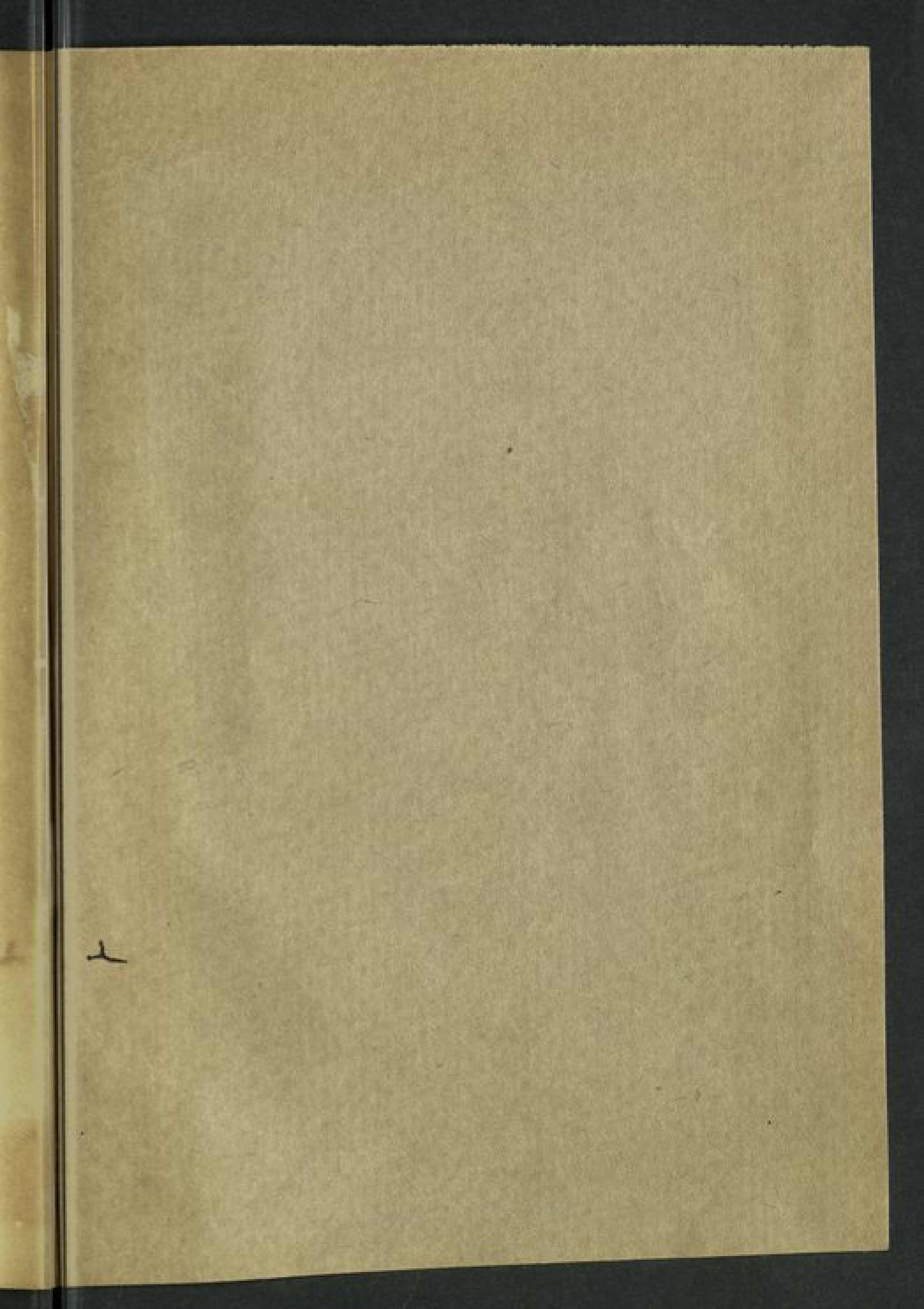








الى الصديق المحترم
صاحب [illegible]
من اخيه المخلص
[illegible] ١٩٢١



صاحب الجلالة ملك العراق المفدى فيصل
الثاني شبل الغازي بن فيصل بن الحسين



صاحب السمو الوصي على عرش العراق
وولي عهده الامير عبد الآله بن علي بن الحسين



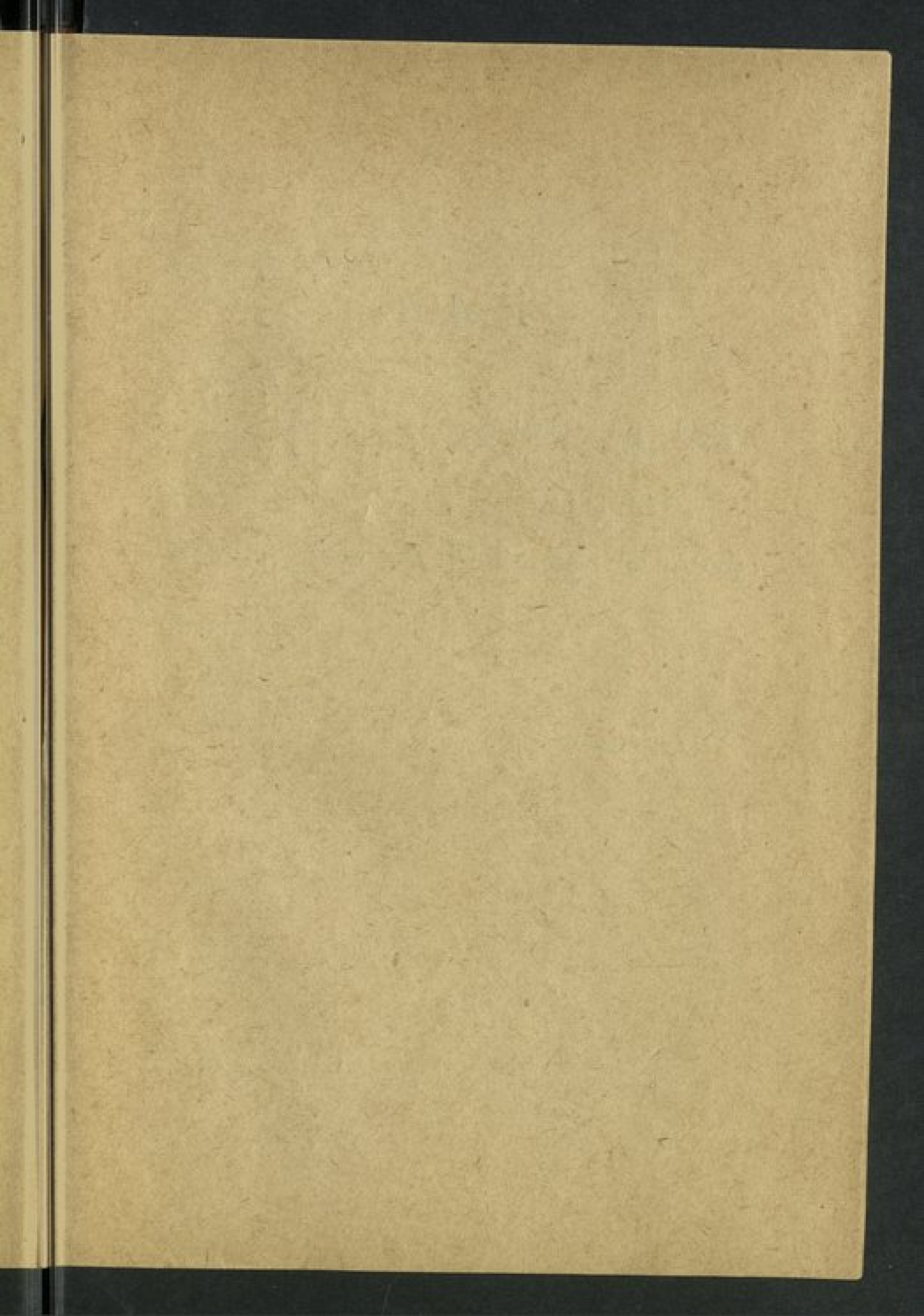


١١

وحي الرافدين

الجزء الثاني

الحوماني



المثل الاعلى

الى صاحب السمو حامي التاج الهاشمي
وولي عهد المملكة العراقية الوصي على
العرش سمو الامير عبد الآله المعظم .

الوحدة الاولى

في حكم الطبيعة ان الشيء اذا تعدد تضافرت اجزاؤه واجتمعت حول قطب واحد منها تعتصم به وتفزع اليه كلما هددها الانحلال ، وانما تجتمع حول هذا القطب وتعتصم به ثم تفزع اليه لتدل على اصلها الواحد ، فاولية التوحيد تتحرك في الافراد فتدفع بها الى التضامن والتكاتف حتى يكون المجموع مثالا للفرد ، ولن يتوفر تضامن الجماعات الا بفضل الجزء الاقوى منها وهو الذي ترجع اليه بدافع الطبع .

ان في كل مجموعة من الخلق اشارة الى وحدانية الاصل الذي انبثقت منه وصدرت عنه ، فخذ مجموعة اعضاء الجسم ، يكاد ينفرد كل عضو منها بعمله الموكول اليه ولكنها بجموعها تتوجه في كل ما تقوم به من عمل الى شيء واحد هو الرأس ، ويطلق عليها اسم واحد هو الانسان .

وهذه الاسرة ، يكاد يختص كل فرد منها بعمله الخاص ولكنها ترجع في اعمالها الى عميد واحد هو الاب ويطلق عليها اسم واحد هو الاسرة ، وهكذا القول في القبيلة التي هي مجموعة اسر متعددة ، والشعب الذي هو

مجموعة قبائل والامة التي هي مجموعة شعوب والعـالم الذي هو مجموعة امم والكون الذي هو مجموعة عوالم .

فالله مجموعة اكوان ، والكون مجموعة عوالم ، والعالم مجموعـة امم ، والامة مجموعة شعوب ، والشعب مجموعة قبائل ، والقبيلة مجموعـة اسر ، والاسرة مجموعة افراد ، والفرد مجموعة اعضاء ، والعضو مجموعة خـلايا ، والخلية مجموعة ذرات ، والذرة واحدة لا تتجزأ . فاول شيء ينتهي في آخر شيء ، ولعل الآخر هو عين الاول ، واحد لا يتجزأ اصـلا وانما يتشكل ويتلون في حيز ذاته .

فالوحدانية متغلغلة في كل شيء ، يشـير اليها تضامن الاجزاء في حيز الكل واندراج الجزئيات تحت مفهومها الكلي ودوران الاجرام حول قطبها الثابت ، ففي الكل معنى شـامل للاجزاء التي يتكون منها ، وفي الكلي معنى شامل للجزئيات التي تندرج تحته ، وفي القطب معنى شامل للاجرام التي تدور حوله .

ألا ترى في كلٍ من زيد وبكر وخالد ، معنى ينتظم كلا منهم ويشير الى وحدانية الاصل الذي كانوا منه والاول الذي صدروا عنه ؟؟ أوليس في كل ذلك برهان على ان الواحد مهما تجزأ يبقى متميزاً في كنـه افراده ؟؟ أوليس رجوع الفرد بتضامنه الى التوحيد دليلا على تأصل الوحدانية في ذاته فهو يفزع اليها كلما هدده الانحلال والتلاشي ؟؟؟

ففي طبيعة الانسان ضرورة التوحيد ، والتوحيد انما هو اتجاه المجموع نحو المثل الاعلى من افراده التي ينتظمها معنى شامل يتغلغل في كيان كل منها ،

فتمايز بالشكل ، وتتحد معه في الاصل .

فليس في تضامن الافراد واتجاهها نحو مثل أعلى منها ، واندراج الاجزاء تحت مفهوم الكل ، وصدق الكلي على كل جزئي من افراده، ليس في ذلك خلاف بين الحكماء. ولا يرتابون في ان ذلك خلق طبيعي في الاشياء جامدة ومتحركة ، ولكن الخلاف واقع في المثل الاعلى الذي يتجه اليه المجموع وكيف يجب ان يكون !؟؟

ان غريزة التوحيد ثابتة في كل كائن وعليها قامت نظم العوالم ، فاعضاء الجسم الواحد تتشوف دائماً الى الرأس ، واعضاء الاسرة الواحدة تعول على الاب ، وافراد القبيلة تخضع للرئيس ، وهكذا نجد جماعات النحل والنمل ، وجماعات النبات من نجم وذي ساق تلتف حول واحد وهبته الطبيعة ميزة الهيمنة على افراد نوعه ، وحتى الجماد نجد ذراته المتماسكة تدور على نظام خاص حول قطب يجذبها اليه كالشمس التي تجذب الاجرام فتتماسك بها ويحدث منها في اللانهاية كون او في الكون عوالم او في العالم امم ...

والى هذه الغريزة في الكائنات ينظر المصلح دينياً كان او مدنياً فكلاهما يدعو الى مثل أعلى هو الله عند الاول والنظام عند الاخير ، ليعزا بهذه الدعوة ما يستهدفان من سلام تتحد به الكائنات فتدل بعظمة اتحادها على عظمة الواحد الذي ابدعها ؛ فيكون للداعين في كل نفس عضد يساعده على تأييد ما يدعو اليه ويحمل قومه عليه منذ الازل .

فالاديان كلها ترمي الى غرض واحد فيما تدعو اليه في سبيل التضامن والتكاتف والتظافر بغية السلام في العالم ، وذلك الواحد هو الله ، والقوانين

كلها تستهدف غرضاً واحداً فيما تدعو اليه بين يدي تضامن الامة واتحادها ، وذلك الغرض هو الرئيس الاول الذي تشخص اليه الابصار وتهوي اليه القلوب .

ففي هذا كله ما يقرر في النفوس ان الوحدانية اصل ، وان التوحيد كائن والاعتقاد به يجب ان يكون ، وان وحدة الوجود التي قام بالتدليل عليها عالم التصوف منذ القدم يشير الى ان الوحدة في الخالق هي سر الوحدة في المخلوق ، وان كلا الوحدتين متلازمتان وان احداهما متممة للاخرى .

ليس في هذا كله ما يوجب الشك ، فقد استطيع ان اثبت للسامع ان الوحدانية سلسلة مفرغة الحلق تصل الكائن الاول بالكائن الاخير ، وتربط الاسفل بالاعلى ، وتشير من القمة الى الحضيض ، وحلقات هذه السلسلة هي تظافر جماعات الاجرام والاكوان حقيرة وجليلة ، على تعلق الضعيف بالقوي والاسفل بالاعلى والصغير بالكبير تعلقاً وحدانياً يحيل الاول في الاخير وينتظم المجموع نظام شامل يشير الى واحد اول ينتظم الآحاد ويحيل في نظامه الازلي انظمة الكون .

استطيع ان اثبت هذا كله دونما عناء يشق علي ان امضي في سبيل تحقيقه حتى النهاية اذ هو ثابت مقرر في النفوس منذ انبثقت هذه الجزئيات عن كليها الشامل .

فانا ، احقر الكائنات مثلا ، اجد في نفسي مقرراً منذ الازل ان اعتمد على من هو فوقي ممن وهبتهم الطبيعة فوق ما تهبني ، وهذا الذي هو فوقي يعتمد على من هو فوقه ، وهكذا يستمر هذا الشخوص في الكائنات من

اسفل الى سافل ثم من سافل الى عال ثم من عال الى اعلى حتى ينتهي الشخوص الى القوة العليا التي تجمع الكون بما فيه من اجرام وعوالم على الشخوص اليها .

فالتوحيد غريزة كامنة في النفوس و كائنة معها لا تحتاج الى برهان يقوم حجة على منكرها، والنظام الشمسي الذي اثبته العلم على الشكل الذي نفهم وانه تجاذب اجرام متماسكة حول قطب يمسكها وتدور حوله ، هذا النظام يثبته العلم في كل جرم مهما صغر حتى الحجر وحتى النواة التي ينبثق منها الشجر ، فالتقط حصاة من الارض وحلل تماسكها ثم أمعن في ادراك الكنه الذي من اجله صلبت وتماسكت تجده قوة تصدر عن قوة مصدرها التجاذب المبني على نظام كنظامنا الشمسي الراهن .

تداخل الانظمة الكونية

والنظام انما هو توجيه في الجزئيات الى كلي شامل ندعوه ظاهراً بالمثل الاعلى وهو في الحقيقة سر القوى الالهية التي لا نزال نحوم حولها كالفراش الحائم حول اللهب يلقي نفسه عليه ليستحيل فيه ، فاذا اختل النظام تلاشى كونه فاستحال في نظام اوسع وقد يعود الى سيرته الاولى تنتظمه جاذبية صغرى يستقل بها عن ذلك النظام الواسع .

اريد ان اشير في هذا الى ان الانظمة تتداخل كالكليات بعضها في حيز البعض الآخر ، فالانسان الذي هو كلي ينتظم افراده ، داخل في حيز الحيوان الذي هو كلي اعم واشمل ، والحيوان داخل في حيز الجرم الذي هو

كلي أعم منه فاذا اختل نظام الحياة في الاصغر تلقفه الاكبر فاستحال فيه حتى تهيء له الطبيعة قوة على البعث يستقل معها فيعود القهقرى الى نظامه الخاص ضرورة ان النظام العام لا يستقيم الا بانظمته الخاصة ؛ ولهذا كان النمو طبيعياً في انظمة الحياة خشية ان يستمر الانحلال في الانظمة الجزئية صاعداً الى كليها الاعلى فيختل النظام الكوني الشامل المهيمن على الخلق .

ولهذا ترانا مهيبين بالانسان الى ان يعزز انسانيته التي يسمو بها فاذا انحط اشرنا الى تلاشي الانسانية فيه فاطلقنا عليه لقب الحيوان الذي هو كلي للانسان ثم اذا تناهى في الانحطاط اشرنا الى تلاشي الحيوانية فيه فاطلقنا عليه لقب الجماد الذي هو كلي ابعد في الوجود من كلي الحيوان الذي يؤول اليه بعد تلاشي النظام الحيوي فيه .

هكذا تتداخل انظمة الكون يهيمن الاعلى منها على الاسفل بشكل يحفظه فاذا اختل احاله في ذاته يربيه وينميه ثم يعيده الى سيرته كما يعالج الانسان الذي هو نظام شامل ، ما اختل في ذاته من الانظمة الصغرى لتعود الى سيرتها فيستقيم بها نظاما شاملا فاذا اختلت جميعها كان هو عرضة للانحلال والتلاشي في نظام يشتمل عليه وعلى غيره من افراد نوعه .

وكما تأخذ الفاكهة ذات الاكوان فتجدها طبقات يشتمل الاكبر منها على الاصغر وتجد في الاكبر الذي هو قشر للاصغر ، قوة ومناعة في الحياة لا يحرزها الاصغر ، وبهذه القوة يربى الكون الذي يشتمل عليه حتى اذا تلاشى احاله فيه واستمر هو يكافح في سبيل بقائه ، هكذا نجد الانظمة في الكون طبقات يشتمل الاكبر منها على الاصغر فيحتضنه ويربيه ويحافظ

عليه حتى اذا تلاشى احاله فيه وراح يعمل على بعثه في حيزه خلقاً جديداً يستقيم به .

اما السر الذي ينطوي عليه هذا النظام ويتقوم به فقد ندركه من ادراكنا خصائص اللب ونحن نكشف عنه القشر ، فكلما انحدرنا الى الصغير تذوقناه حتى يتناهى في الصغر نجده اذ ذاك كما نجده ونحن نصعد في طبقاته الى القشر الاعم ، ذلك لان نظامنا يحركنا لان نتذوق الحياة في الانظمة التي تساير نظامنا في حيز النظام العام الذي يشتمل علينا ويتألف منا ولعل النظام الذي يشتمل عليه نظامنا يتذوق النظام الذي ننحدر اليه في الاشياء فلا نتذوقه كما ان النظام الذي يشتمل علينا يتذوق ما لانتذوقه من الانظمة التي نصعد اليها بغية التحليل فنخفق في تعليلها وتحليلها .

ذلك لان السر الذي كان له الكائن يظهر لك عند التحليل كلما لاءم نظامه النظام الذي تتقوم انت به فاذا فاتك تحليله او الشعور به ، كان ملائماً للنظام الذي يتقوم بك او يتقوم به النظام الذي هو في حيزك والذي تتقوم انت به ، فيفوتك تعليل كنه النظام اذا تناهى في الانحدار كما يفوتك تعليل كنهه اذا تناهى في السمو ، ذلك لان هذا يبعد عنك صاعدا وذلك يبعد عنك نازلا ، لا لان ذلك اكبر وهذا اصغر .

وابعد من ذلك في هذا الاستطراد نقول : ان كل نظام في الكائنات مهما حقرت او جلت ، انما نشعر به على قدر قربنا منه واشرافنا عليه ولن ندنو منه حتى يكون من عالمه في الدرجة التي نكون فيها من عالمنا ، فاذا خالف نظامه نظامنا في السير تحت نظام الكون العام الذي يشمل انظمتنا

شق علينا اذ ذاك فهمه او التحسس منه .

قد نحسب انا نصل الى كنه هـذه الانظمة بالتصغير اذ نرى ميزة كل كائن تتضاعف بالضغط وتتضاءل بالتمديد ولو رجعنا الى الامعان في التحليل لعلمنا ان لنا في فقه الحقائق واكتناه الاشياء ميزانا يقف عنـده طبعنا فان حاولنا اجتيازه شق علينا الفصل فيما نحكم وعدنا الى الحدس والخيال .

ذلك ان لكل عـالم انظمة تختلف ، سلبا وايجاباً ، باختلاف الانواع والاجناس التي يتألف منها ، وكل نظام يشكل سلسلة مفرغة الحلق ، وكل حلقة في نظام تقابلهـا حلقة في نظام آخر ، ولكلتا الحلقتين المتقابلتين افق يجمع بينهما في عالمها الواحد ضرورة اتصالها عن طريق هـذا الافق بوحدة الوجود .

فاستقامة الكون باستقامة انظمة العوالم القائمة في كيانه ، واستقامة العالم باستقامة الاجناس والانواع المنبثة فيه ، واستقامة كل نوع او جنس باستمرار انظمته الشخصية التي يتألف منها قائمة وفق نظامها الكلي الذي يهيمن عليها في قلب الوجود .

فالكلي الاول في الكون مأخوذ في مفهومه الكلي الاخـير ، فلكل نوع جنس يشتمل عليه صاعدا حتى النهاية التي يقف عندهـا فكرنا المحدود ولكل جنس نوع يتقوم به نازلا حتى النهاية التي يقصر عن ادراكها هـذا الفكر الجبار ، ولكل عالم من هذه الاجناس وتلـك الانواع انظمة تتقوم بها وتقوم عليها ، ولكل نظام وجهة يشخص اليها ويتعلق بها ، وتلك الوجهة هي السر الذي كان له هذا النظام ، وهـذا السر هو القوة التي تنتظم حلق

تلك السلاسل التي يتألف منها الكون .

فكل سلسلة مهما صغرت ، تتصل حلقاتها بجامع كونها الشامل ويهيمن عليها كلي عام تندرج تحته ، وهذا الكلي يصلها بسلسلة اخرى يهيمن عليها كلي آخر يتصل مع ذلك الكلي في سلسلة اعم تنتظم كليات اخرى يهيمن عليهـا كلي آخر ، وهكذا دواليك حتى يقف الفكر ويخمد النور الذي يمده في عالم التواليد .

اريد ان اصل من هذا البحث الى الوحدة التي تجمع الخلق وتؤلف منها السلاسل التي يتألف منها الكون ، والى الوحدة التي تصل بـين السلاسل المتضامنة تحت كيان واحد ، ثم الى الوحدة الغامضة التي تصل كل حلقة من كل سلسلة تحت كل كيان ، باية حلقة اخرى من اية سلسلة يهيمن عليها كيان آخر ، وبالنهاية ان اصل الى الوحدة التي تصل كل حلقة مهما سفلت من سلسلة صغرى او كبرى ، بالحلقـة التي تحل محلها من السلسلة التي تتحد معها في الافق .

فهنالك وحدة تجمع بين يدي ؛ ووحدة تجمع بين اصابع كل يـد ثم هنالك وحدة اخرى تجمع بين اصابع اليدين عامة ووحدة ابعد ادراكا ، تجمع بين كل اصبع من كل يد وبين ما يشاركها في الافق كالخنصرية بين الخنصر والخنصر والابهامية بين الابهام والابهام .

هذه الوحدة هي التي تصل بين الشيء والشيء في عـالم الوجود وعليها تبنى الوحدة الكبرى في الكون ، وبها تتصل كليات العوالم ، ومنهـا ينبثق النور المشع في الاكوان مشيرا اليها فيما نسمع ونرى ونشعر .

اردت في بحثي هذا ان اصل الى كنه هذه الوحدة والى اثبات انها ازلية في النفوس ، ثم الى ان ما يجمعنا في كل ما نقول او نفعل حول موضوع واحد ثم نتوجه به الى غرض واحد ، انما هو رمز الى تلك الوحدة الازلية المتغلغلة في نفوسنا والتي يقوم عليها الكون باسره .

فمهما تعددت نزعاتنا في الحياة ، ومهما اختلفت مذاهبنا في الطريق اليها ، ومهما تناقضت خططنا وتضاربت اهواؤنا ، فلا بد من ان نلتقي على صعيد واحد وعند هدف واحـد ، ولا بد من ان نصل في النهاية الى الاقرار باننا نعمل متضامنين في سبيل واحدة وبين يدي غرض واحد .

فالاسرة مهما اختلف افرادها يرجعون الى اب واحـد ، والقبيلة مهما تنافـت اسرها فانها ترجع الى رئيس واحد ، والامـة مهما تناحرت قبائلها فلا بد من ان تخضع في الخصام الى ملك واحد .

الوحدة ازلية في النفوس يتجه اليها الفكر في كل مـا ينتج فالكتاب بمجموع ما يشتمل عليه من حكم وامثال واقاصيص ، من معـان وبيان وبديع ، من متون وشروح وفصول ، من سطور وجمل و كلم وحروف ، هو بمجموع ذلك كله كتاب واحد والغرض الذي يشير اليه ويحمل الكاتب عليه واحد .

والقصيدة بمجموع ما تحتويه من وزن وقافيـة وموسيقى ثم من علم وادب وفن ، هي بمجموع ذلك قصيدة واحدة والفكرة التي دعت الشاعر الى نظمها واحدة ، والغرض الذي يستهدفـه من نظمها يجب ان يكون واحدا والا كانت عبثاً و كان الشعر بعيداً عن عالمها المتفكك .

وهكذا نجد البيت بمجموعه ، غرفاً وابواباً ونوافذ ومقاعد ومناضد ودواليب وسرراً وطنافس ونمارق ، نجده بمجموع ذلك لم يخرج عن كونه بيتاً يستهدف بانيه من انشائه غرضاً واحداً يحمله على بنائه او شرائه .

وحتى الكرسي ذات القوائم والاضلاع والمتكآت بمجموعها واحدة والغرض الذي يستهدفه منشئها واحد لا يتعدد ، وهكذا الثوب الذي نلبسه والطعام الذي نأكله والماء الذي نشربه والهواء الذي نتنشقه ، كل ذلك مؤلف من عوالم ولكنها موحدة في الغاية التي من اجلها تألفت ولها كانت وعليها حملت .

فمن العبث في الانسان ، وهو مكون من فكرة واحدة ، ان يرمي في كل ما يقوله او يفعله الى غير فكرة واحدة ، ومن السفه ان يعتنق المبدأ الواحد في كل ما ينشد ويعبد ثم هو يسفه الموحد من ابناء نوعه ، ويرى التوحيد في المجتمع وتوجيهه الى مبدأ واحد ، وسيره على سبيل واحدة ، واعتصامه بدليل واحد ، واعتماده فيما يرمي اليه على قوة واحدة وسلطان واحد ، يرى كل ذلك سفهاً من غيره ثم لا يشعر به في صميمه منذ كان او كانت الفكرة التي اوحت به الى الارض ان تنبته والى العقل ان يكلأه والى الشمس ان تشرق عليه .

فليس الخلاف واقعاً في وجوب الوحدة وكونها ازلية في النفوس كما قدمنا ، ولكن الخلاف واقع في المثل الاعلى الذي يتجه اليه المجموع وكيف يجب أن يكون ؟؟؟

الكمال المنشود بالطبع

كنا ، ونحن صبية ، نذهب ايام الربيـع المشمس الى بركة من الماء فنتبارى في صنع التماثيل من الطين على اختلاف انواعها من اناسي وحيوانات واوان الى غير ذلك من مختلف الصور ، ثم نحملها الى القرية ونقيم لها معرضاً نتبارى فيه اينا احكم صنعاً ، واقوم عملاً.

النظارة من الصبية والصبايا وكثير من الشباب والشواب يحدقون بنا ويسبغون علينا القاب المدح والاطراء البالغ ، وكل منا يفاخر بما اتقن واحسن من عمل ثم هو يعيب على زميله نقصاً يراه في عمله فيتحـداه الآخر ويمعن في تنقص ما يعرض من صنعه ، ثم يحتكم الخصمان الى من يتفق نظرهما على انه اسمى منهما صنعاً واتقن عملا .

وكنا ، ونحن تلامذة ، نتبارى في الرسم او الخط او نظـم الشعر ، وكل يتحدى زميله في سمو الفن الذي يستهدفه وجمال المعنى الذي يرمي اليه ثم نختصم الى الاستاذ او الى تلميذ يفوقنا علماً ونجمع على انه اسمى فناً وابعد نظراً منا فيما يرسم او ينظم .

وكنا ، ونحن اساتذة ، نعقد مجالس نتبارى فيهـا او نتداول اعمال التنظيم وتحضير الدروس ، وفنون الالقاء ، وتوجيه الطلاب ، وتخير الكتب ، وطرائق العمل ، كل يحبذ رأيه وينتصر له ويُعجبه على صوابه ، ثم هو يناقش زملاءه في تفوقه عليهم والدفاع عما يراه وينتصر له ، وهم آخذون في تعزيز آرائهم وتسفيه رأيه ثم نحتكم بعد ذلك الى المدير الذي يُجمع كل منا على

انه احصفنا رأياً واثقبنا فكراً واحكمنا عملا .

وهكذا نحن في دور النضج ، وفي حقل العمل العام نقيم في كل يوم سوقاً للعلوم او الآداب او الفنون ، يعرض كل منا فيها ما ينتج من قول او عمل ، ثم نتبارى في جلال الغاية التي من اجلها قال القائل وعمل العامل ، وفي سمو الغرض الذي يرمي اليه الشاعر فيما يلهم ، والكاتب فيما يبدع ، والصانع فيما يُحكم ، ونترك الحكم فيها للرأي العام في المجتمع اذ هو آخر حكم يفصل بين المتخاصمين في حقل العمل ، والمتنافسين في جودة الصنع ، أيهم اقرب الى المثل الاعلى فيما ينشد من عمل وايهم اجدر باعجاب الملأ وابقى اثراً في عالم الخلود . ؟ ؟

فاذا استعرضت معي هذه النفوس المطبوعة منذ الازل على الوحدة فيما تتجه اليه وهي تعمل ، والوحدة فيما تحتكم فيه وهي تختصم ، ثم الوحدة فيما تنشده بعد الموت ، اذا استعرضت معي هذا كله علمت ان الوحدة غاية صغرى في العالم ، وكونها مثلا اعلى فيما يتجه اليه هي الغاية الكبرى ، وعلمت ايضاً ان ذلك كله هو الغاية الاولى من خلقنا وانا انما كنا في الوجود لنحقق هذه الغاية او لتتحقق فينا ، وان خلودنا وزوالنا مبنيان على مقدار ما تتوفر فينا هذه الغاية .

قل معي اذن : ان الوحدة في كل ما نبني للحياة هي غاية اولى ، وكون هذه الوحدة مثلا اعلى في الجمال والجلال هي غاية ثانيـة ، فاول ما نفكر ، ونحن نعمل ، هو توجيه العمل نحو هدف واحد ، ثم نفكر ان يكون هذا الهدف سامياً في الحياة ، وكل ما نبني من معاهد للعلوم والفنون ، ونشيد من

كنائس وجوامع للعبادة والتجرد ، فانما هو طريق يفضي بنا الى ان ننشد الوحدة في العمل والجلال في الوحدة .

فالوحدة السامية المعبر عنها بالمثل الاعلى هي غاية الحي واما الحياة فوسيلة نتذرع بها الى تلك الغاية ؛ واطلاق الحياة على المثل الاعلى انما هو مجاز من قبيل اطلاق الجزء على الكل ، اذ ان حياة الفرد جزء من حياة المجتمع ، فالمثل الاعلى الذي نعنيه انما هو هذه الحياة العامة التي نضحي على مذبحها بحياتنا الخاصة تقاء الفناء العام الذي يأتي على النوع ، والمفروض ان النوع جزء من مجموعة الكون الكبرى التي نصدر عنها ثم نتحول اليها .

فاذا قلنا في التضحية حياة فلسنا نعني هذه الحياة التي نشعر بها الى حين وانما نعني حياة اسمى نتخيلها في عالم صدرنا عنه بتضحية افراده الى عالم يدعونا ناموس الطبع فيه ان نضحي في سبيل تلك الافراد لنعود اليه في هياكلهم ثم يترددون منه الى عالم آخر يهيمنون عليه في هياكلنا .

هكذا يتيه العقل البشري في مجاهل الحياة فيتنبأ كونه في صميم الخلود متنقلا تحت سماء الكون من ظل الى ظل ليصل الى ما يعلل به نفسه من البقاء كيلا تطغى عليه فكرة العدم فيتقهقر في تنمية روحه وتغذية فكره ، وعلى تطور هذا الفكر وتجدد تلك الروح يقوم بناء العالم .

وانما ننشد المثل الاعلى في الوحدة التي نستهدفها مما نقول او نفعل ، لنحقق في الوجود مثلا كلياً اعلى يشير بمجموعه الى الكمال الذي ينشده مبدع الكون في الوحدة التي يستهدفها من خلقنا ، فنشداننا الوحدة الجزئية والكمال فيها برهان على ان الوحدة العامة الكاملة منشودة في انفسنا لمبدعنا الازلي

المشار اليه فيما نستهدف من غاية في الحياة ·

فالدافع لي ، وانا اقول ، أن ابلغ حد الاعجاز في المنطق ، انما هو نشدان خالقي بلوغ هذا الحد في نفسي ، والدافع لي ، وانا اعمل ، ان استهدف شرف الغاية في العمل ، انما هو استهداف موجدي شرف تلك الغاية في ابداع كياني ·

واطمئنان قلبي الى سمو الغاية مما اقول او افعل ، ثم وخز الضمير لي بين يدي خسة ما استهدف ، برهان على اني خالفت الغاية التي من اجلها كنت ، وعلى ان علة وجودي خلاف ما استهدف ·

فكل ما اطمئن اليه من قول او عمل هو مطوي في كياني قبل ان اكون ، ومكتوب علي ان آتيه ، وكل ما افعله مكرهاً بين يدي نفسي فهو دخيل على طبعي وخارج عما كنت له واضطلعت به في الحياة ·

هذا فيما اذا كان المثل الاعلى غاية كل حي وكان كل حي يتجه اليه ؛ والسلام سائد في البشر ؛ اما اذا اختل نظام الحق في اهله وتنازعوا في الطريق اليه ؛ مشى الباطل فيهم فحول وجوههم عنه واضطربت الحياة فيهم فالتبس عليهم الحق واصبح البعض يستعجله في غير امكان والبعض الآخر يستبطئه على غير بصيرة ·

من هنا حار الفكر واضطرب العقل فلم يتبين وجه الحق واصبح يطمئن الى الباطل فيما يصدر عنه ويرجف بالحق وهو يقبل عليه فقيل له : اذا خفت امراً فقع فيه ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير · فليس هذا من الطبع ولكنه من التطبع ·

فالكائن مفطور على الخير بطبعه ، ولكن الضرورة في تكوينه ليمتاز بالتطور عن خالقه الازلي هي التي فرضت عليه ان يطمئن احياناً الى ما لم يكن هو له ، وينفر احياناً اخرى مما طبع عليه، كل ذلك في سبيل اعداده للخلود بعد ادوار تصهره الطبيعة فيها محوا واثباتا ثم يجوزها الى كون ثابت وحياة يمشي فيها بطبعه الى الحق ويماشي الحق في الخلود .

الوحدة مثل اعلى للكائن و كمالها علة كونها ذلك المثل ، وهما غريزه سائرة مع الفرد والمجتمع في الدم والروح ، على ان يتجرد هذا الفرد وذلك المجتمع اذ يستهدفانها في الحياة .

فاذا تجردت للحق وانا اقول او افعل ، رأيتني ابحث ، في كل ما اريد ، عن قائد اتأثره واقتدي به وعن الصفات الكاملة التي تلصقني به وتقصرني عليه ، فاذا توفر لي ذلك فيه عمدت الى تقليده وانزلته من نفسي منزلة الاب من الاسرة والرئيس من القبيلة والملك من الامة ارد عليه واصدر عنه .

هذا ، وانا متجرد للحق من كل باطل يحملني على التنكر للجمال القائم في نفسي ، هذا وانا منصف ، اتجه في حياتي الى وحدة كاملة هي مثلي الاعلى في كل ما يصدر عني من عمل ، اما اذا جابهت الحق ، وتنكرت للضمير ثم شايعت الهوى وانقدت للنفس الامارة بالسوء ، فليس فيما اتجه اليه ميزان يعتد به ويقاس عليه .

فقد اعتنق مبدأ ليس فيه ما يشير الى الحق الا انه وافق هوى في نفسي وخالف المبدأ السامي الذي يقوم عليه الحق وتقوم به الحياة ، وقد اتأثر قائداً ليس فيه من مزايا الكمال الا انه ارضاني بما يغضب الحق او احسن الي

بما يبي. به الى الجمال الذي نضحي في سبيله بالانانية الجوفاء.

استهدف اذ ذاك بما افعل، وحدة غير كاملة، وارمي الى غاية تحول بيني وبين المثل الاعلى فانكص الى حيث اعبث بالحياة واتلهى بالسفاسيف من زخرفها البائر وحطامها الزائل.

فاذا كانت الوحدة في الحياة غاية كل حي، وكانت الوحدة الكاملة غاية الحي السامي علمنا ان الكائن يتجه بطبعه الى واحد لا شريك له، وان التوحيد الذي يدعونا اليه كل مصلح هو مطوي في نفوسنا ومخلوق معنا وقائم فينا منذ الازل اذ قال لنا الحق كونوا فكنا.

هذا الطبع فينا يعلمنا ان نستهدف الحق حيث كان لان الحق هو القوة وبالقوة يتقوم الكون، فعلى الضعيف اذن ان يقتدي بالقوي ويتوجه اليه فيما يعمل ويعتصم به مما يخاف ويعتمد عليه في كل ما ينشده بين يدي حياته.

عنيت بالقوي: من يفقه الحياة فوق ما افقه، ويضطلع من اعبائها بما انوء تحته، ويكتنه من اسرارها ما يعجز فكري عن دركه، ويرى بعينه ما لا اراه بقلبي، ويرشده وعيه الى ما يضل بين يديه عقلي، هو قوي وانا ضعيف، اذ هو عالم وانا جاهل وهو شجاع وانا جبان، هو عادل وانا ظالم وهو تقي وانا شقي، هو كريم وانا لئيم وهو عامل وانا بطال.

هذا هو القوي الذي يجب علي ان اتوجه اليه بطبعي واستهدفه في حياتي فاجعله المثل الاعلى الذي ارد عليه واصدر عنه، فهو القطب الذي ادور حوله والعلم الذي استظل به، والملجأ الذي آوي اليه.

هكذا يعلمنا الحق ان نقول، ويدعونا ان نفعل، وفي صميم كياننا منذ

الازل هيمنة القوي على الضعيف وسيطرة العالم على الجاهل وفضل الحكيم على السفيه ، فلكل منا عمل في الحياة وفق هذا النظام ، قوي يأمر وضعيف يطيع ، وحكيم يرشد وسفيه يخضع وعالم يوجه وجاهل يتوجه ، فاذا انتظمنا هذا السلك نشط الحق واستخذى الباطل فكانت الحياة التي نهيمن بها على الخلود واذا وسد الامر لغير اهله فانتظروا الساعه ؛ وهل وراء الساعة الا خراب الارض ؟ ؟ ؟

امامنا الطبيعة توحي الينا عظمة الخالق في انفسنا فنخضع له اذ نعجز عن ادراك شيء مما نسمع او نبصر تحت سماء الكون القائم فيه ، من اجل هذا نتخذه مثلا اعلى فيما نعبد اذ نشعر بالقوة في حيزه فيهيمن علينا الخشوع بين يدي الضعف ، ونحاول ادراك ما ينطوي عليه علمه فيغمرنا الجهل ، فالقوة العليا التي يكلأ بها الكون ويسيطر على الوجود والتي نشعر بها مصغرة في كياننا هي التي تربي في نفوسنا حب العظمة ونشدان الكمال في سبيل الخلود

فاذا لمسنا القوة في المخلوقات فانقدنا لها واستخذينا بين يديها واتخذنا مصدرها مثلا سامياً نتجه اليه في الحياة ، كان حقاً علينا ان نطرق امام القوة العليا في الخالق فنتخذها مثلا اسمى نتجه بالوحدانية اليه ونقر بالعبودية له والخضوع بين يديه ، اذ هي مصدر هذه القوى الجزئية المنبثة في الكون والتي يحار العقل البشري في كنهها ويعجز عن ادراك ما تنطوي عليه من سر

فالكمال ، وهو معبود في المخلوق ، احرى ان يعبد في الخالق ، اذ نشعر بالقوة مهما صغرت ، تملأ نفوسنا بالرهبة من مصدرها الغامض الذي نتجه بتفكيرنا اليه ونقصر بحثنا عليه ثم نذعن آخر الامر له ونركع بين يديه ، فهل يحدثنا

العقل او يتحدث الينا الخيال بان الجمال في المخلوق ينم على قبح في الخالق ، وان القوة في الكائن تشير الى ضعف في المكون ، وان الكمال في الوجود يرمز الى نقص في الموجد ؟؟؟

افلا نشعر ، ونحن امام العظمة في الكائن قوة وجمالا ؛ بشيء في نفوسنا يحرك السنتنا بالقول فنهتف : سبحان الله !! ؟؟؟ افلا يشير لنا هذا كله الى ان جزئيات هذا الجمال المبثوثة في الوجود ، هي التي ربت في نفوسنا العقيدة بان وراءها جمالا كلياً يهيمن عليها ويشعها في الكون ، فاذا نحن مكرهون على الشعور به والاشارة اليه فيما نقول ونفعل ؟؟

نحن بطبعنا مفطورون على تقديس هذه القوة العليا والخضوع لها واتخاذها مصدراً لكل ما نشعر بالعبودية له من جمال وجلال ، ونحن مفطورون بطبعنا على احترام جزئياتها في نفوسنا و اتخاذها رمزاً يشير لنا بالسمو الى مصدرها الاول فنقوم ونقعد ثم نركع ونسجد .

من هنا نصعد الى ضرورة التماس الكمال في الوحدة التي ننشدها بين ايدينا لنشرف بها على مصدر الكمال المنشود لنا بفطرتنا والذي نسعى وراءه ليغمرنا بالنور ويكشف عنا ظلمات الجهل في الحياة ثم يحيلنا في الروح الاولى التي تبعثنا لندل على عظمتها في الكون.

الطغيان الوحشي

فمن السفه ان نعبد الضعف ونحن نقدس القوة ، وأن نحترم النقص ونحن ننشد الكمال ، وان نقيم للجهل وزناً والعلم سراج العقل ، ثم من الحمق أن

نتجه نحو الشر وحب الخير قائم في نفوسنا ، وان نتهالك علـى القبح ونحن نتغنى بالجمال .

تعلمنا الفطرة التي قام عليها الفكر ونما بها العقل واتجهت اليها الحواس ، تعلمنا في كل ما نفعل ان ننشد الكمال ، فبماذا نعلل اذن خضوعنا للنقص فيما نتجه اليه احياناً كثيرة؟؟ لماذا نجعل الفضيلة ميزاناً لسمو الرجل والرذيلة ميزانا لانحطاطـه اذ نبحث الحقيقة ونحلل النفس الانسانية ونتحرى علل الاشياء وقوام الكائنات ، ثم اذا عمدنا الى تطبيق هذه النظريات على الحياة العملية اهملنا المنطق في كثير مما نقول واتخذنا الحكمة ظهرياً في كثير مما نفعل ؟؟

لماذا ننكر الظلم اذا صدر من غيرنا ونعتد به في صميم كياننا ؟؟ ولماذا نسن الفضيلة قانوناً لمن يحكم واذا ولينا الحكم طبعناه بالرذيلة ؟؟ ولمـاذا نعلم علم اليقين ان قوام الحياة عدل وحكمة واحسان ثم نتجاهل من يقيمها على الظلم والاساءة والسفه ؟؟ لماذا نبيح لانفسنا ما ننكره عـلى غيرنا ؟؟ ولماذا نقول احراراً ونفعل عبيداً ؟؟

الانانية هي وحدة قائمة في نفوس البشر ولعلها هي الوحدة المنشودة التي لم تتهذب بالكمال ، وهي التي جعلناها غاية اولى وجعلنا كمالهـا غاية ثانية ثم جمعنا بينهما فكانا مثلنا الاعلى في الحياة .

الانانية اذا تهذبت كانت غيرية وهنالك تكون انشودة الحي الكامل ويصدق عليها انها المثل الاعلى الذي نتجه اليه بطبعنا المهذب ونقيمه ميزاناً يمتاز به الطيب من الخبيث ، والحكيم من السفيه ، والحي من الميت .

نتجه بطبعنا الاول الوحشي الى الوحـدة التي لم تتهذب وهي الانانية

القائمة على الاثرة والظلم ، ثم نتجه بطبعنا الثاني المدني الى الوحدة المهذبة وهي الغيرية المبنية على الانصاف والعدل، ففي طبعنا اولا واخيراً وحدة نتجه اليها ونقف عندها ، على انها مهلكة وهي انانية في دور التوحش ، ومنجية وهي غيرية في دور التمدين .

فنحن اذ نخضع للنقص ونتنكر للكمال ونأنس بالرذيلة ونستوحش من الفضيلة ، نحن اذ ذاك لا نزال في دور التوحش ، ولا تزال الانانية فينا تطغى على الغيرية ، ولا تزال الوحدة المجردة عن الكمال غرضنا الذي نستهدفه ووجهتنا التي نرمي اليها في الحياة .

فاذا خضعنا للكمال وتنكرنا للنقص وانسنا بالفضيلة واستوحشنا من الرذيلة ، فقد اجزنا دور الوحشية الى مستوى المدنية اذ ضحينا بالانانية في سبيل الغيرية ، وكانت الوحدة المهذبة مثلنا الاعلى الذي نمتاز به على ما دوننا من العوالم ، ونتمشى به على سنن الخلود في الحياة .

حسبنا برهاناً على ان الوحدة المطلقة هي مناط اتجاهنا الطبيعي في الحياة منذ الازل ، وعلى ان الوحدة المقيدة بالفضيلة هي مثلنا الاعلى الذي نتجه اليه بتطبعنا منذ كان العقل ، حسبنا برهاناً على ذلك ان نقف عند هذا الحد .

من هذا كله نصل الى ان الوحدة هدف الفرد وهو يمتهن الحرف ليعيش ثم هي هدف هذا الفرد وهو ينشد المثل الاعلى من وراء الفنون والعلوم ليخلد ، ثم نصل الى ان هذه الوحدة هي هدف المجتمع وهو يشرع الاديان ويسن القوانين ليصل الى القوة في سبيل حياته .

ولما كانت الوحدة الكاملة هي المثل الاعلى للانسان تصور الله على مثالها

فجعله واحداً وجعل الكمال أبرز صفاته وراح يسبغ عليه الاسماء الحسنى ، فلو لم تكن الوحدة مقررة في طبع الانسان ، وكالها أسمى انشودة يتغنى بها وهو يقول ويعمل لما خضع لآله واحد وأمعن في نسبة كل حسن اليه ونفي كل قبيح عنه .

فقد نخطىء في نسبة الخير اليه ونفي الشر عنه كما نخطىء احياناً في نسبة الشر اليه ونفي الخير عنه ونحن نرى الخير والشر كالكائنات تتحول وتتبدل ، ففي زمان ما او مكان ما ، نرى خيراً ، نحسبه الشر بعينه في زمان او مكان آخر ، وعلى العكس قد نرى الشر في يومنا ما كنا نراه خيراً بالامس .

فالخير والشر والحسن والقبيح والقوي والضعيف والغني والفقير والجامد والمتحرك والبعيد والقريب ، وكل متضادين او متناقضين هي مخلوقات مثلنا تتغير وتتبدل وتتحور وتتحول ضرورة انها انما تبقى وتخلد بتغيرها وتحولها كما نخلد بتغيرنا وتحولنا

فنسبة بعضها الى الله ونفي البعض الآخر عنه انما هو مقيس على ما تقرر في نفوسنا من تربية الجمال انه جمال وتربية القبح انه قبح واعتبار الاول نافعاً والثاني ضاراً وفق مصالحنا الزمنية والمكانيه .

فنحن اذ نرى الخير حسناً والشر قبيحاً فانما ننظر اليه في ذواتنا قبل ان ننظر اليه وهو خارج عنا ، ونحن اذ ننشد الجمال في الجميل ونتحامى القبح في القبيح فانما نقرر في الخارج ما ثبت في نفوسنا وننشده مثالا لما انطبع في قلوبنا .

أفلا ترى انا اذ نطلب المرأة الجميلة ، انما نفتش في الخارج عن الجمال المقرر

في نفوسنا انه جمال ، واذ ننفر من القبيح فانما نطرد عنا صورة القبح التي ثبت انها كذلك في قرارة نفوسنا

كل ذلك غير ثابت في الازل ولكن الثابت وحده في نفوسنا والذي لا يزول بزوال هذه الانفس ولا يتبدل بتبدلها انما هو الوحدة في كل ما ننشد ونعبد ونسبة ما نسميه او نصطلح عليه انه مثل اعلى ، الى هذه الوحدة المنشودة المعبودة في كل ما يصدر عنا من فكر او قول او عمل ، وفي كل ما يوحي الينا من تصور او تصوير .

فالوحدة هي طبع اول مقرر في نفوسنا وكمالها مقيس على بقائنا وسمو الحياة التي ننشدها من وراء العقل الكامل ، فاذ نكون في حيز هذا العقل نتوخى الهدف الذي نرمي اليه معبوداً واحداً هو القوة فيما نشعر والقوي فيما نسمع ونبصر .

هذه القوة نتصورها مهيمنة على الكون لا شريك لها في ابداعه والتصرف به اذ نشعر ان الشركة تستلزم التعدد وهذا يستلزم التحديد وهو من لوازم الاجرام المحسوسة والمفروض في نفوسنا تنزيه تلك القوة العليا عن ان يدركها الحس .

ونشعر ان الشركة تستلزم الضعف ضرورة التعاون بين الشركاء وهذا من لوازم العجز والمفروض في ضمائرنا ان تلك القوة لا ينالها عجز ولا وهن اذ يستلزم كلاهما النقص ، والقوة العليا مصدر للكمال .

فتوحيد القوة التي يتجه اليها الكائن بفطرته ثم تنزيهها عن كل ما يشعر بالنقص هو ازلي في النفوس وكونه ازلياً برهان على وحدانية تلك القوة

وكالها اذ نرى المثل الاعلى في كل أثر جمالاينم على جمال في نفس المؤثر ومناط كلا الجمالين حكمة يشيعها الخالق في كيان المخلوق .

وبديهي ان هذا الكمال الذي نطلق عليه لفظ المثل الاعلى يتمشى معنا في الحياة مكوناً وملوناً بالشكل واللون اللذين يتحولان بتحول النفس التي هي معرض لهما ، فتارة نتصور الله على شكل اسد اذ نرى الكمال في القوة فنرمز اليها بالاسد ، وتارة نتصوره في شكل ثور اذ نرى الكمال في العمل والجهاد فنرمز اليها بالثور ، وقد نتصور الكمال في شكل خليط من الاسد والانسان والثور اذ نرى الكمال مجموعة خلال حية هي الشجاعة والعمل والحكمة فنرمز الى هذه المجموعة بالانسان ذي العقل والاسد ذي البطش والثور ذي الجلد والصبر على العمل الشاق ، وهكذا تدرج الانسان في تصور خالقه بتدرج الكمال في نفسه حتى وصل الى عقله الراهن الذي حصر به الكمال في الوحدة والقدرة والجمال وقصرها مجموعة على خالقه المحسوس بالعقل دون الجوارح .

وكان من اللازم لنا ، اذ نتصور الكمال على هذا الشكل ثم ننسبه الى مبدع الكون ، ان نتوخى الكمال في كل ما نعطيه وظيفة هذا المهيمن ، لذلك ترانا ، ونحن اسرة ، ننسب كل صفة تشعرنا بالكمال الى الاب ، ونحن قبيلة ، ننسب كل خلة سامية في نفوسنا الى الشيخ ، ثم ننسب ، ونحن امة ، كل ما هو مقرر في نفوسنا انه كمال ، الى الملك ، عملا بوحي الطبيعة التي تطبع قلوبنا على تقديس الجمال ، وبتثقيف المجتمع الذي يطبع عقولنا على تقديس القوة .

ولهذا تتفاخر الابناء بكمال الآباء والامم بكمال الملوك التي تهيمن عليهم ، وهذا الكمال منادى عليه في اعمال تلك الملوك وسياستهم للامم التي جعلتهم في عالم الحس رمزاً للمبدع الاول الذي يتصورونه في عالم العقل من وراء الطبع والتطبع .

الانسان الكامل

فلنحط علماً بالرجال الذين هيمنوا على الامم في التاريخ وايهم كان محل عناية القوة العليا التي نتصورها مهيمنة على الكون فكان مظهراً لها ودليلا على عظمتها في الوجود ؟

ايهم كان ، اذ شخصت اليه ابصار العالم ، موضع احترام الشعوب ، ومناط الهيبة في الامم ، ورمز القدسية في التاريخ ؟؟ اي هؤلاء الرجال كان ولا يزال ظهيراً للحق على الباطل وشريكاً للحق في الخلود ؟ ؟

فتش عبر الحياة ، وقلب صحائف الكون ، واستظهر بطون التاريخ ، هل تجد خالداً على الدهر الا رجلا كان المثل الاعلى للعالم فيما يحمل من قلب يشرع به الحق ويد يقمع بها الباطل ؟

الحقيقة مل‌ء التاريخ رجالاً قلبوا وجه العالم ، فكانوا موازين للمنطق في الحكم على التاريخ ، ولكن الرجل الذي برز فيهم حتى كان التاريخ وحده ، واحتكر المنطق حتى كان الحكمة وحدها ، واعتصم بالحق حتى كان العزة في جبين المثل الاعلى للعالم ، هذا الرجل هو محمد بن عبدالله سيد العرب والعجم وامام الانس والجن .

اما انه سيد العرب والعجم ، فلأن ديناً خضعت له الدنيـا بما اشتملت

عليه من نظم ودساتير منذ كانت دنيا ، وآلت الا تزال متنكرة لكل دين غيره ، لم ينبثق الا من فجره ولم يهبط به الروح القدس الا على قلبه .

واما انه امام الانس والجن ، فلأن العقل البشري يضيق عن ان يستوعب القلب الذي يخفق في صدره ، والفكر الذي يجول في سماء نفسه ، فكان حقاً على هذا العقل ان يحكم بان سلطان محمد يضفي على الانس من اشعاع روحه ما يغمره ثم يتجاوزه الى عالم نشعر به ولا نحسه ، ونهفو اليه ولا نشرف عليه يمدنا بالنور فنأبى الا الظلمة ويغمرنا بالحياة فنأبى الا الموت ، ثم هو يشير انا الى الخلود فنأبى الا الفناء ، ذاك العالم هو ما ندعوه بعالم الجن ، واليه ننسب « عبقر » والذي يصعد اليه بروحه منا نطلق عليه لفظ « مجنون »

لسنا في صدد تحليل هذه النفسية الان . وانما نحن بين يدي اثبات ان التاريخ حكيم يشاركنا فيما تحدر الينا من الطبيعة ثم طبعنا عليه المجتمع ، الا وهو اتجاهنا ابداً نحو الوحدة ، والوحدة الكاملة التي ندعوها بالمثل الاعلى .

فلنتساءل بمحمد : هل حقق ، وهو يسود العالم ، صواب هذا الاتجاه في العالم ؟؟ هل اثبت لهم ، وهم ينشدون فيه المثل الاعلى ، ان فكرة نشدان هذا المثل هي طبع ازلي في النفوس ، وان صلاح العالم في ان يهيمن عليه من طوى في نفسه الغرض الذي يستهدفه العالم بطبعه ليكون عالماً متمدينا بعدان اجاز دور الوحشية الى دور العقل الجامع ؟؟

هل حقق لنا التاريخ خلال الف وثلاثمائة عام ، ان البشر مفطور على الخير في استهداف الوحدة المهذبة بين يدي حضارته وخروجه من عالم الظلمة الى افق النور الشائع في سماء العقل ، هل حقق لنا التاريخ هذا كله في شخص

محمد رسول الحق ونبي العرب ؟ ؟

أفكان مبدع الكون على غير بصيرة في خلقنا اذ طبعنا بطابع الوحدة في كل ما نتجه اليه تحت سماء حياتنا المنشودة في عالم العقل ، وبين ايدينا تاريخ محمد و كتاب محمد وناموس محمد الذي ابره به على صلاح هذا الطابع القائم في نفوسنا منذ بثها في الكون ؟ ؟

ادراك الطبيعة

من هم هؤلاء الذين يتشدقون بتسفيه الحق فينكرون وجود المثل الاعلى في العالم ، وان الشخوص اليه طبع في الانفس ، وان صلاح المجتمع وقف على تحقيقه والسعي وراءه ، وانه كائن في الخلق وان محمداً مثل صادق لهذا الحق المنشود ؟ ؟

من هم هؤلاء الذين ينكرون ان الطبع لا يتقلب في الاصلاب منحدراً من الجد الى الاب الى الابن ثم هم يثبتون ذلك في النبات فيتخيرون البذرة الصالحة في طبعها بما اشتملت عليه من نواة زكية حية ، ثم يتخيرون لها البقعة الصالحة في طبعها بما اشتملت عليه من تراب زكي حي ، فيجنون تلك الحبة من هذه التربة وهي غنيـة بالغذاء الصالح للجسم ، كما يجني المجتمع امله المنشود من قائده العبقري وهو غني بالغذاء الصالح للروح ؟

من هم هؤلاء الذين ينكرون ان التاريخ يصنع في كل يوم ، وجه من لا يؤمن بان مبدع الوجود واحد ، وان المهيمن عليه واحـد ، وان الهدف الذي ينشده واحد ، وان صلاح الوجود في تحقيق هذه الوحدة مهذبة كاملة ، وان ما يحول بيننا وبين الخلود مما نسمع ونبصر انما هو وليد انكارنا على

انفسنا هذا الطبع المتأصل فيها ؟ ؟

من هم هؤلاء الذين يعرفون الحق ويعترفون بان القلوب الكبيرة لاتخضع الا للحق ، ثم هم ينكرون ان بين هذه القلوب وبين العالم العلوي صلة تضمن لنا السعادة ما دمنا نرى المثل الاعلى وقفاً على سلطانها في الحكم ، واضطلاعها باعباء السياسة ، حتى اذا ولي الامر دونها من فقد تلك الصلة التي تربطه بالحق ، اذا بالملك ينهار وبالحكم يتصدع ، وبالباطل يسود ، وبالحق تعبث به ايد مغلولة والسن معقولة ، وابصار زائغة ، يمدها بالعمه افئدة غلف لا ترى الله الا في العسف ولا تبصر الحق الا من وراء الشهوات ٠٠٠؟

من هم هؤلاء ؟ ؟ أهم غير اولئك النفر الدين يفتكون في الحق باسم الحق ، ويعبثون في الدين باسم الدين ، ويهتكون ستر الامة باسم الامة ، ثم يدعون ان سياسة العالم وقف على الكذب والتملق والخيانة والغدر ، ويزعمون ان السلطان لايستقيم لغير الماكر الخادع ، والخب المستهتر ، فيخضعون له وهو يعبد شهواته ، ويحرسونه وهو غافل عن الحق الذي يعصمهم ، والسلطان الذي يهيمن عليهم ؟

هؤلاء ينكرون علينا ان ننشد المثل الاعلى فيما نحتكم اليه ونعتصم به ، لانهم يطمحون الى هذا المنصب وهم عراة من كل فضيلة ، وبُناة لكل رذيلة ، عبدة الاوثان وسدنة الشيطان ٠

كل من يتطلب الحكم في غير اهله ، ويرشح له من لم يؤت الحكمة التي تعصمه من العسف والجور فيه ، فانما يمني نفسه الاثيمة به ويرشحها له ، ويعد العدة لأن يصبح يوماً ما سائس الامة وولي الامر فيها ٠

وكل من يرى ان الرئاسة يجب ان تكون دولة بين رجال الامـة ، ثم لم يقم لها نصاباً في اولئك الرجال ولم يجعل المثل الاعلى شرطاً اول في احرازها، فقد اعلن للحق انه عدو الحق وانه انمـا يحلم بالمنصب السامي ويرجو ان يتحقق له هذا الحلم من وراء كيده للامة وخيانته للانسانية .

كيف يضطلع بأعباء الامة رجل لا تراه امة بنفسه ، وكيف ينشر لواء العدل من لم يتفيأ ظله وهو يحكم على منصة القضاء ، وكيف ينصف الناس من نفسه من لم ينصف نفسه من الباطل ، وكيف يبعث النور في العـالم من غشت الظلمة بصره حتى لم يبصر موطأ قدميه ؟؟

كيف يعلمني الانسانية من ليس بانسان ، وكيف يقفني على الصراط السوي من كان معوج الطريقـة في دعوته الى الحق ، وكيف اتبع من يقودني الى الحضيض وانا انشد القمة ، ثم كيف اقتدي بالجـاهل وانا عالم ، وأكل اموري الى السفيه وانا عاقل واعتصم بالميت وانا حي ؟؟

فتش معاهد العلم وأروقة الحكم ومجالس التشريع منذ جعلنا الحكم والعلم دولا بين رجال لم يؤهلهم للحكم ونشر العلم فضيلة سادوا بها قبل ان يُسوَّدوا ، ولا استجابت ضمائرهم للداعي الى الحق قبل ان يشهدوا مجالس التمثيل .

فتش هذه المجالس وتلك المعاهد ، تدرك السبب الذي من اجله قامت هذه المجازر البشرية تعصف بالرؤوس الحكيمة والقلوب الواعية فتجعلها طعمة للنار والحديد وهي انما اوتيت الحكمة والوعي لتقي العالم شر تلك العاصفة الهوجاء ، وتدرك السر الذي يرمي اليه محمد في قوله . اذا وسد الامر لغير

اهله فانتظروا الساعة .

فتش ، تجد السبب في كل ذلك انا لم ننشد المثل الاعلى في الرئيس الذي نضع بين يديه مقدرات الامة ، وفي الحاكم الذي ندعوه للفصل على منصة القضاء ، ولا في المعلم الذي نكل اليه بناء النشء العتيد في الامة .

لم ننشد المثل الاعلى في الرئاسة للرئيس والحكم للحاكم والعلم للمعلم ، فكان من البديهي ان يهيمن الضعيف على القوي فتستخذي القوة ، والجاهل على العالم فيستكين العلم ، والظالم على العادل فتخضد شوكة العدل ، وهل اقرب الى الدمار من امة يستكين فيها العلم للجهل ، وتستخذي القوة بين يدي الضعف وتتكسر فيها شوكة العدل تحت وطء الظالم؟؟؟

عبقرية هاشم

هكذا يعلمنا الحق ان السلام لا يسود العالم ما لم نعتبر بالحكمة التي بعثت محمداً سفيراً الى الارض من السماء فكان مثلاً اعلى للنظام اذ يشرع ، وللعدل اذ يحكم ، وللعلم اذ يعلم ، وكان مثلا اعلى للبلاغة اذ يتكلم ، وللسخاء اذ يبذل ، وللشجاعة وهو يثبت امام الهزاهز ، وكان مثلاً اعلى للصراحة والصدق اذ يقول ، وللاخلاص اذ يعمل ، وللوفاء اذ يعد ، وللعدل والانسانية بين يدي كل عمل يأتيه .

وهكذا يعلمنا الحق : ان نختار للحكم فينا والهيمنة علينا ، من يؤهله لذلك نسب كنسب محمد ، وحسب كحسب محمد ، ونشأة كنشأة محمد ، وحكمة كحكمة محمد ، وعدالة كعدالة محمد ، وهل المثل الاعلى الذى ينشده الطبع الازلي في العالم هو غير ذلك كله ؟؟؟

فاذا توفرت هذه المؤهلات في ابناء محمد فهم احق بان يهيمنوا على العالم

لان مجدهم يركسهم الى الوراء بين يدي الظلم ، ويقذف بهم الى التضحية في سبيل الحق .

لا اقول ان المثل الاعلى قاصر على ابناء محمد ولكني اقول : لننشده اولا في ابناء محمد رعاية للنطفة التي تنحدر في الاصلاب ، فلعل خصال محمد الذي اختاره الحق قبل بضعة عشر قرنا فادى رسالته الى العالم كاملة غير منقوصة لعل هذه الخصال التي لا تزال تتقلب في اصلاب ابنائه بحكم الوراثة الثابتة في صميم العلم ، لعلها او لعل شيئاً منها كائن فيمن نتوسم من ابنائه الذين هم بين اظهرنا .

فاذا ظفرنا بامنيتنا في احد ابنائه فهو احق من غيره ، لانا ، ونحن عرب لا ندين بنهضة تحررنا من عبودية الطامع فينا ثم تبوئنا المكانة الاولى في العالم وتخولنا بعد ذلك السيطرة على امم الارض ، لا ندين بهذه النهضة ما لم تكن منبثقة من فجر هاشم وفي الذروة العليا من قريش حيث العز كل العز والاباء كل الاباء والشمم كل الشمم قاصر على النهضة التي قام بها محمد فكان مثلا اعلى للعالم بله العرب ، فيما شرع من نظم والف من دساتير وهذب من سلطان .

نحن العرب ، منذ حورنا رسالة محمد ، ونبذنا وصية محمد ، ثم جهلنا فقه محمد ، منذئذ بدأنا نتقهقر ، وبدأ عدونا الراصد لنا ، يطاردنا في الحياة وظلنا نعدو بين يديه وهو ممعن في الطعن بنا حتى اوائل هذا القرن ، فاذا ببناء محمد ينهار ، واذا بسيفه ينثلم ، واذا برسالته يأكلها النسيان .

يا سبحان الله ! ! كتاب محمد لا يزال بين ايدينا وسيفه لا يزال قائما نصب

اعيننا ، وصدى صوته الحق لا يزال يدوي في آفاقنا ولا نزال نصغي اليه صباح كل يوم ومساءه ، ونحن من اليقين على مثل ضوء الشمس في ان رسالته هذه كانت السبب الاول في حفظ كياننا وعلو شأننا ، وبعثنا في عـالم الارض ملائك تزرع الخير وتستأصل الشر ، وتضفي على البشرية ثوباً فضفاضاً من الانسانية السامية لا يزال ارقى شعوب الارض اليوم ينشد هـذا الثوب فلا يهتدي الى الطريق الذي يشير اليه ويدل عليه ٠

هذا السبب لا يزال بين ايدينا ، يأمرنا فلا نأتمر ، وينهانا فلا نزدجر ، ويشير لنا الى الطريق الواضح الذي يفضي بنا الى حيث نعز ونسمو بين يدي القوة التي تهيمن على الارض من وراء المثل الاعلى المنشود في شخص محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ٠

لقد جربنا منذ الف عام ونيف نواميس وانظمة ، وسـجدنا مغاوير من عجم الناس وعربهم ، دون ان نفطن الى ان السر ليس في اللحم والدم ، ولا في الاب والام ، ولكنه في النور الذي يخفق بين جنبي هذا الانسان فينـير امامه السبل ، ويعلن بين يديه الحق فيرى الحياة ماثلة نصب عينيه تعصمه من الفناء وتدفع به الى الخلود ٠

لم يكفنا الف عام ونيف كانت كلها تجارب للعرب في سلطانها كيف يعود ، وحقها كيف يرجع ، ومجدها كيف يُبعث ، وعزها كيف يرتد الى سيرته الاولى ؟

لم نفطن الى ان المثل الاعلى الذي ضمن لنا سيادة العالم من قبل انما كان سراً في شخص محمد لا يزال يلفتنا بالذكرى اليه في كتابـه واعقابه ، ولا

تزال نجهل او نتجاهل قرآنه بين ايدينا ، وانساله الذين يحملون روحه بين اظهرنا ؟؟؟

هذا الازهر الذي هو ثمرة من شجرة الهاشميين لا يزال يدعونا الى العود من حيث بدأنا ونحن نحور دعوته وغوه سيرته ، وهذه النجف وهي ثمرة من شجرة الهاشميين لا تزال تدعونا الى سيرة محمد وعترة محمد ، ونحن نغضي عن الحق ونتشبث باذيال الباطل .

ثم لم نعتبر بهذه العظات حتى نهض بنا آخر الامر شبل من اشبال محمد فحطم اغلالنا و كسر قيودنا وانقذنا من براثن الاستعمار الذي رزحنا تحت نيره مئات من القرون ، وقاسينا في ظله ضروباً من الاهوال .

فحقق لنا، على قهر الحوادث، عدة ممالك مستقلة او مشرفة على الاستقلال، واوشكنا ان نعود الى مجدنا التالد وان نلمس في هذا الشبل روح جده محمد، وبدأت طلائع الخير الذي قوّم جده به العالم ، تتراءى لنا في افق الحياة الحافل بالآمال ، حتى اذا بزغ قرن الشمس عمدت النفوس الجاهلية المفطورة على اللؤم والخسة والغدر والخيانة ، تلك النفوس الكامنة في صدور لا يزال كره محمد ورسالة محمد يتغلغل فيها ويتحدر في اصلابهم حتى اليوم ، عمدت تلك النفوس الخبيثة الى قرن الشمس فحطمته ، والى عترة محمد الاخيرة فشردتها لتنعم بالحق الذي قام على ايديها ، وبالعزة التي بعثها من جديد تراث محمد المتحدر الينا في اصلاب ابنائه . فما اشبه اليوم بالامس والليلة بالبارحة .

(١) الطبعة الأولى

سيقولون : ان الحوماني مأجور في كتابه هذا ، وسيقولون : انه يدعو بتحليله الى فئة من الناس ، وسيقولون : انه يخدم بادبه فكرة سياسية لا علاقة لها بالادب ، وسيقولون آخر الامر ، انه سخر قلمه لتقرير مبدأ يستلزم الاشادة باناس والطعن على آخرين ، ونحن احوج ما نكون اليوم الى تأليف القلوب ودفن الاحقاد .

انا اعلم انهم سيقولون ذلك ، وسيرفع كل من هؤلاء عقيرته ، فينسبني للسفه تارة ، وللرجعية تارة اخرى ، ولكن من هم هؤلاء الذين يقولون ذلك ، ومن هو الحوماني الذي يسمع فيشعر فيكتب ???

هؤلاء ، هم الذين يتنكرون للفضيلة إذ لم يتحلوا بها ، وينتصرون للرذيلة اذ كانوا مفطورين عليها .

هؤلاء هم مرضى النفوس الذين يرون جمال الصحة على غيرهم فيثأ كل الحسد قلوبهم ويحملهم على البغي فينتقمون للباطل من الحق وللجهل من العلم وللشر من الخير ، اذ لم تهبهم الطبيعة جمال الصحة ولم تسبغ عليهم نعمى الحياة .

هؤلاء هم بذرة الفساد في المجتمع ، يرون الباطل في انفسهم فيلبسونه ثوب الحق ليعيشوا باسمه ويرون الحق في اعدائهم فيموهونه بالباطل ليشوهوا الفضيلة في المجتمع ويسلكوا من ورائها طريقاً تفضي بهم الى الشهوات الخبيثة المطوية في نفوسهم .

هؤلاء الانانيون الذين خلقوا لنميز بهم الخبيث من الطيب ، والقبيح من الحسن ، والصحيح من السقيم ، والميت من الحي ، فيقولون ويقولون ، ثم يعملون ويعملون ، ليخدعوا الناس بما يزخرفون من الوان يسترهبون بها الاعين ويستهوون الافئدة ، حتى اذا عصف بهـا الحق على لسان الشاعر الملهم او الكاتب الحر ، اذا ببنائهم ينهار ، وجذوتهم تخمد ، ودعوتهم الى الباطل تضمحل فتتضاءل ثم تتلاشى .

هؤلاء هم عتاة الامة وعبيد الشهوات ودعاة السوء ، يستعبدهم المـال فيوؤنه مكان الحق ، ويعوزهم العلم فيستعلون عليه بالجهل ، ويعييهم طلب المجد فيخذلون اهله ويستنفرون لحزبهم زعانف الامة واشرار الخلق .

هؤلاء هم الداء الذي يفتك في الامـة ، ففي كل قطر نفر منهم يعمل بيده ولسانه بين يدي شيطانه ، يرى العيب في نفسه فيلصقه بالناس ، ويرى الفضيلة في غيره فيدعيها لنفسه ، يخذل الحق لا لان له ثأراً على الحق ، وينصر الباطل لا لانه مفطور على الباطل ، ولكن الحق منذ كان ، لا ينال الا بالجهاد والتضحية والاخلاص ، والباطل منذ كان ، لا يألف الا النكس الجبـان والغادر الخوان .

ينكرون على الحر الاصيل ان يعتصم بماضيه ليعصمه في حاضره لانهم لم يؤتَوا شرف الآباء ومجـد الجدود ، ثم ينكرون على العصامي ان يعمل ويخلص في سبيل مجده الطريف ، لانهم لم يؤتَوا فضيلة العمل والاخلاص ، لا نسب يعصمهم ولا حسب يشرفهم ، فهم في المجتمع كالشوكة في عين الحالم او كالدمل في حلق الهزار .

من لي بان اتمكن من هؤلاء الذين ان صفعتهم بشرف الماضي قالوا عض بهن الآباء ، وان دعوتهم الى شرف الحاضر قصروه على شهواتهم فامـا ان يكونوا السادة فيبطشوا ويفتكوا ، واما ان يكونوا عثرة في سبيل احرار الامة وبناة الاخلاق .

يعمدون الى القرآن فيشوهون عروبته بالتحوير والتأويل ، والى السنة فينحون عليها بالتغيير والتبديل ، لا لأنهم اعداء القرآن او السنة بل لانهم رأوا في ابناء الرسول الذين يعاصرونهم ، مجداً لا يستطيعون الصعود اليـه بالنسب ، ولا يطيقون الاشراف عليه بالحسب ، لا حاضر لهم يعتصمون به ، ولا ماضي يرجعون بالفخر اليه ، ؟؟

من لي بان اتمكن من هؤلاء الذين اذا رجعوا الى الماضي تغنوا بالامثلة السفلى منه، واذا نشدوا الحاضر فانما يعمدون الى من يشبع جشعهم من حطام الدنيا فيكلون اليه امورهم ويجعلون اليه مصيرهم ؟؟

اما والله ، اني لأود ان افارق الدنيا وانا عار من كل فضيلة الا اني شفيت نفسي من هذه الطغمة بان انهش اللحم واعرق العظم ، ولئن كنت حريصاً على دنياي فلأني آمل ان اصل الى سلطان يخولني ان احكم ثم اتحكم في رقاب هؤلاء .

هؤلاء الذين ينشدون الكمال لانفسهم في كل مـا يصبون اليه حتى اذا اعوز الامة بمجموعها كمال كاي عمـدوا الى تلمس النقص في سلطانها المهيمن عليها .

افليس عجيباً ان ينشد المرء لنفسه الخير ثم يتوخى لامته الشر ؟؟ فتراه

ابصر ما يبصر وهو يتلمس الحياة لنفسه ، فاذا دعي لما فيه صلاح امته رأى هذه الامة مطوية في ذاته ورأى صالحها من وراء صالحه ، ثم رأى الامة مرآة يرى ذاته فيها فيعمل لتلك الذات مجردة عن كل ما يمس الامة في كيانها ولو كان في ذلك دمارها وترديها ·

فالفرد من هؤلاء يرى الامة في نفسه ما دام اعزل ضعيفاً ، حتى اذا ولي الحكم وتوسد الامر والنهي واصبح يقول فيفصل ويأمر فيطاع ، رأى نفسه في الامة وتضاءل المجتمع بين يديه حتى اصبح لا يرى الا شخصه ولا يسمع الا حسه ثم لا يشعر الا بما يعليه على حطام قومه ·

تلك هي اخلاق او بعض من اخلاق هؤلاء الذين ينكرون على احرار الامة ان يلتمسوا المثل الاعلى في من يلي امرهم ويحكم بينهم ، وينكرون عليهم ان يلتفتوا الى الماضي الحافل بالامجاد فينسبوهم الى الرجعية تارة والى العصبية الذميمة تارة اخرى ، فذكر محمد عندهم ، والتشبه باخلاقه والسير على نهجه ، والتمسك بفرقانه ، والاعتصام بسنته ، ثم الاحتفاظ باهل بيته ، والاعتصام بعترته ، كل ذلك عندهم تقهقر في العقيدة ، وسفاهة في الرأي ، وعقم في الانتاج ، ورجعية في التفكير ·

التراث الخالد

ماذا يريدون اكثر من الواقع ، برهانا على ان الحياة خلود ، وان الخلود حكمة ، والحكمة اخلاص ، والاخلاص كمال ، والكمال هو المثل الاعلى الذي يستهدفه الحكيم في كل ما يقول ويفعل ؟؟

أفيا لو خلد محمد وآل بيته اذ كانوا حكماء فاخلصوا للحق الذي عملوا له بين يدي وحدتهم المنشودة الا وهي الكمال ؟؟ أو ما كان مثلهم الاعلى، أن يحكموا كل عمل يمدون اليه يدا، ويفقهوا كل سر يجيلون به فكرا، وينخلوا كل رأي يصدرون به حكما، ويسددوا كل شرع يفرضون به دينا ؟؟

ما هو هذا السر الذي يقدّس به محمد وآل محمد منذ اربعة عشر قرناً، مآت الملايين من اشياعهم، وخيرة المفكرين من اعدائهم، ثم لا يرون في تقديسهم الا جهراً بالحق، وخدمة للفضيلة، وتقريباً للكمال المنشود في العالم ؟؟

وما هو السر الذي من أجله يتقرب مئات الملايين خمس مرات كل يوم الى الله باسم هذا النفر من الناس، ويلجأون اليه ممن يسوء محمداً وآل محمد، ثم يزدلفون الى الله بشفاعتهم عنده ؟

ما هو هذا السر ؟ وما الباعث له بين يدي هذا الفرض الذي يدين به لله جمهور العالم منذ قرون حتى اصبح فطرة في النفوس اذا فزعت الى الله قرنت اسماءهم باسمه يتذرعون بها وسيلة تمنحهم ثوابه او تنجيهم من عقابه ؟ حب تغلغل في النفوس حتى أصبح جزءاً منها، وطبع العقول بطابع علمي حتى استحالت فيه، واشربته القلوب حتى زخرت بالفنون فسودت وجه العالم وبدأت الامم تتحسس من حضارة لم تكن، او كانت بتراء يعوزها كثير من الوان الحياة الزاخرة بالعلم والفن .

أفكل هذا كان عبثاً في الاصلاب وتحدر الى الاعقاب ؟ أو عبثاً كان

يدين بذلك كله جمهور من عباقرة الفكر الذين لا تزال آثارهم تتبوأ المكان الاسمى في معاهد العلوم الحديثة والفنون المهيمنة على العالم ؟

انا لا افهم ان بضعة نفر انبتتهم الصحراء القاحلة فحوروا وجه العالم واحالوه من عدم الى وجود فشاركوا الله في هذا الخلق ولم يزالوا ثم لن يزالوا خالدين معه يشرفون على الكون من عقول طبعوها بطابع الحكمة وقلوب اشربوها حب الخير ، والسنة فطروها على التغني بالجمال والتحدث الى الله بالحكمة البالغة والمنطق السديد ، انا لا افهم ان هؤلاء النفر هم بشر مثلنا .

ان هؤلاء .ملائك ولكنهم في صورة بشر هبطوا علينا من عالم الحق ليدلوا على عظمة الله في الكون ، وليعلمونا ان الخلود الذي ننشده ونتغنى به انما هو في الكمال المنشود بيدك وهي تعمل ، وفي عينيك وهي تنظر ، وفي اذنك وهي تسمع ، ثم هو مطوي في قلبك وهو يخفق ، واعصابك وهي تضطرب بين يدى ارادتك اذ توقع عليها لحن الحق الخالد في قلب الكون .

المنطق الحر

اعرني سمعك يا صاحبي بضع خطات امشي واياك على ضوء الحقيقة في مجاهل التاريخ : ليقل غيري وغيرك ما شاء ان يقول ، وليحكم عليَّ وعليك بما شاء ان يحكم ، ما دمت انت وانا قائلين ما يقوله العقل ، وحاكمين بما يحكم به الفكر الثاقب والرأي الحصيف .

لم نقدس محمد وآل محمد ؟ ولمَ نصلي عليهم كل يوم ونفزع اليهم من كل كرب ؟؟ ألأنهم بشر ام لانهم هداة بشر ؟؟ ألأنهم هياكل مصنوعة من

اللحم والدم والعظم أم لانهم ارواح تتراءى لنا من وراء هذه الهياكل ؟؟

كل منا يا صاحبي روح تتراءى من وراء هيكل ، فهل لهذه الروح وهذا الهيكل قدسية في العالم ما لتلك الارواح في تلك الهياكل ؟؟ كلا !

اذن وراء تلك الارواح وهذه الهياكل شيء نشعر به ولا نحسه او نحسه ولا ندرك مصدره ، ولعلنا ندرك بالعقل هذا المصدر ولكنا نعجز عن اكتناه ذاته الخفية في عالم الروح .

ما هو هذا السر الخفي الذي يتراءى لنا احياناً من وراء تلك الهياكل المقدسة وفي صميم تلك الارواح الخالدة ؟؟ أهو علم يلقن في جامعات ؟؟ ام ادب تلهمه الطبيعة ابناءها من هواة الفن ؟؟

لمَ لم يخلد هؤلاء في نفوسنا خلود اولئك اذن ؟؟ ولمَ لم نقدس العالم والاديب والفنان تقديس اولئك ؟؟ لمَ لم تمتد من ارواح هؤلاء يد تشخص بابصارنا الى السماء ، وتعقل السنتنا بعقال من الخشوع ثم تربط قلوبنا بوثاق من المحبة ؟؟

أي عالم او شاعر او اديب او ملك او زعيم يحج العالم باسره الى قبره ، وتتهافت القلوب حول ضريحه ، وتتهالك الانفس على رمسه ، وتتعفر الجباه بتراب جدثه ، ثم تتيمن الشفاه بلثم الجدار الذي يحدق به والقفص الذي يشتمل عليه ؟؟

يحج العالم اليه في عصر النور ، وتتهالك النفوس عليه في القرن العشرين ، وتخضع العباقرة بين يديه وهم اعداء الباطل واصدقاء الحق .

يحجون قبر محمد وقبور عترته فيخشعون للحق امامها ، ويبتهلون الى

الله حيالها ، واذا ذكروا ساكني هذه القبور احسنوا ذكراً وافاضوا في القول على اكبار ما سنوه من نظم ، وتقديس ما شرعوه من نواميس ، وتقدير ما وسعوا به العالم من حكمة تسمو بالانسانية فيمتاز بها الانسان من الحيوان.

لمَ قصر هؤلاء العباقرة اطراءهم الى هذا الحد ، على هذا النفر من الناس؟ ولمَ اجمعوا ، وهم مختلفوا المذاهب والمشارب ، على تقديس هذا النوع من قادة البشر ؟؟

ثم لماذا يجمع عشرات الملايين من البشر اليوم على نسبة العصمة او الالهية الى اصحاب هذه النواميس ثم يعجز انضجهم عقلا واسدهم حكمة عن ان يشرع سنة أو يبدع مذهباً ، او يسن دستوراً ينتظم مئات الملايين من البشر في مختلف عصورهم ثم لم يظاهره احد على سن هـذا الدستور وابداع ذلك النظام ؟؟؟

ان دساتير الامم قديمة وحديثة ، يتظاهر على سنها عشرات العباقرة ، ثم يتظاهر على تهذيبها في مختلف العصور عشرات الدول ، ونجدها ابداً ، عرضة التغيير والتحوير ، الا دستوراً جاء به سيد العرب والعجم محمد ، لم يتغير ولم يتبدل ثم نجده صالحاً لكل عصر ونجد امة محمد لم تسد العالم الا يوم كان قائدها المظفر وعلمها الخفاق ، ولم يسدها العالم الا يوم طوت هذا العلم وخذلت ذلك القائد.

تعال يا صاحبي نسبر غور الحقيقة في درس التاريخ ، فنسدد منطقنا قبل ان نقول ، ونتجرد للحق قبل ان نحكم ، فان شرف الانسان في سداد المنطق ونبالة الحكم في التجرد من العاطفة والهوى بين يدي الحق.

تعال نفكر احراراً ونقـل احراراً ثم نكتب احراراً ، هل يخفى الحق على العاقل وهو يقول حراً ويكتب حراً ؟؟ وهل يعمى الاديب عن الحقيقة وهو يستلهم الطبيعة اسرار الكون ؟؟ وهل يخطيء الشاعر وجه الله في نفسه وهو ينشد الجمال على لوحة الوجود ؟؟

كلا !! ان في كل دقيق من الوان الحياة لسراً ينكشف للعين وهي تبصر من وراء القلب حتى ترى الله فيه ، فاذا تأثر القلب العين فيما يبصر خفي عليه كل جليل يبهر الاعين من الوان هذه الحياة .

هكذا يعلمنا محمد وآل محمد كيف نخلد في الحيـاة ، وهكذا يلهمنا ان نضع المثل الاعلى نصب اعيننا فيما نقول ونفعل ، وهكذا يشعرنا بالحق حتى نسمعه ونراه ونكاد نلمسه في كل شيء ، وبهذا كله يلفتنا الى ان الجـاهل لا يرشد عالماً ، والميت لا ينقذ حيا ، والاعمى لا يقود بصيرا ..

فاية حكمة لدي انا الانسان ذا العقل الجبار ، في أن ارى الفاضل يزوى ويهضم والمفضول يحمل على الرؤوس ثم يُعهد الي ان اقول حراً وافعل حراً ، فاعمد الى الحق واضعه تحت قدمي اذ أطاطيء راسي لارفع المفضول وارفع قدمي لادوس الفاضل ؟؟؟

فلن يكون للعرب ميزان ترجح كفة الخير فيه على كفة الشر ، ويسود الحق به الباطل ، ويهيمن الكمال فيـه على النقص حتى تعود بالذكرى الى عهد كان لها فيه المجد البـاذخ والحسب الصراح والعزة القعساء التي يدين لها العالم .

ولن تعود بالذكرى الى ذاك العهـد حتى تخلق رجالاً يتأثرون السلف

الصالح بالقلوب الجبارة بين يدي الدهر ، وبالعقول النيرة في مجاهل الحيـاة ، وبالاخلاق الصامدة في وجه العدوان ، ثم لن تستطيع بعث اولئك الرجـال في عالم الاصلاب ، متحدرة الينا حتى تعتصم بالناموس الاكبر الذي سنه لها المصلح العربي الاول وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

وليس في طوق فرد منا ان يؤدي الرسالة المعهود بها الى الامة الا ان يحرز القوة التي يكافح بها العالم ويناضل بها الدهر ، وهـذه القوة تكاد تكون وقفاً على من تحدر الينا من صلب محمد وهو يشعر بقلب محمد يخفق بين جنبيه، وبعقل محمد ينير دماغه ، وبصبر محمد يدرع به في وجه النكبات

وهل كان هذا في عصرنا هذا ؟ نعم ، ان حسين بن علي علمنا من جديد ان النهضة في العرب وقف على العقل الهاشمي والايمان الهاشمي والصبر الهاشمي ، فلا بدع اذن ان نرى الجامعة العربية اليوم تقوم وهي أثر من آثار محمد ، ولا عجب ان نقف بين يدي بطلها المسجى في بيت المقدس او على ضفاف دجلة وبين يدي خليفتهما القائم في قلب العروبة والمهيمن على عرش العراق ونحن نهتف بالقول المأثور :

« لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » .

فيصل الثانى

جلالة مليك العراق المفدى فيصل بن الغازي
ابن فيصل بن الحسين بن علي . وهو
يشرف على العقد الثاني من عمره امد الله
بحياته العروبة .

يا صاحب التاج العتيد !

من دل على عينيك الكواكب فاشعتهما في كبد السماء ؟؟ ومن اغار البدر من جبينك فالتاث وجهه بالكلف ؟؟ ومن لوّح بثناياك الى النرجس فاغرورقت عيناه بالدمع ؟؟ ومن احنق الشقيق بشفتيك فاسود قلبه من الجزع ؟؟

من يا صاحب الجلالة ؟؟ من ؟؟

أفعند تسبيح الطير مع الفجر مما يغرد فمك ؟؟ أو هل عند بياض الزنبق الغض مما تنفرج عنه شفتاك ؟ وهل للغزال الشارد ان يلحظ لحظك ويلتفت التفاتك ؟

يا ملاك العروبة في سماء عبقر !

يا عاقد التاج المظفر على مفرق الشمس !

يا خافق العلم المفدى في ظلال الخلود !

يا باعثاً في كيان الامة روح الله يثأر للحق !

اي فيصل ! شبل الغازي بن فيصل شبل الحسين !

ان لك في كل صدر قلباً يخفق ، وفي كل قلب عرقاً ينبض ، وفي كل

عرق دماً يغلي ويفور ، العالم العربي كله يتطلع الى فيصل الثـاني ليبعث في الامة فيصل الاول ، والعالم كله ينشد الهاشمية الاخيرة فيك لتعيد الى الحق هاشميته الاولى ، والعالم كله يتوسم في وجهك يا فيصل وجه محمد يوم اشرق على الجزيرة فكشف عنها ظلمة الجهل ورفع عن شعبها نير الاستعباد .

ايه فيصل !

وثباً ، يا مليك العرب ، الى سماء العرب ، وثبـاً بالعرب الى حيث تعز بعد ذل ، وتصعد بعد هبوط ، وتقوى بعد ضعف ، وتظفر بعـد خذلان ، فتستيقظ بعد نوم ، وتحيا بعد موت ، وثباً يا فيصـل بامتك الى حيث تقرع النصل بالنصل وتفلح الحديد بالحديد .

انت يا غرة الفجر في جبين الامل ، انت امنية امة اناخ عليها الدهر ، واخنى عليها اليأس ، فلم تنشد املاً تستعيد به عزها الا ورات الاخفاق دونه . ولا تشوفت الى وجه تستنير به في ظلمات الجهل الا وعادت تصطدم بصخرة من القنوط ، انها حائرة منذ هاشميتها الاولى . ومنذ سمعت جدك الاعلى يقول : « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » .

منذئذ ، وقد نزغ بينها شيطان الانس ، وعادت بها العصبية الى جاهليتها الاولى ، فنبذت الناموس الاعظم ، واستخفت بميثاقها القـائم على الحق ، فتقهقر بها الطاغوت من النور الى الظلمة وحط بها من القمـة الى الحضيض ، فاشرأبت الى العهد الذي خولها سيادة العالم ، فاذا بها تسمع صوت الحق وترى شخصه يهتف بها « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » .

منذئذ ، وهي حائرة الاعين تفتش عن الوجه الذي عرفت فيه العز كيف

ُينشد ، والمجد كيف ُيوطد ، والحق كيف يؤخذ ، والباطل كيف ينبذ???

فاذا هي لاترى غير الهاشمية الاخيرة ، واذا بها تستنير محيا جـدك الادنى ، وتستظل تحت لواء ابيك فيصل ، ثم يطل عليهـا صبحك الوضاء من فجر النبوة وهو ينشد : لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » .

انت يا بشرى السيف وبشرى القلم ، لقد آن للسيف ان يستعيـد بك الساعد ، وللقلم ان يستلهم بك الوحي ، انت يا بشرى هـذا وذاك ، انت نصاب السيف ُيطيح بالرؤوس حتى تدين ، ويطنّ السواعد حتى تتقوّم ، وانت مداد اليراع ، يلفظ الحكمة ، فاذا بالعالم ينشد العزة في العلم ، وينشد الحياة في الادب ، وينشد الخلود في الفن .

يا حلم الامة الذهبي : حلق في سماء الامة بعيداً حتى يباركك ملكوت الحق ، وحتى تشرف على الارض من فردوس جدك الاعلى فتقتبس الامة من نورك جذوة تلهب الافئدة مرة اخرى فتشيع في كيانها الوان الفنون العبقرية، وترفع في سمائها اعلام العز المضرجة بدم الحياة ، وتنثر في اقطار العالم ابطال العروبة مضمخة بعبير الخلود .

حلق ايها الحلم الجميل في سماء الامة ، تشخص اليك ابصار قرح جفونها الدمع ، في وجوه ارهقها غبار الزمن ، فهي تتطلع الى فجر حياتها من عينيك لتجلو عليه أملها الاخضر ، وتتنسم منه عرفهـا الشميم ، وتنشد بين اشعته المنبثة في ثنايا الافق ، عزاً ضاع مجده ، ومجداً افل كوكبه ، وكوكباً خبا ضوؤه ، وضوءاً حال الذل والفقر والجهل بينه وبين العيون ان تبصر ، والقلوب ان تشعر ، والادمغة ان تفكر .

ايها العصب الحساس في جسم الامة يا عترة هاشم !! عليك توقع الطبيعة لحنها الجديد باتامل خضبتها فنون العبقرية من دم الشفق ، لحناً يصغي اليه الزمن ، وتتراقص له ابكار المجـد في حظيرة الخلود ، لحناً يغرد به الطير ، وتخفق له الكواكب ، وتتلقف نغمه الملائك فتتقرب به الى الله بين يدي جمالها القائم في كيان الازل ٠

نعم يا مليكي المفدى !!

لم اكن لاتجه نحوك برسالتي هذه وانا واثق من انك تقرأها وتغتبط بها على انها من حريص على مجدك معتصم بولائك معتز بسلطانك ، ولكني اضع هذه الرسالة بين يديك لتكون يوم استوائك على العرش درة في تاجك الهاشمي المفدى الذي يهفو اليه معي من محبيـك عشرات الملايين ، في شعب لا يزال يتشوف الى تراثك المقدس بعيون تفيض بالدمع ، ويهفو له بقلوب يبسطها الامل المشرق في عهدك ، ويقبضها الالم الممض حنقاً على الفئة المارقة من امتك والخارجة على تنزيل جدك ٠

امامك يا فيصل !!

٠٠٠ نهضة مهد لها جدك الاعلى بالوحي وعززها جدك الادنى بالعقيـدة الراسخة في صلب الايمان ، فما اعتزت العرب بمثـل نهضة جدك الاول ، ولا انبعث فيها روح الامل السامي بمثل نهضة جدك الاخير ٠

وما اشبه جدك الحسين الاول وهو يغـادر وطنه واهله في سبيل الحق ونصرته حتى استشهد ، بجدك الاخير وهو يغادر وطنه مشرداً في سبيل الحق ونصرته حتى استشهد ، فليس للعروبة المهضومة حياة تعتز بها اليوم كما اعتزت

بها امس ، الا يوم ترى حسامك الفيصل يخطف الابصار بما يعلوه من بريق ،
ويكسف لون الدماء بما يجري عليه من دم .

لقد تعلمنا قبلاً ان السياسة الصريحة الصادقة هي التي يتقوم بها الحق ،
ويسود عليها السلام في العالم ، اذ كانت سياسة النفاق والغدر سبباً اول في
تقهقرنا واستخذائنا للعدو الذي كان مستخذيا لنا ، لقد تعلمنا ذلك في عهدنا
الاول الذي غمر العالم بالنور ، حتى اذا قام عليه من لم يستعرب الا ليفتدى
شعوبيته بعروبتنا ، ومن لم يستسلم الا ليقي شركه باسلامنا ، فاذا بالعرب
يطأطئون رؤوسهم للزمن ، واذا بجُطُم العبودية تنهشهم نهش الصلال ،
وتقودهم الى الجهل فالفقر فالموت .

وتعلمنا اليوم ان السياسة في العرب ما لم ترجع الى الصراحة في القول
والاخلاص في العمل ، لا يرجع الحق الى نصابه ، ولا يدور الزمن فيعود
بالشمس الى مشرقها الاول ، من اجل ذلك خف الى السياسة من لم يحد فيها
عن الصدق ولم يتحول عن العدل ، فقام على ايمانه الذي لا يتزلزل ، وعلى
عقيدته الجبارة التي لا تحفل بالدهر ، وعلى نهضته الثائرة في وجه الباطل ، على
ذلك كله قام صرح العروبة الشامخ بين الحرمين تحت اقدام الحسين بن
علي ، وبين الرافدين تحت قدمي فيصل بن الحسين ، حتى سمعنا او كدنا
نسمع ، دوي الملائك بالهتاف حول العرش ، تبارك وحي محمد وبأس علي
ونهضة الحسين وسلطان فيصل .

على نهضة الحسين هذه الثائرة بين يدي الحق وعلى سياسته الحكيمة
التي لا تعرف الغدر ولا الخيانة ولا النفاق، على هذا كله قام اتحاد العرب اليوم

يتبارون ، بفضل حسين وفيصل ، في استباق العز ولم الشمث ، والاعتداد بالمجد ، والتنافس على ما فيه عز العرب وفخر العرب وخلود العرب ،

على نهضة الحسين جدك ، وحكمة فيصل ابيك ، وطموح عبد الاله ولي عهدك وحامي تاجك ، ستقوم وحدة هذه الشعوب ، فتتضامن ، وتتضافر ، وتتكاتف ، امة ذات سياسة واحدة ، وثقافة واحدة ، وكيان واحد ، امة تستظهر الهمم الشم في وجه الدهر ، وتستبطن الخلق الهاشمي من قمع العدو الغاشم ، وتستنزل القوة العليا بين يدي بأسها الطارف وتراثها التليد .

اي فيصل ، ابا الغازي ! !

لعيني أبيك وجدك تلتئم اليوم جامعة العرب ، وعلى الاسس التي رفع قواعدها ابوك وجدك يضفون السمك ، وفي ندوة جدك وابيك يقيلون لاستعراض هذا التراث ، واعداد العدة لمستقبل العرب ، وتحت سمك البيت الذى بناه ابوك وجدك على الجماجم ، واقاما دعائمه على السواعد والايدي ، تحت هذا السمك ينخل احرار العرب الرأي ويحصحصون الحق ، ويمحصون التاريخ ، ويتعاهدون على الموت في سبيل الحرية والاستقلال .

ولعينيك وعيني ولي عهدك غدا او بعد غد ، تتظاهر ابطال العرب تحت سماء العروبة التي يخفق في قلبها منكما علم يتحدث الى العالم عن عبقرية محمد ، وتضحية حسين ، وسياسة فيصل ، فاذا القلوب تتصافح ، واذا الالسنة تهتف ، واذا الافواه تندى بالوان الفجر ، واذا الوحدة العربية المنشودة للامة تتحقق ، واذا بالتراث الهاشمي بين يديكما ينشد :

لانجبت بي ، والظبا ترمقني   بين مد من لظى الحرب وجزر

همة تبعث بني « حمزة » يوم « احد » وعليا يوم « بدر »
لانجبت بي تحت افياء القنا ناصع الجبهة او ادرك ثاري

. . .

لم تعد تنفق فينا سلع ذات الوان من الخدعة زهر
فلمن يزجون اثقال الردى بين سود من دواهيهم وحمر
ألى آشور في بابله ؟ ؟ ام الى فرعون في اهرام مصر ؟ ؟
ألى تبع في مأربه ؟ ؟ ام الى وائل في احياء بكر ؟ ؟
خسئت ايد تحدت هضمنا ويدا فيصل في افرند عمرو
والليوث الغلب من ابطالنا تقلب الارض بهم بطنا لظهر

العراق

منزلته من العالم العربي

في العراق اليوم وعي عربي كامل لا يحتاج قادة الفكر العربي معه الى توجيه يروضون به العراقي او يسددون خطاه نحو عروبته او يشيرون به الى نقص يجب على العراق ان يتلافاه او يعتصم بغيره منه .

فاذا اجتمعت الى اي اديب او سياسي من رجال العراق وخضت معه في القضية العربية وجدته مشبعاً بالروح القومية في صميم العروبة ، ووثقت من انه يفهم هذه القومية فهماً صحيحاً لا يحتاج معها الى تحليل او تأويل . فليس للمستعمر سلطان عليه يتقهقر معه الى بابليته كما تأثر غيره به فراح يشيد بحطام الموتى ، ولا طغى عليه اختلاف الاديان والثقافات فنال من امجاده وغض من عنصره وحط من كرامته في نفسه فانف من ان ينتسب الى قومه ويعتصم باصله .

فدينه الواحد وثقافته الموحدة وتوجيهه الصحيح رفع من نسبه واشاد بمجده وجعل من عنصره وقوميته مثلاً اعلى يشخص اليه ويركع بين يديه ، فثقافته تهتف به ودينه يوحي اليه : ان العرب قومه ، والعروبة اصله ، والجزيرة العربية وطنه ، من اجل ذلك لم يستعبده الاجنبي باسم الدين فينكر

ـمه اصله ، ولا استعمره باسم الثقافة فانكر معها قوميته واحتقر لها مجده .

فالعراقي مقتنع بعروبته ، يعتز بها ويضحي في سبيلها ويكرم اخباه العربي من اجلها ، فهو يحييك بلغتها ويتقرب اليك باخلاقها ويدعوك لتستظل معه تحت لوائها . فالعروبة في العراق مدرسة في البيت وثقافة في المدرسة وصلاة في المسجد وهتاف في الاندية وشعار في الشوارع ، تقرؤها ، حيثما سرت وأنى توجهت ، فصاحة على الالسن وطلاقة على الوجوه وسخاء في الانفس .

وليس ذلك غريباً في العراقي الذي لم يتهجن نسبه ولا شاب دمه نقطة من دماء الاعاجم ولم يشن منطقه العربي القح عجمة اجنبي عنه ، فهو منذ فجر التاريخ محتفظ بعروبته نسباً ولغة وثقافة واخلاقاً ، وها هو اليوم يبني على هذه القومية ثقافته الحديثة ومجده الطريف اللذين ضمنا له ان يسترجع مجده التالد ويتبوأ مكانته الخليقة به في العالم .

وعلى هذا كله اسس العراق نهضته الحديثة التي تبهر الغريب عنه اذ يدخل بغداد الجديدة فيحسبها قطعة من العالم الغربي يشقها نهر التايمس او تترامى قصورها على ضفاف السين .

وبهذا كله فتح العراق صدره الرحب لعرب الجزيرة فانسابت اليه الوفود مهاجرة من كل حدب وصوب اذ يرون في العراق تربة خصبة ، ونشاطاً ثقافياً واقتصادياً ، واخلاقاً عربية عريقة في امن الجوار ورعي الذمم واكرام النزيل ، فالعربي على اختلاف لونه واضطراب معيشته ، يرى في العراق اليوم غنى عن الهجرة الى بلاد الزنوج وغيرها من بقاع الارض التي يرى نفسه فيها

غريب الوجه واليد واللسان .

والعراق بهذا كله فتح ابوابه للمشردين من سوريا وفلسطين ايام محنتها وفرار ابنائها الاحرار من وجه المستعمر الجائر ، فكنت لا ترى بلداً عراقياً مدينة او قرية الا وفيه العربي السوري فلسطينياً او لبنانياً او شامياً يغدق عليهم العراق من بركاته ، وكنت لا ترى مدرسة او مصحاً او مصنعاً او مستودعاً الا وبين رجاله القائمين على امره عربي سوري معلم او طبيب او محام او زراعي او مهندس او تاجر .

والعراق بهذا الخلق المهيمن عليه من آبائه العرب الاقحاح قد فتح ذراعيه لفيصل العرب الاول يوم لفظته الشام اذ دهمها المستعمر الغاشم فقضى على استقلالها وحريتها ، فكان في بغداد عاصمة آبائه الهاشميين مكانه من دمشق عاصمة ابناء عمومته الامويين ، ورأى اذ ذاك من تربة العراق وطبيعته ما ينبت الابطال الاشداء كما ينبت النخل الباسق ، تأبى لهم عروبتهم العريقة في الامجاد ، ونفوسهم الطافحة بالامل ، وقلوبهم الثائرة في سبيل العز ، وهممهم الوثابة بين يدي سلطانهم المطوى في بطون الاجيال ، يأبى لهم كل ذلك ان يستكينوا للضيم او ان يقروا على هضم .

رأى فيصل في العراق نفوساً لا يتعالى عليها الدهر ، ولا يغض من شكيمها ظلم الجبابرة العتاة ، ولا يركسها الى الوراء ، وهي تثب ، فتور في الهمم او خور في العزائم ، ثم لا يقف امامها ، وهي تستهدف العز ، موت ترهبه او حياة تحرص عليها او عدو ينازعها تراثها الخالد في قلب التاريخ .

رأى فيصل عاصمة الرشيد لا تزال تعبق بالمجد الهاشمي النابت على ضفاف

الرافدين بين دجلة والفرات ، المجد الهاشمي المتحدر من صلب محمد باعث العرب والقاذف بهم من حضيض الهون الى عنان السماء ، رأى فيصل ان جده لا يزال يهيمن على كوفة الجند وخليج العرب ، ورأى مجده لا يزال يخفق تحت ظلال النخيل وعلى شواطىء نينوى ، فضرب على انف الزوراء خيامه واعلى على شاطىء دجلة مناره ثم قال لانصاره واهل بيته : انزلوا ! ! ها هنا ينبت العز ويترعرع المجد ، ومن هنـا تطلع الشمس على الكون مرة اخرى ويغمر طلوعها العالم بالنور .

لم يكن فيصلا قبل العراق فيصلا ولم يكن الرشيد قبله رشيداً ، ثم لم تكن العراق قبل الهاشمية عراقاً ولا كان الغرب بهـا شرقاً ثم عاد الشرق بعدها غرباً ، وجد فيصل في العراق افقاً يسع طموحه ويشبع نهمه في المجد ، فالقى رحله فيه ووقف عليه همه ، واعاد بغداد الى عزها الاول ، وسلطانها المهيمن على التاريخ ، ووجد العراق في فيصل امله الباسم وحلمه الجميل فالقى بين يديه مقاليده ، ووكل اليه امره ، فمشى فيصل امامه حراً مخاطاً ، ومشى العراق وراءه جندياً مطيعاً ، فكان في بضع عشر سنة مؤهلا لقيادة العالم العربي بعد ان مرت به قرون وهو يزحف في مؤخرة القوم مثقلا بالسلاسل والاغلال .

اي شباب العراق ، يا عنوان الامة وتراثها الحي ! !

ان العالم العربي يتطلـع اليكم اليوم ليستعيد بكم مجده ويفيء الى حقه ، ان الطبيعة التي ترهف احساسكم ، وتصقـل ارواحكم ، وتشحذ عزائمكم ، وتلهب قلوبكم ، هي التي تهبكم حق القيادة في الامة العربية

والهيمنة عليها ، افليست هي وحدها حمتكم من الاستخذاء للضيم اذ غمز العدو إباءكم فثرتم في وجهه حتى ضجت السماء من تصهال خيولكم ، وزمزمة رصاصكم ، وصليل سيوفكم ، وحتى ناءت الارض بحمل الضحايا التي بذلتموها قرابين على مذبح حريتكم واستقلالكم ؟ ؟

ان الطبيعة التي آثرتكم بالحياة ارضاً خصبة ودماً فائراً وتراثاً خالداً ، هي التي فتحت امامكم سبل العز فمشيتم اليه بخطى سريعة حتى بلغتم الذروة ولما نزل في الحضيض نتلهى بالحلم العذب ونعلل انفسنا بالامل الاخضر ، افما كنتم خلقين بالوثوب خفافاً الى حيث تبسطون ظلكم على العالم العربي ، وقد غمز العدو قناتكم فثرتم ، وهزتكم الحمية العربية فأبيتم الا ان تموتوا كراماً او تعيشوا احرارا ؟

جيشان : جيش يقذف بالحديد في قلب الدهر ، يتسلق الجبال ويتدفق في بطون الاودية كالسيل يقوده البطل الهاشمي قائده المظفر ، وجيش يفصل للمستقبل العربي ثوباً من نور ، لحمته العلم وسداه الفن ، في معاهد يرف عليها علم العروبة المفدى ، ويخفق في صميمها قلوب تنهل من دم واحد ، والسنة تهتف بشعار واحد ، وعقول تنيرها شمس واحدة تنبثق من فجر واحد .

جيشان : جيش يقوده الحزم ويدفعه العزم ، وآخر يعضده الفن ويكلؤه العلم ، هما زعيمان بالمجد ان يعود وبالحق ان يسود ، يهيبان بالنائم ان يستيقظ ، وبالخامل ان يتنبه ، وبالحالم ان يحقق احلامه ، وبالمظلوم ان يسترد ظلامته ، هذان الجيشان هما عدة العرب لا العراق وحده ، هما العصب الحساس في جسم الامة العربية وهما نقطة الارتكاز التي تقوم عليها دعائم المجد العربي ، وبعد

فهما الغاية التي نستهدفها والامل الذي نحلم به ، والعز الذي نعول عليه .

اي شباب الرافدين ! !

وثباً الى الامام بما اوتيتم من قوة ، فليس للعز يد تشير ، ولا فم يهتف ، ولكنه عصب تتحرك به اليد ، ونور تبصر به العين ، ودم ينبض به القلب ، وفصاحة يتقوم بها اللسان ، فاذا لم يهب بالامة ثورة من حياة في سبيل عزها فقد فاتها ان تفكر حرة وتقول حرة وتفعل حرة ، واذا فقدت هذه الحرية مشت الى الحياة بيد شلاء لا تطيق العمل ، وبعين حسرة لا تملك النور ، وبعزم فاتر يعوزه حرارة الدم ، وليست هذه الا معاول يحفر بها الحي قبراً يوارى فيه امته ويدفن مجده .

ان في لبنان اليوم مائة وخمسين الفاً من طلاب العلم لا تملك ربعهم في مدارسنا الحرة التي تعمل للعروبة ، وفي فلسطين يملك امر الثقافة احبار صهيون وسوريا لا تزال في سبيل حرية العلم تصخب وتعول ، واما ما وراء ذلك من اقطار العرب فالله يعلم ان العلم فيه كالجهل في قصور لندن وفي جبال الالب وعلى ضفاف السين .

فسياسة العروبة المفتقرة الى وحدة في الثقافة ووحدة في الاقتصاد ووحدة في اللغة ووحدة في الاخلاق ووحدة في العنصر ووحدة في القومية ووحدة في التوجيه ، هذه السياسة التي يعوزها جل ذلك او كله ، لا تتوفر الا في العراق ، فعلى العراق اذن نعول في وحدتنا الشاملة ونهضتنا القائمة على الاخلاص في التضحية والعمل السريع .

لست عراقي المولد او المنشأ ، وما اقول ذلك عقوقاً للبلد الذي نشأت فيه

وتحرجت عليه ، ولا ايثاراً للعراق على سواه من بقاع الجزيرة ، فالجزيرة كلها وطني والعروبة قوميتي ولغتها لساني وعلى هذه اللغة يبنى كياني ، ولكني أقوله وانا عربي اغار على قوميتي وعنصري ، فحياة الامم اليوم حرص على العنصر واحتفاظ بالقوميـة ، ولن نستطيع الاحتفاظ بقوميتنا ما لم نشعر بحاجتنا الى الوحدة الشاملة وهذه الوحدة لا تتوفر الا في العراق اغنى البلاد العربية تربة وفكراً ودماً .

تلك عقيدتي فيما اؤمن به من قومية وعلى هـذه العقيدة ابني رأيي وفي سبيل هذا الرأي اعمل مخلصاً بيدي ولساني .

الشهرستاني

السيد هبة الدين رئيس محكمة التمييز الجعفرية في العراق واحد اعلام العلماء الامامية والمرجع الاول للشيعة في مدينة الكاظمية .

« ان ثلاثة ملايين من الدنانير ترد النجف
« على رأس كل سنة ، يؤدي بها حق الله ملايين
« من شيعة اهل البيت في اقطار الارض على يد
« المرجع الاكبر في الاماكن المقدسة ثم لا نشعر
« بوجودها . »

الشهرستاني

ما رأيت رجلا ينفذ ببصره الى اعماق كل نفس تتحدث اليه وهو فاقد البصر ، غيرك يا ابا الجواد .

ولم تقع عيني على رجل يثبت في مقعده كأنه سُمر فيه ثم لم يبرحه حتى يملأ نفس جليسه هيبة وجلالة ووقاراً الا وكنت انت ذلك الرجل .

ولم استمع الى متحدث يملك علي ان اصغي الى غير صوته وان ابصر العظمة في غير شخصه ، الا ساعة اجلس اليك في ثوبك واستمع الى حديثك الجامع لاطراف البلاغة في القول والبالغ حد الاعجاز في المنطق ، افكنت في نفسي غيرك في نفوس هؤلاء الناس الذين ينكرون عليك عظمة الله المتجلية في شخصك المهيب وعلى لسانك الذرب ومنطقك السديد ؟

كن جدك امير المؤمنين وهو يتدفق من على منبر تكنه ولا تعدوه هيبة في وقار وسداداً في منطق ، وكن اباك جعفر بن محمد مصلحاً ومشرعاً تكنه ولا تعدوه صدقاً في القول واخلاصاً في العمل .

افلست انت اول من جهر بالحق في وجه الباطل يوم ثرت على الجمود في الشيوخ والجحود في الشباب فكنت المثل الاعلى للتجديد اذ كان يدعيه من

اعمت المدنية الزائفة بصيرته عن الحق فركن الى الباطـل ، واذ كان ينفر منه من يرى الدين وقفاً على الفوضى في العلم والتقهقر في الفن ، بينما يرون وجودهم في العالم انما كان وليد نظام طبيعي اثبته الله في نفوسهم ودعاهم الى التماسه واتخاذه سنناً ينهجون عليه في الحياة ؟

ومن هذا الذي فكر قبل اربعين سنة بانشاء مجلة علمية في النجف لاسماع العالم صوت الحق المختنق في السراديب مدافن الاحياء وبين عشرات الالاف من رواد العلم ؟ من هذا الذي فكر في ذلك ثم نفذ هذه الفكرة فاصدر مجلة « العلم » وكان لها دوي في الاقطـار العربية بما تحمله من تجديد في الاصلاح ، غيرك ايها السيد الجليل ؟

ومن عزز هذه الصحيفة بمثلها في كربلاء فاسماها المرشد وكانت نموذجاً صالحاً للفكر الحي في محيط ميت لا يفقه من الاصلاح الا انه تقهقر بالفكر في عصر النور الى ما قبل الف عام ونيف ، حيث يحتدم الجـدل وتتناطح الفحول بقرون لا تتحطم الا على صخرة المربد في البصرة وبلاط المسجد في كوفة الجند ، من كان هذا الذي انشأ «المرشد» غيرك ايها الحكيم الرشيد ؟

ماذا اذكر من مزاياك واعدد من آثارك فآتي بجـديد لقراء « وحي الرافدين » وارى مزاياك معقوداً بها كل لسان وآثارك محمولة على كل بنان ؟ أفأذكر عظمة اقناعك لجلسائك ، وفيهم الوزير والامير ، بان الطائفة الوحيدة من فرق الاسلام التي تلبي داعي الله على لسان وليـه في الارض مطمئنة الى ان الدين نظام يجب ان يسود بنفسه دونما قوة تهيمن عليه من جند ، او بأس يحميه من سلطان ، هذه الطائفة هي فرقة الشيعة فقط ، لذلك نراها منـذ

كانت لاتقوم الا على اساس الحرية في الفكر ، والاجتهاد في الرأي ، والاستقلال في العمل ، لا يهيمن عليها ملك ، ولا يسيطر عليها آمر ، ثم لا تخضع الا لنبي او وصي نبي او خليفة وصي .

ثم تصعد بالبرهان ، وقد زدت عظمة في نفوسنا وانت تتدفق كالسيل فتقول : ان الشيعة على اختلاف فرقهم وتعددها ، قد افرطوا في الانقياد الاعمى لمراجعهم الدينية حتى ضل كثير منهم فألهوا مراجعهم او جعلوهم في مراتب الرسل الا الشيعة الامامية فانها اخف عمى في الانقياد اذ لم يبلغ بها التطرف في الخضوع الى حد التأليه ولا وضعت مراجعها في منازل الانبياء او الاوصياء ، ولكن تطرفهم كان ولا يزال قاصراً على الطاعة العمياء للزعامة الدينية دونما نظر في هذه الطاعة او حساب للزعماء عليها » .

« فلم يكن الشيعي مسؤولا عن حق الله في ماله وتأديته لمرجعه حتى كان هذا المرجع مسؤولا قبله عن ذلك المال : اين يضعه وكيف ينفقه ويحرص عليه ، فهل في عامة الشيعة وخاصتهم من يحاسب المرجع الذي هو مسؤول اول عن حقوق الله المعهود بها اليه ، كيف يمسكها وكيف يتصرف بها ، وما هي السبيل التي يسلكها في الصرف والانفاق ، وكيف يجب ان يؤدي رسالته امام الله وهو خليفته على الارض ???

« ان ثلاثة ملايين من الدنانير ترد النجف على راس كل سنة من سني الحرب المشؤومة ، يؤدي بها حق الله ملايين من شيعة اهل البيت في اقطار الارض ، على يد المرجع الاكبر في الاماكن المقدسة ثم لا نشعر بوجودها ، ولا نتبين السبيل التي تنفق فيها ، ثم لا نرى الا بضع مئات من طلاب العلم

على الشكل العقيم في الانتاج يتصرفون بهذه الاموال الطـائلة ، ولا نسمع صوتاً يدعوهم للحساب او يسألهم عن الفائدة التي تعود عـلى الامة من وراء هؤلاء وتصرفهم في حقوق الله ، حتى كأنا نرمي بهـذه الاموال في البحر ، وكأنا اذ نغضي عن حسابهم عليها ، نبذر الحب في الارض السبخة اوننطلب الماء من السراب ؟؟؟ »

اراك اذ تقول هذا ايها السيد ، ابلغ خطيب يلقي علينا دروساً قيمة في عبر الحياة ، وبين يديك « نصرت الله » شقيق رئيس حكومة ايران ، ومجد السلطنة عيسى خان ، وغيرهما من اعيان الشيعة وانت آخذ في النقـد اللاذع على زملائك ممن يتسلمون الحقوق ويسيرون في انفاقها على النهج الذي لايتلاءم والحياة المنشودة للامة الشيعية في عصرنا الحاضر .

ولقد رأيتك ، وانت تموج في هذا البحر المتلاطم من النقد والتقريع ، رأيتك لا تحسب للتيار القديم حساباً ان يجرف عليك مـن يعترض سبيلك ويقع حجر عثرة في مجرى اصلاحك الصريح الذي لايشوبه رياء ولاتدجيل ، ورأيتك لاتبالي ، اذ تخطب فينا ونحن مختلفو المواطن والالسنة والعناصر لا تبالي ان يرضى عنك اناس او يغضب آخرون كأنك تتحرى وجهاً واحداً فيما تقول اليوم كما تحريت وجهاً واحداً فيما قلت وفعلت من قبل .

فاي اياديك على الطائفة الشيعية المسلمة اذكر ؟؟ وايها امجد وارفع بين يدي هواي الجائر الا في قول الحق ولو عـلى نفسي ؟ ؟ افأذكر تأسيسك المكتبة الكبرى في صحن الامام الكاظم ، وهو عمل بكر لم يسبقك اليه مثلك في المشاهد المقدسة ، تجمع في هذه المؤسسة المطالعة والكتابة جـل

العلماء والادباء الذين لم يكن لهم مأوى لدى بطالتهم الرحبة الآفاق الابلاط الصحن يجلسون عليه للتندر والتفكه بين العامة وعلى مرأى مـن النظارة ومسمع ؟ ؟

ولكم زرتك في هذه المكتبة التي جمعت فيها الى كتبك القيمة آلافاً من كتب المتقدمين والمتأخرين مخطوطة نادرة ومطبوعة مبتذلة ، لم زرتك فيها وحولك لمة يزدحم بها المكان من هواة اصلاحك بين عربي وعجمي ، مهاجر ومواطن ، فكانت في نظري نادياً لمحاضراتك ومكتبة لآثارك فلم املك لساني عن ان يقرر لك هذه الفضيلة في نفوس من يجلسون اليك ويتحدثون بين يديك ؟؟ وهكذا احمد الى القلم بله اللسان فاسجل لك هذه المـأثرة الحميدة عـلى صفحات التاريخ الذي يضم الى صـدره ، المخلص من رجاله الاحرار ؟؟؟

ام اذكر لك تحوير الحفلات الدينية التي كانت تسودهـا الفوضى في ردهة الجوادين الى حد يبعث على الالم والندم بما كانت تشتمل عليه مـن غوغاء وخلط هو الى الهتك اقرب منه الى احياء شريعة جدك والزلفى الى الله في اتيانه ، لقد حورت هذه الاجتماعات الفوضوية الرهيبة ، الى حفلات منظمة تفيض على الامة بالخير والبركة ، فتنقى الصدور من الاحقـاد ، وتصقل العقول من صدأ الجهالة ، وتعصم الابصار من الزيغ ، وتغسل القلوب من وضر الآثام ثم تحول بين الفكر وبين ان يستمر مسربلا بالتقاليـد البالية والرجعية البلهاء ؟؟؟

لا !! لا احب ان اذكر لك شيئاً من هذا في معرض تشهيرك والنداء على

ما تقوم به من عمـل ، اذ ليس في شيء من هذا يرضيني ويقنع امثالي ان تكون به الرجل الاول من احبارنا المسؤلين عن كرامة الامة والتضحية في سبيل انهاضها وتقدمها بعد مآت من السنين عملت على خنق النور في كيانها ، واخماد شعلة الحق بين ظهرانيها ، لا احب ان تكون هذه الخلال منارك الذي يهدي الى شخصـك ويدل السابلة عليك ، ولكن الشيء الذي احب ان اسجله لك ، واعترف ، وانا مطاطىء الرأس بين يديك ، بانك اجرأ مصلح عرفه النجف واصلح جرىء تفتقر اليه الامة في مجاهل التاريخ المطبق عليها ، ذلك الشيء هو :

انكارك على قومك دفن الموتى على الشكل الذي تقشعر منه الابدان ولم ينزل الله به من سلطان ، هذا الشكل الذي يرتفع عنه عقـل المشرع الاعظم ، ويأباه الله لاخس عباده فكيف بالصالحين من اوليائه ، هـذا الشكل الذي ينم على عقم التفكير في الامة ان لا يلد رأيا حصيفاً تتبين من ورائه النور الذي يكشف لها سبل الهداية ، ويشير الى الهدف المرموق بين يدي الحق .

هـذا الشكل الذي يأباه عقل الانسان الاول في دور الوحشية ويأنف منه زنجي الافريق في غابات سيراليون التي تجمع بين الانسان والوحش حتى الآن ولا يزال يتغلغل في مجاهلها اكلة لحوم البشر .

لقد قرأت لكم قبل اربعين سنة نضالا في هـذه السبيل على صفحات مجلة المنار كان مبارزكم فيه العلامة شرف الدين ، ولقـد كنت مأخوذا ببيانكم ولكني كنت اجهل السبب الذي من اجله انكرتم عـلى الشيعة

نقل الاموات حتى وردت النجف في سبيل العلم ورأيت ما وددت معه ان لا ابصر ، ثم شممت ما حبب الي الزكام طوال حياتي ، فماذا رأيت يا سيدي ثم ماذا شممت من هذه الجيف ؟

أهكذا يحرص الله على كرامة عباده ؟ أو هكذا يعلمنا ان نواري سوآت بني آدم ؟ او هكذا يوحي الى نبيه هتك حرمات الانسان الذي جعله مستودع سره ومكان عظمته ؟ أبهذا يا سيدي نريد ان نفضل غيرنا من الشعوب ، ونتعالى على سوانا ممن يناهضوننا في الحياة ؟ أبهذا نتبجح انا شعب الله الخاص الذي يحتكر النعيم في الدار الباقية والعقول النيّرة في هذه الدار ؟ ماهذا المنكر ؟ ومن يقول به ويحض عليه ؟ ومن المشرع له والكاشف عنه ؟ الله ؟ تعالى الله ! محمد ؟ كبر محمد ! علي ؟ جعفر ؟ حاشى لله ان يكون واحد من هؤلاء يأمر بحمل الجنازة اياماً حتى تجيف وينتشر منها ما يهتك الميت ويؤذي الحي ، ومن المجيز هذا ؟ وعمن ينقلونه ؟ والى ما ينسبونه ؟ كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ...

في كل ساعة يجتاز شوارع النجف وكربلاء زبانية تحمل جيفة تفسد الهواء ، فتؤذي من تمر به ، ومن تمر به آلاف من الناس ، وهكذا يطوفون بها حول الاضرحة المقدسة بينما المشهد واروقته وصحنه يموج بالجماهير الشاخصة للحق من راكع وساجد وناسك ومتبتل ، ثم لا نجد منكراً يكبر ما يرى فينهى عنه وينقم عليه ، وفي من يرى كل ذلك ، العالم والمتعلم والمجتهد والمقلد ، أوليس في ذلك عبرة لمن يعجب كيف يموت الحق ويحيى الباطل ، وينكر المعروف ويؤلف المنكر ؟ واذا انكر حر شيئاً من ذلك قام في

وجهه من لا تأخذه في اللوم هوادة من حفظة علم الله وحملة كتابه !

لقد كنت عظيما ايها المصلح اذ تصدع بانكارك هـذه البدعة السيئة ، وتنكرك لها واستدلالك على حرمتها ، ولقد كنت مخلصاً في جهرك بالحق اذ تفعل ذلك ، وكنت اكبر منك في كل موقف ، اذ تقف معلنـاً خطأ من يقول بحمل هذه الجيف ، وهتك حرمتها ، وأذية الاحياء بها ، وتسفيه من يجيز نقلها قبل ان تدرس وتصبح عظاماً . ولقد كنت في عين الحق اعظم منك في اعين الخلق اذ تجرؤ على مثل هذا الحكم وتجهر به ثم لا تبـالي ما يجره عليك من اجرام ذوي السفه والعقول الزمنة من بني قومك .

ميت يقضي نحبه في اطراف العراق ، فقـيراً كان او غنياً ، يرى اهله لزاماً عليهم ان يقبر في الغري فيحملونه ايامـاً حتى يجيف ويكاد يتهرأ من العفن فينفر منه اهله وعقته حاملوه ويضج منه من يشهد تشييعه ودفنـه . أهذا من الدين ؟ اوهذا ابتغاء وجه الله ؟ اوهذا ما نحكم عليـه بانه حق ونسفه من يرمينا فيه بالباطل ؟ اللهم انك تعلم ان الشرع يجل عن ان يسن لنا مثل هذه البدع ، وانك لتعلم ان من يقول به مخطىء ومن يسكت عنه آثم . اللهم انا نكبر محمداً وآل محمد ، اذ شرعوا لنا ما يسيغه العقل وتطمئن اليه النفس ويرضى عنه المؤمن والكافر ، ان يشرعوا لنا حمل الجيف ودفنها كراديس ينهش بعضها بعضاً ثم نزعم ان ذلك من الدين .

اذكر ، وانا في ردهة المشهد العلوي ، اني شممت رائحـة كريهة قف لها شعري ، فسألت عن مصدرها فاذا بسرداب قد كشف عنه البلاط لمواراة جثة جائفة ، واذا بهذا النفق محشود بمثـل تلك الجيفة واذا كل انسان في

الصحن على رحبه يشعر بمثل ما اشعر من كراهة ما ينبعث من غيابة هـذا النفق ، فمن ذا الذي يكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة والعلماء الاعلام في اجازة مثل هذا المنكر ؟ واي عقل حمل شريعة ابي عبد الله الصادق معلم الائمة ، وشارع الحق ، اي عقل يقر هذه الطغمة من غوغاء الناس على مثـل هذا العمل الناد عن العرف والعقل ؟

ايه ابا الجواد !!

ليست هذه وما قبلها جملة مكارمك وما خلفت لنا من اثر ، فقد قرأت لك وسمعت عنك واخذت منك ما لا يقف بي عند هذا الحد من التنويه بما تضطلع به من عبء شريعة جدك ونشرها في الصحف وعلى الالسن ، وتهذيبها من البدع المدسوسة على ايدي المنافقين والسنة الجهـلاء وذوي الاهواء من اعداء الحق المنزل على ابيك وجدك .

ولكم كنت حريصاً على ان اجبه النقدة من حسادك في مجلس جرى ذكرك فيه على لساني فعزوا الك حب المال والتهالك في سبيل الحصول عليه ، ان الناس يا سيدي لا يرون في المصلح الحر الجري. كمالا الا عمدوا الى انتقاصه والنيل منه ليكون واياهم في مستوى واحد من الحياة ، فليس من طبع البشر ان يسكتوا عمن تعالى عليهم وشاء بفضله ان يصعد الى الملكوت ليشاكل من هو ادنى منهم الى الله .

هؤلاء ناس واما انتم ايها المصلحون العباقرة فلستم من الناس بجوهركم ولكنكم منهم بالعرض الزائل الذي يريهم انكم واياهم على صعيد واحد ومن كيان واحد ليطمئنوا اليكم ويأخذوا عنكم لباب الحق المعهود به الى

الحكمة المتجلية في نفوسكم .

هؤلاء الناس ، وفيهم الخير والشر مزدوجين تطوى عليها نفس كل منهم يأبون لواحد من ابناء جلدتهم العلو عليهم وهو منهم وفيهم ، من اجل ذلك يتنقصون الكامل ليكون ناقصاً مثلهم ، وينالون من الصالح ليشاركهم في الفساد المطبق عليهم ، فهم بزعمهم بشر ويريدونك ان تكون بشراً مثلهم ، وقد فاتهم ان من البشر من يصعد بروحه الى ملكوت السماء ، ومنهم من يهبط بهذه الروح الى حظيرة الشياطين .

يقولون : انك تحب المال ، ومن ذا الذي يكره المال ليسد به خلته ويصل رحمه ويستغني به عن خلق ربه ؟؟ أفلم يقل هذا حكيم سبقنا الى الحقّ بالف عام ؟ من ذا الذي يكره المال من هؤلاء الذين ينقمون عليك حبه ان كان في منطقهم صدق وفي نقدهم اخلاص ؟ أفلا يرونك تفتح ابوابك للطارق ضيفاً وزائراً ؟ افلا يرون الولائم التي تقيمها لاعيان الامة في سبيل العلم والدين !! أو يعمون عن المجالس التي تعقدها والحفلات التي تقيمها لتؤيد الحق وتخذل الباطل ؟

او ما يبصرون بنيك وبناتك يتقلبون في المدارس والمعاهد في سبيل التثقيف والتهذيب لينهجوا نهجك ويتأثروك في اصلاح امة جدك ؟

وبعد فهل هذا كله يحتاج الى المال ام الى تراب يطعمه الآكل ويلبسه العاري ويشربه الظمآن ؟ عجيب امر هؤلاء الناس !! فما يرضيهم ان يزهد الرجل فيتوسد الحجر ويلتحف الشجر ، ويأكل القد ويتلفع الطمر ، فيدوسونه باقدامهم ويقولون : هذا ضعيف قاصر او مراء دجال ، ولا يرضيهم

المترف الذي يسكن القصور ويختال على الديباج فيسلقونه بالسنة حداد ويقولون : هذا جشع اغواه المال وابطره الغنى ، ثم لا يرضيهم المتجمل الذي شاء ان يرى نعمة الله عليه ولو لم يحرزها فيزورون عنه ويقولون : سمكة تحاول ان تبتلع الحوت وشاة احبت ان تلد جملاً .

هؤلاء هم قومك يا سيدي ويؤسفني ان اقول انهم قومي ايضاً ولعلنا نحن منهم نرى ما يرون فلا يسلم منا احد ، أينذ المرء عن المجتمع الذي نشأ فيه والارض التي نبت عليها ويجوز الافق الذي اظله والنسيم الذي هب عليه ثم يحسب انه انسان يا ابا الجواد ؟ هكذا كنا منذ الازل وسنبقى كما نحن الى الابد صادقاً علينا قول احدنا :

عذيري من الانسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن صرت طوع يديه
واني لمشتاق الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

القمى

الشيخ علي القمي من علماء الشيعة الامامية ، ايراني الاصل ، ممأل في التجرد وانكار الذات على مذهب المتصوفين وهو في العقد الثامن من سني حياته ، ويسكن النجف منذ ستين عاماً .

كنت ، وانا في مطلع شبابي الاول ايام دراستي في النجف ، انظر الى شخصك يمر بي مدثراً تلك العباءة المتواضعة وعلى رأسك عمامة يكاد لونها الشاحب يوهمني انك لم تتعهدها بالغسل اذ كنت احسب انها من نوع عمامتي البيضاء المحوكة في مصنع غربي بالغ الاناقة في تخريج الاقمشة على احدث طراز يستعمر به الضعفاء امثالي .

كنت انظر اليك تمر بي مسرعاً فتسبقني بالسلام دون ان ترفع بصرك الي وانت مطرق تتبين مواقع قدميك في شوارع النجف المكتظة بالناس ، واسمع اصحاب المتاجر عن جانبي الشارع يهللون لك فلا يقرع سمعي اذ ذاك الا قولهم : صلوات !

أقف آنئذ ذاهل اللب واشيعك ببصري حتى تتوارى ثم استأنف سيري متسائلا ونفسي عن السبب الذي يحدو النظارة من ابناء جلدتك الى تقديسك واكبارك : أهو التقوى ؟ وارى كثيراً من الاتقياء لم ينزلوا منزلتك من نفوس الناس خاصهم وعامهم ، واذا هتف المؤذن بالمصلين لم تر واحدا من ذوي التقى والفضيلة تزدحم خلفه الجماهير وتتبارى في استباق الزمن الى مصلاه

لتأتم به كما تزدحم خلفك وتأتم بك في المسجد الهندي حيث مصلاك الدائم ؟

أتساءل ونفسي : بماذا احرز هذا الشيخ تلك الثقة في نفوس عارفيه فتهافتوا عليه وتهالكوا بين يديه ، أهو العلم ؟ ونرى اعلم منك درجات لم يكن مكانك منهم ولا حل محلك من قلوبهم ؟

همست في روعي : لعل سر ذلك في الصلاة فرحت استبق مع المؤتمين بك الى المسجد واخذت مصلاي خلفك وانا استعد لساعة او اكثر استهلكها في الصلاة وراءك اذ كنت احسب ان قيمة الامام بالزمن الذي يضحيه بين يدي الله في الصلاة ، فاذا بي ، وانا اخف المصلين حركة ، لا استطيع لحاقك ، واذا بك تبدأ وتختم خلال دقائق لا تتجاوز الخمس تؤدي بها لله فرضاً لا بتر فيه ولا اجحاف .

ما هذا ؟ واين الترجيع والترتيل ؟ اين الفواصل والنوافل ؟ اين السور الكبرى والوسطى من كتاب الله يتلوها الامام حتى يكاد المأموم يرى الله في كل ما يأتيه امامه الا الصلوة ؟ أتساءل ونفسي في هذا وامثاله فلا اهتدي الى السر الذي من اجله اراك تملك الافئدة وتهيمن على الانفس .

قلت لعل السر في شخصك ولا يتبينه الا القريب منك السامع صوتك والآخذ عنك ما تقول وتفعل ، فعمدت الى استئذانك بالدرس عليك والتفقه منك فاخفقت اذ سألتك ذاك واجبتني بقولك : لا يسعني ان اجيبك ، ثم اكدت السؤال فقلت لي ما استطيع اذ ليس لدي متسع من الوقت .

واستمر يحز في نفسي ما جهلته منك حتى علمت انك تشرع للناس بما

تفعل اضعاف ما تشرعه لهم بما تقول من قوانين ونُظُم ينحدر عنها ابعد الناس نظراً في الحياة التي يتبارى في البحث عنها ملايين العقول الجبارة في القرن العشرين .

تريد ان تعلم الناس بصلاتك الخاطفة هذه ، ان العبادة تلبية لله في وقت معين ، وبأفعال تؤديها الجوارح خضوعاً له وايمانا به ، وخليق بلمحة من الزمن كتلك التي تؤدي بها فرضك ، ان توفي هذه العبادة حقها ثم ينصرف المرء الى العمل الذي يصون وجهه عن الحاجة ويعزز قوته في سبيل الحياة التي يشخص بها المرء الى ربه .

بضع دقائق تؤدي بها فرضك ثم تعمل لله في كسب يتقوم به جسدك على العبادة ، ويشتد عزمك فيما يعلي قدرك ويصون عرضك ويحفظ دينك ، او تعمل له في كتاب تهذب نفسك به في استظهار الحكم ، او تثقف به غيرك في تلقين العلوم والآداب .

تعلمنا بذلك ان العبادة ليست قاصرة على الصلاة والصوم وانما هي اوسع افقاً من الركوع والسجود وتعذيب الجسد بالعطش والجوع ، فجهاد النفس في قمعها عن الشهوات عبادة ، وجهادها في سبيل الكسب لتسد خلة صاحبها من العيش وتستغني عن الخلق عبادة ، ورياضة البدن قياماً وقعودا وذها واياباً لتحريك الجوارح وتطويعها خشية الجمود فالركود عبادة ، ورياضة العقل والفكر والروح بارتياد الغياظ والرياض والتفكير في خلق الله وآياته عبادة ، والسعي في اصلاح ذات البين عبادة ، وارتياد المحافل والدواوين في سبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة ، وتعهد الاخوان بالزيارة والمجاملة

في افراحهم واتراحهم عبادة ، وكل قول يحرك المرء به لسانه او عمل يحرك له جوارحه اذا اخلص فيه لجلب نفع او دفع ضرر هو عبادة .

ما اسماك ايها السيد في نظر الدارس الحر وانت في الحمام تريد ان تصلي فلم تجد مسجداً فتتناول مداسا من الخشب وتسجد عليه ، ان الجاهل او المتحذلق ليرى منك هذا او يسمع به فينكر عليك ان تسجد على حذائك وانها بدعة لم يأتها غيرك ممن نكبر ونقدس ، ولكنه لو امعن في استدراك الحق لرأى الخشوع لله في وضع الجبهة على الحذاء ابعد اثرا في تذليل النفس واشعارها بالضعة امام الله وبين يدي الحق ، ولعلم ان التزام السجود على تربة واحدة من الصعيد يوهم الغر فرضها على الناس وانها من صميم الواجب .

تعلمنا بسجودك على القبقاب ان الفكر الحر في عبادة الله اثقب رأيا واحصف نواة في فهم الدين واكتناه الشرع والخلوص الى اب الحق القائم في قلب الحياة ، وتدفع عن امتك ما يلصق بها العدو من وصم فيما تعبد ، ويلحق بها من عار فيما تدين .

وما اسماك ايها السيد في تحبيرك المرأة العجوز الشوهاء من ذوات العمه او الصمم او الكساح زوجاً لك في الحين بعد الحين تقرباً من الله في تخفيف آلام البؤساء وتعاليا على النفس الامارة بالسوء بذلك تدل على فضل المتعة وبقائها مشروعة الى الابد ، فان المرء يستطيع ان يكره نفسه على استمتاع القبيحة وقتاً ما ليخفف من آلام الانسانية ، واما ان يكرهها على هذه المتعة بالزواج الدائم فهو قتل للانسانية في نفس المستمتع .

وما اسماك ايها السيد اذ تضع ثقتك في البسيط الساذج من الناس فتسمع

قوله وتقبل شهادته وتدنيه من مجلسك واما العالم المتلون المبطن فتراك منه على حذر في كل ما تعهد به اليه . تعلمنا بذلك صدق ما يؤثر عن حكمائنا من مثل سائر : « الجهل التام خير من العلم الناقص » وهل في الناس اليوم وقبل اليوم عالم لم تعوزه الحكمة التي يشرف منها على الحق صريحاً لا يشوبه زيغ ؟؟

العلم ايها السيد حيثما تطلبه تجده ناقصاً ، فهو في الشرق ناقص لانه جزئي يتقوم به شيء ضئيل من الفضيلة التي لا تزال مرعية باسم الدين والخلق الفاضل ، وهو في الغرب انقص ولعله نقص محض لانه كلي تتقوم به الرذيلة القائمة على الوحشية في عصر النور ، ففي الاخلاق كمال للعلم الجزئي وفي هذا الكمال حياة هي الى السماء اقرب منها الى الارض ، وفي الوحشية القائمة على تنازع البقاء نقص للعلم الكلي وفي هذا النقص حياة هي الى الحيوان اقرب منها الى الانسان ، لذلك رايناك تتحرى موضع ثقتك من الناس في الابله المجرد من تلوين العقل الكاذب ، أفليس اكثر اهل الجنة البله ؟

انت في كل ذلك سام ايها السيد المرعي بعين الله واراك اسمى منك اذ أدخل منزلك فلا اعثر فيه من حطام الدنيا على غير قطعة من نسيج الوبر فوق بارية أكل الدهر عليها اجيالا من العفن ثم لا يواريك اذا نمت غير عباءة رثة او فرو من جلد كبش ، واذا اجلت بصري فيما يحدق بهذا الحطام فلا تقع عيناي على غير آنية من الخزف وابريق من خبث الحديد وسراج يكاد ينير من غير ذبال ، بينما ارى حولك نطاقا من ملايين الاعين وملايين القلوب ترعاك وتخشع بين يديك وتكاد ترى الله جهرة في شخصك العبقري امام الحق

الازلي الخالد ٠

واراك اسمى من ذلك كله في نظر الحق ان لا تلبس الا من نسيج بلادك ولا تأكل الا مما تنبت ارضك ثم لا تشرب الا من ماء سمائك ، فالعمامة والعباءة والدثار والشعار والسراويل والجورب والمنديل مما يحوك جارك على منواله المتواضع ، والحذاء من جلد الحيوان الذي ذكيته بيدك ، والخبز والتمر واللبن الذي هو قوام بدنك مما ينبت على ضفاف دجلة والفرات ، ثم الحلوى من مجفف هذا التمر ، واذا اردت الشراب الدافيء فمن مـن السماء ممزوجاً بماء الزهرا والزعفران ٠

تعلمنا بهذا كله ان نتورع عن كل ما جبل بـدم البؤساء ودموعهم وكأنك تشير بكل جارحة منك الى ذلك الدم وتلك الدموع في كل قطعة من هذا القماش المزركش ، وذلك الاناء المرصع ، وهذا الشراب الملون الذي يستعبدنا به شعب ابطره الشبع واماته الجشع فكان عقلا بلا قلب ، لا يبصر الا الحديد والنار ، ولا يسمع الا الزمزمة والقصف ، ثم لا يشعر الا بالسيطرة والظلم والاستعباد في سبيل الانانية القائمة على الوحشية والاستئثار ٠

كأنك تشير بغير لسان ، الى ان العلم اذا حاول استعبادنا بما يبدع من رفاه في الطعام والشراب واللباس فما احرانا ان نلجأ الى الاطعمة والاشربة والالبسة التي ابدعها علم لم يشرع لنا الذل في سبيل العز ، ولم يفرض علينا الظلم في طريق الحكم ، ولا سن لنا الموت في الوصول الى الحياة ٠ الا وهو علم الله الذي انبت لنا القمح بغير من وانبع لنا الماء بلا اذى ، وسخر لنا الحيوان بلا عنت ، ووهبنا العقل بلا عوض وافاض علينا الخير بلا حساب ٠

فلنا في نسيج دمشق غنى عن منسوج لندن وباريس ، وفي تمر العراق وحلوى بيروت غنى عن شوكولات روما ولوزان ، وفي صبغ النبات وعقاقيره غنى عن كيمياء برلين ، وفي حكمة محمد بن عبد الله وعلي بن ابي طالب غنى عن السوربون و كمبردج وان اربرمشغن ، فالحياة ليست وقفاً على العلم فحسب ولكنها في حاجة الى حكمة يتقوم بها العلم والى اخلاق تنير سماء الحكمة ثم الى دين يقوم عليه بناء الاخلاق .

ايها الشيخ الصالح !

لقد صفعت وجوه هؤلاء الغلف من تجار الحياة الدنيا ، اذ يدعون انها وقف على العلم الحديث وان كل قديم هو عثرة في سبيل التقدم البشري ، فضربت لنا مثلا باعمالك هذه ان القديم الجاهل في حيز الانسانية هو خير لنا الف مرة من جديد يتخمنا بالعلوم والفنون ونحن في حاجة الى قطرة من ينبوع الحكمة وثمرة من ثمار الاخلاق .

ليتعظ شعبك بعملك ، فلا يأكل الا من طعامه ولا يشرب الا من مائه ولا يلبس الا من نسيجه ثم لا يدين الا باخلاقه ، والله من وراء ذلك زعيم بان يعيد عليه عزه المسلوب وحقه المغتصب ومجده الغائر في اعماق التاريخ يتوارى من سوء ما نأتيه بين يدي جهلنا الفاضح وذلنا المميت .

وليس عملك هذا قاصراً على اتعاظك بالدين فحسب ، ولكنه الى هذا كله يعطي ابناء قومك المحدقين بك والآمين اليك ، عظة بالغة في ان يمسك المؤمن نفسه بالحق قبل ان يعظ اخاه فيسبق عمله قوله ، ولعل عمله وحده يكون الناطق بالعظة من وراء لسانه الصامت .

ذلك هو العامل الاول في سموك الاقرب الى الحق ، وهذا هو العمل الذي يضرب المثل الاعلى في جامعاتنا الحديثة وبين شبابنا السذج ، ان الدين باعث اول على الوطنية والقومية اذا انكر العلم علينا ان الارض كلها وطن واحد والعالم كله امة واحدة ، افليست هذه الوحدة في حيز الامكان اذا اعتنق المجموع البشري عقيدة واحدة وتكلم بلسان واحد وتخلق باخلاق واحدة؟ ذلك ما يدعونا اليه الدين لنظفر بالسلام الشامل الذي ننشده في العالم .

انى لنا ذلك وهذه الرقعة التي نطلق عليها اسم الارض قد بلغ العلم في اهلها مبلغاً يكاد يصلهم بالسماء ولا يزالون تحت الارض التي عاش عليها اهل القرون الاولى افما نعذر آباءنا الاول في وحشيتهم ان كان يأكل بعضهم بعضاً ، ونحن في مدنيتنا نتخذ العلم وسيلة نتذرع بها الى الوحشية فنفتن في الظلم والهضم والسيطرة والاستعباد فلا نمتاز ونحن في عصر النور ، عنهم ، وهم في عصر الظلمة ، الا بان يقتلوا عن جهل ونقتل عن علم وانهم ينهشون الانسانية باسنانهم ومخالبهم وانا نستخدم العقل في خلق سلاح اقوى على الفتك والبطش من النيوب والاظافر الا وهو الحديد والنار ؟

الا تسمع لي يا سيدي ؟

بضع دقائق اعرني سمعك منها وانا اناجيك من مخدعي الصامت في ظل هذا الجبل المشرف على السهول والاودية حتى البحر ، اناجيك وانا امام هذا المكتب المتواضع وبين يدي عالم اوسع من هذا الافق المحدق بي ، عالم احسبه الكون كله ولكنه ، وانا اذكر ذاتك واشخص اليك ، اضيق من الحجرة التي عهدتك فيها تناجي ربك وتصعد اليه بروحك من عالم صغر بعينيك

حتى لا ترى فيه الا عظمة خالقه ولا تسمع فيه الا صوت الداعي اليه .

لقد تركت النجف منذ نيف وعشرين عاماً فلم تبق بقعة من الارض الا نزلت بها او كنت قريباً منها ، فمن غرب اوروبا وجنوبها الى جنوب اميركا وشمالها ثم من شرق اوروبا وجنوبها الى غربها فشمال اميركا وقلبها ثم من جنوب اوروبا الى شمال افريقيا فغربها ثم من شرق الجزيرة العربية الى السند فالهند فسيلان ثم من هذه الى شرق افريقيا فجنوبها ثم منها الى جنوب اميركا الشرقي فجنوبها الغربي ثم من هذه الى جنوب افريقيا فشرقها فجنوب الجزيرة العربية فشمال افريقيا ، وهكذا لم اترك من الكرة الارضية الا القليل لم انزل به واتغلغل فيه .

نعم يا سيدي لقد جبت هذه الاقطار وانعمت النظر في الوان الشعوب ودرست كثيراً من علومهم وآدابهم ، ومارست كثيراً من اخلاقهم وعاداتهم ، وتذوقت كثيراً من نعيمهم وبؤسهم ، فطعمت ما طعموا وشربت ما شربوا ثم لبست ما لبسوا وسكنت ما سكنوا . وكنت في بعض هذه الشعوب كأني منهم وفي البعض الآخر غريباً عنهم ، ففي بعضها كنت معروفاً الى رتبة الملوك وفي البعض الآخر مجهولاً الى درجة الصعاليك ، في بعضها كان يتلقاني الوف من البشر ، ويحتفي بي عشرات من الاندية والمحافل ، ويطريني كثير من الاقلام والصحف ، وفي بعضها الآخر كنت ادخل واخرج فلا يشعر بي احد اكثر من اني داخل وخارج .

واقد بلغت من نعيم الحياة حداً لم يبلغه عربي قبلي ولا بعدي ، فيما اظن ، فقد علوت ناطحات السحاب في نويرك حتى اشرفت على الغمام بين يدي ،

واطلت من شرفاتها على مـا دوني فاذا السماء منثورة الكواكب تحتي ، وهبطت الشاطىء الفضي في جنوب اميركا فاذا الاحزاب والهيئات الاجتماعية عربية واجنبية تستقبلني على مرفأ بونس ايرس ، واذا الحفلات والمآدب تتبارى في تكريمي واذا الدعوات من الاقطار الاميركية تنهال علي والاموال تملأ حقائبي .

ثم انزل اميركا الوسطى فاذا بي انزل افخم قصور مكسكو وارتاد اجمل رياضها ويحتفل بي ابناء قومي من عباقرة العرب في افخم نواديها واجوز عاصمة المكسيك الى عروس مدنها التوريون ويكون لي فيهـا ما يكون للملوك من حفاوة وتقدير .

ثم اعود الى شاطىء بحيرة مشغن فأزور مدينة السيارات ديتريت ورابع مدن العالم شيكاغو ومدينة الجمـال مشغن ستي حيث الهوى البكر الذي اوحى الي ديوان « حواء » فأخرجته الى العالم سفراً كنت بعده مطمئناً الى حياة قطعتها وانا مضطرب قلق ، وهكذا خضت هذا العالم الجديد يتخير لي الحظ اطائب ما اشتهي من الطعام اتناوله من اواني الذهب والفضـة بملاعق واشواك كنت اقرأ عنها واسمع بها ولكن عيني لم ترها ويدي لم تأخذ بها .

كان الحظ يتخير لي هذا المطعم ويسبغ علي من انواع الترف والرفاه ما لم يحلم به كثير من ذوي النعم السابغة والمجد العريق . ثم يفتح لي بين هذه المدن ابواب الفردوس الحـافل بالحور والولدان ، ويملأ جيوبي من اروع ما تلده المدنية الحديثة جواهر وحلياً وساعات واقلاماً كل ما فيها يذهب باللب .

ثم اغادر العالم الجديد الى الغرب فأنزل باريس وتقام لي الحفـلات على

ضفاف السين ، ويتبارى فيها الخطباء والشعراء من شباب العرب المهاجر في سبيل العلم . ثم اعود الى وطني فأهبط مصر وانعم فيها بتكريم الشباب من ادباء وعلماء وتلهج الصحف بي ويتردد اسمي على الالسن وفي الاندية والمحافل .

ثم تطأ قدماي ارض الوطن المحبوب لبنان فأجدني اليوم غيري بالامس يتقرب الي العدو بعد ان كان ينفر مني الصديق ، يحسدني الغريب ويعتز بي القريب فاقطع بضع سنوات عزيز الجانب طافح القلب بالامل العريض ويمشي بي الحظ من سام الى اسمى . ثم استأنف رحلاتي الى العالم الافريقي فالعالم الآسوي واكون في هاتين القارتين كما كنت في اختيهما عريض الجاه وافر الكرامة محبباً الى كل قلب .

عشرون سنه يا سيدي مرت بي وانا اتقلب فيها على فراش العز سابغ النعمة بالغ الترف ، احسبني بلغت قمة الحياة واشرفت منها على الكون الحافل باسرار الوجود ، دونما تفكير فيما اقامني بعد قعود وحركني بعد سكون ، وانبهني بعد خمول ونشط بي من ابعد قرار في هوة الضعة الى اسمى ذروة من شرفات العز .

عشرون سنة مرت بي كذلك بعد عشرين ذقت فيها الواناً من العيش الجاف والحياة الوضيعة في المنزل الخشن اتقلب فيه على البواري القاسية ، واتذوق منه اخشب الاطعمة وآسن الاشربة واخشن الالبسة ، في محيط يسف به ضعة المجتمع وخسة العيش وتقهقر الامة بين عزم بليد وفكر متحجر وعقل غائر في اعماق القدم .

كذلك كنت يا سيدي ، مغموراً بالضعة والجهل والفقر ينفر مني ويتعالى

علي حتى القريب الذي احدب عليه والصديق الذي أحسن اليه ، وهكذا اصبحت المثل السائر على لسان الغريب والقريب ، أزار ولو لم ازر وأسأل ولو لم أعطِ ، يخطب ودي من العلماء والزعماء من كان لا يراني في عداد الاحياء ، ويحسب لي حساباً من كان يمر بالجماد الشاخص فيحسبني ظلا له .

وبعد فماذا رأيت وسمعت ؟ ثم ماذا لمست وفقهت من حياة ذقت حلوها ومرها ، والفت سهلها ووعرها ، وجبت بحرها وبرها ، ثم اشرفت منها على الحضيض وانا في القمة بعد ان شخصت الى القمة وانا في الحضيض ؟

ماذا كان يا سيدي بعد ان اكلت اطيب الطعام ولبست افخر اللباس وسكنت افخم القصور وتقلبت على السرر الوثيرة وركبت متن الهواء وتغلغلت في اعماق الارض ؟ فماذا ابغي بعد ذلك ؟ أأصعد فوق السماء ام اغوص تحت الارض لاشبع هذه النفس الجشعة الطماحة الى ما وراء حدود الطبيعة وقد ضاق بها الفضاء وتثاقل تحتها البسيط ؟

لقد علمت انك اذ وردت العراق اول شبابك كنت تمشي وبين يديك الحشم وخلفك الخدم ، وكنت تسترعي طرفي بردك الاعيان من الناس لما متعك الله به من نعم سابغة وفضل عميم ثم ما لبثت ان خلعت هذه الحياة وعدت الى ما أرى من زهد وتقشف ، فهل تكون عاقبتي عاقبتك اذ كانت حياتي الاولى شبيهة بحياتك ؟

نعم يا سيدي لقد شعرت ، وانا على القمة ، اني في واد سحيق من الحياة الدنيا ، وشعرت ، وانا ارتع في القصور واختال على الديباج ، اني ارتاد المقابر وادوس على حسك السعدان ، وشعرت ، وانا اتخير اطائب ما يؤكل ولذائذ

ما يُشرب ، اني اتجرع العلقم وازدرد الزقوم ، ثم شعرت ، وانا اضاجع الحور العين ، اني اريق دمي بيدي على مذبح الانسانية ، بينما هذه الانسانية تدعوني وتلح في دعوتها لي ان اضحي بقطرة من ذلك الدم قرباناً لله بين يدي آلامي وآثامي .

لقد قطعت انت ايها الحكيم شطر حياتك الاول ،بترف العيش سابغ النعم ، وها انت تقطع الشطر الثاني زاهداً في دنياك راغباً عنها الى دار هي اخلد لك واجدر بك وابقى عليك ، واما انا فقد قطعت الشطر الاول من حياتي شقياً بائساً وها انا اقطع الشطر الثاني سعيداً منعماً فكنت على العكس منك اذ كنت سعيداً في شبابك وشقياً في شيخوختك وكنت شقياً في شبابي وسعيداً في شيخوختي على ان هنالك فرقاً اكبر يشهد بانك اسمى من طرازي واحفل بالفضيلة مني اذ كنت مكرهاً على الشقاء في شبابي ومختاراً في السعادة ايام كهولتي ، وكنت انت مكرهاً على السعادة في شبابك ومختاراً في الشقاء آخر ايامك ، وشتان بين من يُكره على الترف فيرغب عنه ويمنح الشقاء فيرغب فيه ، وبين من يُكره على الشقاء فيتجرعه على مضض ثم يمنح السعادة فلا يرغب عنها ويسترسل في نعيمها الزائل .

لقد حبب تقشفك اليّ ان احيا عاريا ثم لا ارى هذه العرية من الاخلاق تملأ الاعين فسقاً وتضج لها الانسانية في صميم الحياة ، ولعلي ارى اجساداً يضفى عليها النعيم ستائر تحمل في خيوطها شعار الظلم وفي الوانها دم الفضيلة موشعاً بدموع البؤساء من بني الانسان ، ولكم حبب اليّ هذا التقشف ان احيا فاقد البصر كيلا ارى امماً تنهار ليحيا شعب ، وشعباً يتردى في حمأة الهون

ليعتز فرد ، ثم ارى هذا الفرد يتعالى حتى ينسى انه انسان سينزل يوماً ما الى حفرة يستحيل فيها حفنة من تراب .

من لي بان اكون مثلك ايها السيد ، ذليلا امام الله لاكون عزيزاً بين يدي نفسي ؟؟ وهبني حكمتك في ان اتحمل شظف العيش فمن لي بان اكون مكانك من نفوس تنشد الله في ذاتك وتضرع الى الحق بين جنبيك ؟؟ من لي بان اكون مثالا للفضيلة العارية من زخرف الباطل ، فانشد معها الحياة في العزة ، والعزة في التقوى ، والتقوى في الانابة الى الله عاري الجسم خميص البطن دامع العين ساهم الوجه ، لا ارى الا الحق يملأ عيني ولا اسمع الا صوته يرن بين جنبي ؟؟

هيهات يا ابا موسى ! لقد فات الراغب في الحق ان يرى وجه الحق وهو يقول ولا يفعل ويعلم ولا يعمل ، لقد فاتني ان احيا حياتك هذه ولا ازال انجر مع هذا التيار الجارف ، وعقلي لا يزال مأخوذاً بارادتي العمياء . ويداي مغلولتان بين يدي هذه النفس الامارة بالسوء ، هذه النفس التي مر بها عشرون عاماً وهي مسترسلة في غوايتها لا تفقه من الحياة الا انها طعام طيب وشراب لذيذ وان ما يستلزم هذين من متع الحياة وقف على طبعها الاثيم وهواها الجامح .

عشرون عاماً يا سيدي كدت استحيل معها هوى آثماً وطموحاً لا يقف بي عند حد في الحياة ، اريد ان اصل الى اطائب العيش ولو كان معجونا بدموع البؤساء ، وان ألبس افخر الكساء ولو كان مصبوغاً بدم الضعفاء ، ثم اراني حريصاً على ان اصعد الى اعلى قمة تشرف بي على السعادة ولو دست في طريقي

اليها على جثث المظلومين من بني الانسان ٠

عشرون عاماً هي كل حياتي ، أفما طويت فيها شبابي الغض ، والهبت فيها الافق بحرارة انفاسي الملتهبة بين يدي عاطفتي المشبوبة وعزمي الجبار ؟؟ فماذا بعد الاربعين ترى العين وتسمع الاذن من متع الحياة ؟؟ لقد آن لي ان اطوي هذا الرداء المهلهل ثم لا اجد فيه خيطاً اذكر الله به ذكراً يطمعني في رحمته او ينجيني من عذابه ٠

أفي طوق هذه الارادة الضعيفة وهذا القلب الخائر وهذه النفس المطمئنة الى زخرف الحياة الدنيا ، أفي طوق هذه وتلك أن تقلعا عن حياة ملكت علي ان ابصر او اسمع غير الباطل ، وان افكر الا في اوهام لم يزدني التفكير فيها الا ندماً على ما فرطت في جنب الله وحرصاً على ان انتقم لها من نفسي بالزهد او الانتحار ؟؟؟

أفلا يخجل من نفسه من قطع الشطر الاكبر والاسمى من حياته خاضعاً لشهواته ذليلا بين يدي هواه ، ان ينيب الى ربه ولم يبق في يده من حياته الا بقية الدخان والرماد من العود الرطب ؟؟ وبماذا يفيء الى ربه ، وقد حص الشيب جناحيه فلا يقوى على العمل ابتغاء مرضاة الله وليس في طوقه ان يكفر عن سيآته بالعبادة التي يضطلع بعبئها كل قوى لم تتهدم اعصابه ولم يتسرب الخور الى قلبه ؟؟؟

ولقد علمتني خبرة الحياة ودرس الطبيعة القاسي ان لله سراً في خلقه لا يطلع عليه الا من نظر الى الاشياء بقلبه وفكر فيها بلبه ، فليست هذه العلوم وتلك الفنون الا وسائل يتذرع بها العقل الى فهم الحقيقة التي يودعها

الله السكون ونحن ننشدها في الحركة ويضعها في الظلمة ونحن نفتش عنها في النور ، ولعله يكنزها في بطون الارض ونحن نطلبها في السماء .

أفليست حياة سيدنا ابي الحسن الاصفهاني اليوم معجزة يقف العاقل بين يديها حائر الفكر ذاهل اللب ؟ من ذا يدرس حياته منذ نشأته ويدرس شخصه فينظر اليه ويسمع منه ثم يصحبه الى ما شاء من الزمن ويخرج لنا السر الذي من اجله جعل اليه مرجع ستين مليوناً من البشر يخضعون له ويخشعون بين يديه ، غير السكون المهيمن على قلبه والصمت القابض على فمه والاناة المتواضعة في نفسه ، فلا يتحرك الا ليصلي او يأكل او ينام ، ولا يفتح فمه الا ليجيب سائله ، ولا يستعجل امراً لم يكله الى قضاء وقدر ؟

هل في العالم اليوم من يعتقد ان امتلاك ستين مليوناً من قلوب البشر ، يتسنى لغير من يسع العالم بدماغه ثم لا يسعه العالم باسره ، فهو في الشرق يوماً وفي الغرب يوماً آخر ، يقذف به اليم تارة ، ويلفظه البر طورا ، قد صهر نفسه في بوتقة الحياة من علم الى فن ومن ادب الى سياسة ، لم يخف عليه ، وهو في اقصى المغرب ، ما يدور على الالسن ويختلج في الصدور من اقصى المشرق ؟

هل يستطيع مثلي ، وانا الذي طوحت في الغرب والشرق والجنوب والشمال من بسيط العالم بره وبحره ، هل استطيع ان اقنع احدا ذا مسكة من علم مدني ان رجلا قيد نفسه في بلد واحد لا يمت الى الحضارة الحديثة بسبب ولا نسب ، ولعله قعيد بيت واحد ليس فيه من ولائد الحضارة مايسمع به او يبصر شيئاً مما تقوم عليه حضارة نويرك او لندن او موسكو او برلين ، ولعله بعد هذا كله لم يقرأ صحيفة او يسمع مذياعاً يقفه على ما تتبارى فيه

العقول الجبارة من روائع العلم وبدائع الفن الحاضر ، هذا الرجل الذي لا يتكلم في نهاره اكثر من بضع جمل يضطر الى النطق بها اضطراراً ، ولا يكتب اكثر من توقيعه على الفتاوى التي تحال اليه ثم لا يسمع اكثر من جمل يتحدث بها اليه جليسه وهو مثله او قريب منه ، هذا الرجل الذي قصر علمه على الفقه الحنيف واصوله ومقدماته وقصر عمله على العبادة البسيطة والافعال العادية ، يصبح مرجع امة تزيد على ستين مليوناً هو من نفوسهم بالمكانة التي لا يطمع فيها امثال تشرشل وستالين وروزفلت وهتلر من رجالات العالم الذين ملأوا الاسماع والابصار باقوالهم واعمالهم ، هل يستطيع مثلي ان يقنع احداً بوجود هذا الرجل في العالم اليوم ؟

نعم ان هذا الرجل كائن ووجوده معجزة للبشر تدعوهم لان يثقوا بان سر الله يودعه حيث يشاء وان احداً في العالم يحاول هذا السر في نفسه بسبب ما ، هو مخطىء ما لم يملأ نفسه ايماناً بان لله عملاً خاصاً به لا يشاركه فيه غيره وان سيادة العالم باسره هي سر من اسراره لا يؤتيه الا من يشاء من عباده فليست هي في العلم ولا في العمل وانما هي في ذات تريك الله متجلياً فيها وانت ترى وتسمع حتى كأنك تشخص الى عظمة لا عهد لك بها في الخلق وتخضع بين يدي قوة لا تحسها في البشر .

تلك الذات هي ذاتك وذات زميلك ابي الحسن عليك وعليه صلوات من ربك وتسليم خالد ...

الجزائرى

العلامة الشيخ عبد الكريم الجزائري من علماء النجف العرب الاعلام .

« اذا حاد المرء عن النظام العام قيد شعرة تردى في هوة سحيقة من مجاهل الحياة »

الجزائري

« اذا حاد المرء عن النظام العام قيد شعرة يتردى بها في
« هوة سحيقة من مجاهل الحياة ·

« ان في الدعاء المـأثور عندنا خطابا للمهدي المنتظر :
« السلام عليك ايها « الحق الجديد » برهانا على ان التجديد ينال
« كل شيء حتى الدين ·

« لو مكث الاجنبي سنة كاملة في النجف ليدرس الناحية
« العلمية فيها درساً شاملا لعجز عن الاحاطة بها ·

« نحن في حاجة الى الخوماني على ان يبقى كما هو ، وان
« تغير فلنا لا علينا »

كل جزء من وحي الرافدين خليق بان يشتمل على هذا اللقب الاغن ، فالجزائر ، غربية وشرقية ، كانت وما برحت حافلة بالعبقرية علما وادبا وفنا ·

لقد مر بي ذكر اخيك ايها العلامة المجدد فكان زينة الجزء الاول من وحي الرافدين ، لان العاطفة الملتهبة التي يتقوم بها الفن كانت العامل الاول في اخراج ذلك السفر ، وكان انبعاثها من قلبي على يد اخيك العلامة الحكيم ،

والشاعر العبقري ، والخطيب المفوه .

ولعل هذا الجزء يستوفي اجله من الخلود بالتعقيب على ذكره ونشر ما يعوزنا نشره من اثاره الفنية التي تناول بها الحكمة وتحليل النظريات القديمة في الفلسفة ثم اسبغ عليها شيئاً جديداً من روحه الوثابة المرحة .

اما انت ايها الكريم ، فقد احار في تحليل هيكلك الذي يتقوم بالاعصاب اكثر مما يتقوم باللحم والدم والعظم ، وذلك ما يرفع عندي قول احد الغربيين في علم التشريح : ان الاعصاب مبعث العبقرية في الفن ، والفن قوام الحياة وحده ، اما العلم فمن نتائجه »

لعلي تصرفت بالتعريب فزدت شيئاً ينبغي ان يزاد ، ولكني اذ أقول : عبقرية الفنان تتقوم باعصابه ، كأنما حصرت الانسان الكامل في هيكل يتكون من العصب المرهف الحساس ، لان العلم الداخل في صلب الكمال الانساني ، انما هو عارض على الفن ان لم يكن وليده ، فالعالم ما لم يكن على مسكة من الادب خطابة او كتابة ، كان جافا وفاته ان يخلد .

على هيكلك هذا يقوم بناء امة لا يشعر بها الا من دخل هيكلك وحمل اعصابك ، لقد رأيتك تهيمن على الحجة مولانا ابي الحسن هيمنة الولد البار على ابيه المطمئن الى اخلاص بنيه ، وابو الحسن من قرأت رأيي فيه قبل عام وتقرأ لي رأيا آخر فيه على صفحات هذا الكتاب ، اذ لا اثق من اني وفيته حقه فيما كتبت ولن اوفيه بعض هذا الحق فيما اكتب .

رأيتك تدخل على الحجة كانك تدخل منزلك ، وتجلس اليه كانما تجلس الى ابيك او اخيك الاكبر ، ثم رأيتك تقول فيسمع قولك وترى فيحترم

رأيك ، وتطلب فيلبي طلبك ، حتى كانك كنت الآمر والمنفذ معا ، وكانك انت الحجة لابابه ولا مستشاره ٠

امن السهل ان يصل المرء الى مكانتك هذه يا سيدي ؟ افلا تستلزم هذه المكانة جهوداً جبارة في القول والفكر والعمل ؟ اولم يخر كثير من العزائم الماضية على ابواب الملوك والامراء من رجال قهروا الدهر بما تنكروا له وتظاهروا عليه ؟ اولم تتدحرج رؤس وتطير ايد في سبيل الزلفى من السلطان في السياسة والدين ؟

فليس من السهل ادراك هذا المنصب الذي ابرهت فيه عن قوة في عالمي العلم والتقوى بين يدي حجة الله وعلى السبيل التي يسلكها العلماء الابرار من قبلك ، افكنت كما ارى ام فقت هذا الرأي بانك تجمع الى خذقك في العلم خذقا يخولك المنزلة السامية في السياسة ايضاً ٠

لقد سمعت وقرأت عمن سمع انك سياسي حاذق فوق كونك عدلا ثقة في ابناء صنفك ممن يرون السياسة ، ان لم يدعمها الدين ، محض نفاق وكذب وخيانة وغدر ٠

ولعلي صدقت ما سمعت اذ جلست اليك وشخصت بين يديك الى تلك الجبهة الناطقة بابلغ ما يقول اللسان ويحبر القلم من معجز الكلم الحي ٠ لقد رأيتك ثم سمعتك فاكبرت ما سمعت منك فوق اكباري ما سمعت عنك واذ ذاك ادركت حكمة الشاعر حيث يقول :

كانت مسامرة الركبان تخبرنا	عن جعفر بن رباح اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت	اذني باطيب مما قد رأى بصري

ابو الحسن ، وهو يهيمن على ستين مليوناً من العالم هيمنة تمس الروح فوق مساسها الجسد ، يعتمدك في بطانته ويركن اليك في اسراره ، ويعول عليك في كثير من عيونه واخبـاره ؟ لمن تكون هذه الثقة وبمن ؟ وممـن يا سيدي ممن ؟

وعلى ماذا آتي مما تقول بالتحليل ؟ اعلى قولك ؟ اذا حاد المرء عن النظام العام قيد شعرة هوى الى الحضيض الاسفل من مجاهل الحياة ؟ » ام هل اعرض لقولك لي : نحن في حاجة اليك على ان تبقى كما انت ؟ لا لست مجيبك في هذه الرسالة عن واحدة من هاتين ، اذ عرضت للاولى في رسالتي الى الحجة من الجزء الاول ، وعرضت للثانية في رسالتي الى اخيك اذ قال لي : إنا في حاجـة لان تكون بيننا في النجف وعـلى سيرتنا ومـن صميم العصبة التي تتألف منا »

اما الذي احب ان اعرض له من جوامع كلمك فهو قولك لاحـد الاميركيين اذ زارك : لاتستطيع درس النجف درساً شاملا ولو مكثت فيها عاماً كاملا » نعم ساعرض للبحث حول هذه الكلمة القصيرة الموجزة ، التي تحك بقرنها السماء وتخرق بقدميها تخوم الارض :

لقد صدقت بكلمتك هذه ، ولعلي وحدي اقوى على تعليل صدقك فيها ، لقد رأيت في شرقنا العربي ثلاث مدن يشق على الرحالة الباحث ان يدرسها بسهولة حتى ينصب كثيراً ثم لا يخفى نصبه عن قارئيه او سامعيه ليخفف من آلام هذا النصب عن نفسه ، اول هـذه المدن النجف والثانية القـدس والثالثة بيروت .

وينشأ النصب في درس هذه المدن من تعدد الثقافات واختلاف اللغات واضطراب الاهواء والمنازع ، فالنجف فيها العربي والفارسي والهندي والتركي والصيني ، ولكل من هؤلاء لغته وثقافته وهواه ،وتجمعهم الرابطة الدينية وجامعة اهل البيت المذهبية ·

والقدس فيها العربي والصهيوني ، والاغريقي ، واللاتيني ،والسكسوني، والجرماني ، والروسي ،ولكل من هؤلاء لغته وثقافته وهواه ومذهبه ، وتربط بينهم الجامعة الدينية فقط ·

واما بيروت ففيها العربي والافرنسي والاميركي والانكليزي والايطالي واليوناني والالماني والارمني والاشوري والتركي واليهودي ، ولكل من هؤلاء لغته وثقافته ودينه ومذهبه وهواه ، وليس لهم جامعة دينية ولامدنية

فالنجف يختلف اهله في اجتماعاتهم الخاصة لغة واخلاقاً ومنازع في الحياة، ولكنهم يجتمعون في المدرسة الدينية الجامعة تحت سماء واحدة لغتها عربية وثقافتها اسلامية ، ومذهبها التشيع ، فعلى من يحاول درس النجف ان يتغلغل فيه لتتوفر لديه معلومات عن ثقافاته ولغاته واخلاقه الخاصة في المنازل والمباذل ، ثم عليه ان يتطوع لشهود الدروس الجامعة في المساجد والمعاهد والدواوين ·

واما القدس فلا يجمع اهله غير كنيسة القيمة للنصارى اذ يزورون قبر المسيح فقط والمسجد الاقصى للاسلام،واما بيروت فيستحيل على الرحالة درسها الان سياسة الاستعمار الاجنبي فيها غمرت معاهدها ومعابدها وانديتها ومحافلها بالاسرار الغامضة التي يستحيل معها الدرس الشامل الذي يكشف عن جامعة تربط حتى الجار بالجار ·

فالعلوم في النجف اذ تدرس في المنازل والمساجد والمدارس على غير نظام والادب الفوضوي فيها اذ يطغى على الدواوين والمحافل ، يشعرنا بصعوبة درسها على الاجنبي الطارىء ، والادب في النجف اسمى مظاهر هذه النزعات في الثقافات المتعددة والاهواء المختلفة واللغات المتباينة ، فمن شهد دواوين النجف وسمع اقوال الادباء والشعراء باللغتين العربية والفارسية علم مبلغ ما تتحلى به هذه المدينة الصغيرة من العبقرية في الآداب والفنون .

فقد اعد من الشعراء العرب في هذه المدينة اضعاف ما ينتشر في العالم العربي كله ، ولعل شعراء النجف في الطليعة من شعراء العرب ان لم يكونوا هم اياها ، وفي شعرهم من التجويد والجدة ما ليس في شعر غيرهم من الاقطار العربية لامتزاج الروح الفنية بمختلف هذه الثقافات .

فمن هذه الفوضى في الدرس والتدريس وفي اللغة والثقافة تنشأ الصعوبة في مهمة الكاتب الباحث ، وعلى هذه الفوضى تبنى كلمتك للسائح الاميركي اذ تشير فيها الى ان من يريد الكشف عن ناحية النجف العلمية فعليه بارتياد المدارس الخاصة ، والتغلغل في المنازل لشهود الدواوين والاجتماعات ، والى ذلك يجب عليه ان يكون عريقا في عدة لغات اهمها العربية والفارسية والتركية . وان يكون ضليعاً من العلوم النظرية والانسانية القديمة والحديثة ليغادر النجف وفي رأسه صورة صادقة عن العلوم والآداب المهيمنة على هذا البلد .

ولعلي اثبت ذلك فيما يستقبلني من فصول هذا الكتاب المعنية بالادب والفن .

ما اقصر الزمن الذي جمعني بك هذه المرة ، فلقد وددت ان يطول ، ووددت ان اتبسط معك في الحديث اكثر مما تبسطت ، وكم كنت احب ان انقل اليك صوراً كشافة مؤلمة عن الشيعة في الهند وفي المهجر الاميركي بما يسودهم من فوضى وقلق وخمول .

اظنك قرأت رسائلي اليك من حيدر آباد وسيلان وبونس ايرس ، واعلمتك ان نديمي الملك في « الدكن » من الشيعة الامامية ، ولعلهما بطانته الخاصة واقرب الناس اليه ، وهو يتشيع كما علمت من مرافقي لان امه الشيعية نفخت فيه هذه الروح فنمت ، ولقد حاولت ان استعين بهذين النديمين على استغلال تشيع الملك لافادة الاماكن المقدسة والمشاريع الشيعية التي نسعى اليها في سبيل تعزيز قوتنا ورفع هذا العضو الاشل في جسم الاسلام الى مستوى الامة الناهض .

وعبثاً حاولت ان اجد تماسكاً بين افراد هذه الطائفة ، او غيرة على المؤسسات المنشأة او التي نصمم على انشائها ، واثبت لهم بالطرق المشروعة الراهنة وجود هذه المؤسسات في العراق وسوريا ولبنان وايران ، وقدمت له مؤلفات وصحفاً ورسائل تعزز هذه الدعوى الصريحة .

انهم اشتات القلوب لا يجتمعون الا لافراحهم او اتراحهم ثم لا يرون في شيء من السنن التي تجمعهم ، دافعاً يحركهم للتفكير فيما هم فيه من ذل وفقر وجهالة ، فيتنادون لما يحفظ كرامتهم ويحمي ذمارهم ويعلي كلمتهم ويضطر الامم لان تحسب حساب شعب يشغل جزءاً رحباً من العالم ، وله قدم سابقة في بناء كيان الاسلام ، وفي عداد رجاله من لا يجهلهم التاريخ ويحفل

بآثرهم سجل العبقرية الخالد .

اما في اميركا ، ففي بلدة واحدة ما يزيد على عشرين الفاً من الشيعة لا مدرسة تثقف ابناءهم ولا مرشد يعصمهم من الزيغ ويعظهم بايام الله ، بينما نجد النجف تعج بالعلماء والفقهاء الذين لا عمل لهم الا الاكل والنوم، فهل في صالب الدين عظة بالغة وحجة دامغة اوضح ممن علم على من لا يعلم؟ افما كتبت لكم من العالم الجديد يومذاك عن هذا الملأ الهالك من الناس ان لم تنقذوه بواعظ مرشد دونما زاد تتكلفونه او مشقة تنالكم في هذا السبيل ؟

أفليس من العار علينا نحن الشيعة خاصة والمسلمين عامة ، ان يقوم في اميركا مبشرون من البابيين واتباع احمد القادياني فيشيدوا المعابد ويبنوا البيع والصوامع لمذاهبهم الزائفة ويتبعهم خلق كثير ممن يتطلعون الى العالم الروحي ثم نتوانى عن التبشير بديننا السمح ونعجز حتى عن حفظ ابنائنا الذين هاجروا منذ عشرات السنين في سبيل الرزق حتى اوشكت حياتهم ان تتصرم وهم في نجوة من الدين والاخلاق ؟

فلماذا يا سيدي تغضون عن اعداد العدة للدعوة الى الله ، افما هو في صلب القرآن : ولولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الخ . .

أفعسير عليكم ان تخصصوا فرعاً للتبشير في جامعتكم الكبرى التي تنفقون عليها الملايين من الدنانير كل عام ؟؟

والتبشير لا يحتاج الى اكثر من تعلم بضع لغات اجنبية حية في العالم لبضع عشرات من الفقهاء المخلصين لله في الدين ثم ارسالهم بعثات للاقطار الحافلة بالحريات الانسانية كما يفعل اللاهوت المسيحي فيرسل دعاته الى مجاهل

افريقيا وغابات الهند ومفاوز ما بين سيبيريا وبلاد الصين ·

لقد نقل لي رجل من الشيعة في حيدر آباد ان التبشير المسيحي في الهند قد نجى الملايين من الوثنية ، ونقل لي رجل آخر في امريكا ان للبهائيين ماينيف على المليون في الولايات المتحدة ارقى بلاد العالم ، ونقل لي رجل في مدراس من بلاد الهند ان للقاديانيين موسماً يحجون فيه الى قبر مؤسس مذهبهم احمد القادياني فيجتمعون مئآت الالوف كما يجتمع المسلمون في رحاب مكة ايام الحج ·

كل ذلك وليد الدعاية التي يعتصم بها من لم يقبض على دين كديننا ولا استمسك بمذهب كمذهبنا ، ثم لم يعوزنا مال ولا علم في هذا السبيل اللهم الا نهضة يتحرك بها امثالك من احبار الامة الذين هذبتهم الايام وحنكتهم التجارب واحاطوا علماً بما يحدق بالعالم اليوم من جديد حتى رأيتك تستقبل سؤالي اياك اول ما لقيتك بقولك ان في ادعيتنا المأثورة في زيارة صاحب الامر : السلام عليك ايها الحق الجديد ··· وما هو هذا الحق الجديد وهل في الحق جديد وقديم ؟

نعم ان في الحق جديداً هو الحق القديم المهجور حتى تراءى لنا باطلا، وان في الباطل جديداً هو الباطل القديم ، زخرفه لنا الطاغوت من شياطين الجن والانس حتى تراءى لنا حقاً · فاذا خرج المهدي المنتظر كشف هذا الزخرف عما نراه حقاً فظهر الباطل من ورائه ، وعمد الى ما نراه باطلاً فمسح عن وجهه غبار الاهواء حتى ظهر الحق جلياً تحته فعرفنا به الحق من جديد ·

والامام اذ يظهر فيكشف عن الحلال الحق ويصفع به وجه الحرام

الباطل حتى يظهر لنا كل شي جديدا بما يطهر به نفوسنا من ادران القدم التي توالت على الدين ، من الشعوبيين الذين يكيدون للدين باسم الدين ، ومن جهلاء الامة الذين لم يفقهوا الدين حق الفقه بما اوحت اليهم السلائق العوج والعقول الملتوية ، يظهر لنا اذ ذاك كل شي. جديداً ، ويطلع علينا الامام المجدد بما لا عهد لنا به من حق هجرناه وباطل الفناه فكان هو بنفسه حقاً وكان ذلك الحق جديداً .

وهل تحتمل هذه الرسالة اليك ما احتملته رسائلي الى العلماء قبلك ، من التدليل على الحق المهجور والباطل المألوف عندنا حتى ثارت النقمة علي ممن لم ترقهم صراحتي في النقد ، وثورتي على الباطل الذي يرونه حقاً ويراه الله وملائكته بعيدا عن الحق ؟

هل تحتمل هذه الرسالة ان اشير بها الى ما يتغلغل في كياننا من باطل نحسبه حقاً ، وان ادل على حق فرمنا ونحن نسمه بالباطل حتى اصبح الباطل غريزة لا نستطيع الاقلاع عنها بطبعنا وان تنبه له موهوب من الحق انكروا عليه تجديده وتنكروا له فاما ان يجبن فيأثم او يجرأ على الصراحة فيعرض نفسه لاشد الاخطار هولا ، وربما ذهب ضحية صراحته في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

سامحني ايها المصلح المنصف ، فقد تثور بي العاصفة احيانا فاصل بها الى حيث لا اسمع ولا ارى الا ما يوحيه الي ضميري ، وما تلهمني اياه طبيعتي ، وما يحملني على الصدع به خلقي الذي نشأت عليه منذ اوتيت مسكة من ادب او علم .

فلن اتحول عن مبدأي هذا ، ما استطعت حمل القلم وتحريك اللسان في سبيل الحق ، فان اصبت فقد قمت بواجبي تجاه ما اعتنق من مبدأ وما أومن به من عقيدة ، وان اخطأت فالله وحده اسأل ان يشملني بعطفه ولطفه ويغفر لي ما اقترفته من اثم توقعت ان اتحاماه فوقعت فيه .

وبعد فإنا في حاجة تمسنا في كياننا الى التذرع بك وبامثالك لان ننشط من عقال الهون الذي غل ايدينا وصفد ارجلنا حتى رسبنا في قعر هذا البحر المتلاطم من الذل والفقر ، فانهض يا سيدي بامتك الى حيث تشرف على الحياة من شاهق يملأ قلوبها بالنور ، وتبصر على ضوئه الطريق الذي يصلها بامامها المنتظر وهو يشير لها بكلتا يديه الى الحق الجديد .

انهض ايها السيد فاني اعهد فيك العقل السليم من آفات الدهر ، والروح الظاهرة على الزمن ، والعزيمة الصلبة التي لا يقف في وجهها ، دون ان ترى النور ، حائل ، والفكر الباعث على التجديد في بلد يكاد يتغض من القدم ، وارى فيك ، الى هذا كله ، صدرا رحباً وخلقاً سمحاً تسع بها امثالي من الحشريين الذين يزجون انفسهم في كثير من المواقف التي لا تتلاءم وحياتهم الدنيا .

المرتضى

العلامة الشيخ مرتضى آل يس من علماء العرب الاعلام ويقطن مدينة كربلاء وهو في العقد السادس من حياته .

« الزعامة الدينية موجودة بالقوة ومفقودة بالفعل .

« تخريج العلماء بشكل منظم ووليد امتحان امر

« ضروري ولكنها مسألة ليست فردية وانما تتجاوز الافراد

« الى المجموع .

« لقد دعيت للعود الى النجف من قبل الحجة والعلماء

الاعلام ، وانا في حيرة من امري بين الواجب الديني الذي

« يأخذ علي ان أغادر كربلاء ، وبين الواجب الصحي الذي

« يدعوني لمغادرتها .

المرتضى

سيدي العلامة .

ما اجمل ما يأتي به الصباح احياناً كثيرة ، واجمل ما تمتعت فيه بنعمة سابغة هو هذا الصباح الذي فزعت فيه من آلامي واحلامي المزعجة في كربلاء الى المشهد الحسيني المقدس ومنه الى منزل المرتضى من آل ياسين .

حقاً لقد شعرت ، وانا ادخل عليك ايها العلامة الجليل ، اني انا ادخل على ملاك عظيم القدر ليس فيه من صفة البشر الا الشكل ، واما العقل فيرتفع الى حيث يسمو بك عن مستوى الانسان .

ما اسد منطقك وانت تقول : الزعامة الدينية في النجف موجودة بالقوة ومفقودة بالفعل » آمنت يا سيدي بان قولك حق ومن ينكر هذا ؟ فقد وضح الصبح لذي عينين وظهرت الحكمة في ان الله يضع رسالته حيث يشاء وان الفرقة العلوية الامامية الاثني عشرية تتقيد بالزعامة الدينية روحياً ولكنها لاتتقيد عملياً ، ولست اتوقع ان اسمع منك هذا الحكم على تلك الفئة حتى اسمع شيئاً آخر يحسن سكوتي عليه بين يديك :

أفلا تدلني يا سيدي على السبب الذي من اجله فقدنا الزعامة الدينية

بالفعل واحرزناها بالقوة ؟ وماذا وراء القوة الكامنة في الفرد او المجتمع اذا لم تبرز الى حيز الوجود ويظهر اثرها في العالم ؟ هل النية في الصلاة تجزي عن الصلاة ؟ وهل العزم على الجهاد يجزي عن الجهاد ويدفع غائلة العدو الداهم ؟

ولعلك تريد بكلمتك هذه ان الشيعة مجمعة على زعامة السيد ابي الحسن مثلا ولكنها لاتشخص اليه شخوص الرعية الى الراعي ثم لا تحدق به احداق الجند بالقائد ، ولعلها لاتخضع له خضوع الشعب لسلطانه المهيمن عليه بالقوة الجبارة ؟ لعلك تريد ان تقول ذلك ، وان تشير الى انا جميعاً نرى الزعامـة متوفرة في هذا الامام ولكن آثار الزعامة بالفعل لا تترتب على اعترافنا وعلى الواقع الملموس كما هو الواقع في ازهر مصر .

ثم الا تدلني ايها المصلح على مايحول بيننا وبين ان نقتدي بمصر في الزعامة الدينية فنكل امرنا الى واحد فقط ونجمع الرأي عليه ونحمله عـلى تنظيم دائرة واحدة تجمع في كيانها عشرات الآلاف من الطلبة تحت نظام واحد ، تدرس العلوم دينية ومدنية مشفوعة بالاخلاق المحمدية ، وتضمن للمتخرج معاشه فلا يحتاج الى تملق من بعث لاصلاحه ؟

لقد حدثني العلامة الشهرستاني : ان الازهر كان ثلاثين سنة خلت ينفق ربع مليون على سبعة آلاف وكنا ننفق نصف مليون على اثني عشر الفـاً ، وقبل عشرين سنة كان ينفق هو مليوناً على سبعة عشر الفاً ونحن ننفق ربع مليون على سبعة الاف »

« اما اليوم فالازهر ينفق بضعة ملايين على عشرات الالوف من الطلاب ونحن ننفق بضعة ملايين على مئات » فما الذي جر علينـا ان يهبط مستوى

الاقبال على العلم في معاهد النجف ويرتفع مستوى الانفـاق بينما يتساوى الارتفاع في الازهر بين الانفاق والاقبال ؟

هل هناك سبب خلاف ما ندعوه نظاماً ونعتبره تصرفاً حقاً في اموال الله الموقوفة على خدمة العلم والدين ؟ وهل كان السبب في تقدمهم ، على كثرتهم ، وتأخرنا ، على قلتنا ، والمفروض في القلة العز وفي الكثرة الذل كما هو الواقع في خمسة عشر مليوناً من اليهود واربعمائة مليون مسلم ، هل كان السبب في تقدمهم وتقهقرنا الا ان الزعامة الدينية عندهم موجودة بالفعل وعندنا ليس لها وجود الا بالقوة كما تقول ؟

كلما حاولت الهرب من بحث هذه الشؤون اراني عدت اليه مكرهـاً ومن حيث لا اشعر ، ما ادري ولعل الله سخرني لان اثير العواطف والهب العزائم من احرار شعبي ، وحسبي ان اكون قـد قمت بهذا الواجب ، ولعله واجب اول تقوم به نهضتنا العتيدة اللاءمة من خلال هذا التحسس القـائم على ثورة النفس والالم الممض بين يدي عصر لا يقوم فيه الا العلم ولا ينفع العلم فيه ما لم يكن مشفوعاً بالدين .

ولدى أن عرضت بين يديكم امر التنظيم الجزئي في جامعـة النجف وهو تخريج العلماء على اساس الكفاءة والاهلية ، واثبات هذه الكفـاءة بالفحص قبل اعطاء الشهادة العالمية ، قلتم : « هـذه مسألة تتجاوز الفرد الى المجموع » ، ولم اسألكم اذ سألتكم ذلك ، ان تضطلعوا بعبئها وحدكم ، ولكني عرضتها فكرة تتبنونها لدى مجلس علمي شامل يجتمع فيه اهل الحل والعقد من اعيان العلمـاء ، فهل في ذلك مشقة عليكم ؟ وهل يحول دون

«معالجتكم هذا الداء حائل ؟

اما ما اراه في مغادرتكم كربلاء او بقائكم فيها فأرى ان لا تخلو هذه المدينة الفاضلة بشهدائها من ذات طيبة ينميها الى اسرة آل يس علم حافل بالحكمة البالغة والخلق الحميد ، افما تحب ان تكون كربلاء مزدانة بك كما تزدان النجف والكاظمية باخويك العلامتين ؟؟

ان من اسبغ نعم الله على اسرة واحدة ثلاثة اقطاب في العلم والدين ينتشرون في امهات المدن التي تقوم عليها اركان المذهب الجعفري في العالم ، وان من اشرف خلال هذه النعمة ان يكون علمكم ودينكم في المنظر الاعلى من ثقاة الطائفة وقادة الرأي فيها ، ولعل تسخير هذا القلم العاملي من قبل الحق ليسجل مآثركم ويبعثها الى الاجيال ، لعل هذا مما تهمس به الحقيقة في اذن الواعي الحر مشيرة الى ان الفضيلة لا يغمرها خمول وليس للباطل عليها من سلطان .

فعليك ان تصمد في مقرك وعلى اخويك ان يصمد كلاهما في مقره وعليكم جميعاً ان تلحظوا انكم مسؤولون عن نشر العلم والاخلاق في هذه الاماكن الثلاثة واذا لم يتوفق احدكم صحيا فليحلل مكانه اخر وليكن هو خليفته في ذلك المكان .

«انسى والله تلك الطلعة التي قابلتني بها فقرأت عليها اسم الله محوطا بالنور ، فادكرت اذ ذاك خلق اخويك في النجف والكاظمية ثم قلت مستعينا على «اشعر تجاهكم بقول الشاعر :

ورثوا المكارم كابرا عن كابر   فهم كعقد الدر جل الناظم

ما تقول يا محترمي الفاضل في امر الاصلاح المنشود من خريجي النجف اليوم ؟ هل هو كما كان قبل خمسين عاماً ، يصدر المرشد عنكم الى قرية كبيرة او صغيرة ، او الى مدينة او حي من مدينة ، فيتخذ زاوية يعتكف فيها ثم لا يطلع على القرية الا للصلاة في مسجدها او للاكل على موائدها؟فاذا استفتاهم احد افتوه بما يرون ، واذا دعاهم الى شأن من شؤون دينهم او دنياهم لبوا دعوته ، ثم اذا لم يُستفتوا او يدعوا لبثوا في هدوئهم الشامل وغاصوا في نومهم العميق ؟

أهذا يا سيدي كل ما ينشده الحق من العالم الذي هدر من حياته عشرين او ثلاثين عاماً ليكون مصلحاً ؟ فتش هؤلاء في رساتيقهم ودساكرهم ، هل ترى غير من ذكرت لك ؟ اللهم الا بضعة نفر من آلاف ، ينشئون مدارس تقوم بهم ثم تذهب بذهابهم من الدنيا اذ لم تقم على اساس متين من التفكير الحر والنظر الصائب في تأسيسها وبعثها الى الاجيال حية خالدة الاثر .

فهل تسألني عن الاوقاف ماذا يصنعون بها ، وهي العامل الاول في تغذية العلم والعلماء لو نظمت وقام عليها مصلح امين ؟ انها وحدها تضمن نتاج تلك المدارس من العقم ، وتحفظها من الدمار ثم تضمن بقاءها على الدهر .

وهل تصدقني اذا قلت لك : ان الاصلاح على شكله القديم اصبح عقيماً واصبح العالم رمزاً للبؤس والشقاء والتسول ، واصبح كلاً على الناس في طعامه ومنامه ، وتطامنت منزلته في المجتمع الى حد يتمنى معه العود اليكم والموت عندكم بدلا من الحياة بين اهله وعشيرته .

ذلك لانا لم نتطور بالاصلاح مع الزمن ، فالاصلاح كان قبلا بنشر التعاليم

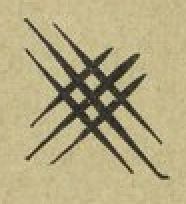
الاسلامية على الناس ليعصموهم من العدوان القائم على الغش والكذب والحسد ، وقد كانت سوقه نافقة آنذاك اذ لم يكن للعلم الحديث تسرب الينا بسمومه وجشعه وفساده ، فكنا نقنع من الطعام بالخبز ومن اللباس بالشمار ومن السكن بالكوخ ثم من السعادة بالامل فيما بعد الموت من نعيم سابغ وثواب خالد .

اما اليوم ، وقد ضرب الاستعمار حولنا نطاقاً من الكفر والشرك ليس في طوقنا الخلاص منه لما منينا به من فقر وجهل ، ولا في طوق هؤلاء الصادرين عنكم ان يضمنوا لنا النجاء بما جمدوا عليه من عقل يركسهم الى الوراء الف عام .

فالاصلاح اليوم ، ايها المصلح ، لا يقوم عندنا الا على اساس العلم ، العلم بجميع انواعه على شريطة ان يتقوم بالنظام ويعتصم بالاخلاق النبوية من الفساد ، فكل مرشد تبعثونه من لدنكم ، اذا لم يضع نصب عينيه منهجا للعمل يقوم على نشر العلم الحديث ، وتهذيب العلم القديم مشفوعا بنظام يحفظ سيره ويضمن نتاجه ، ومكلوءاً بالتعاليم الدينية يتلقنها التلميذ وهو يتلقى دروسه من عالم حكيم مخلص ، كل وارد الينا من لدنكم لم يحمل هذه الرسالة ولم يؤهله لها خلق صالح وفكر لا عوج فيه ، فانما يرد علينا لينتحر وليزيد في جهلنا وفقرنا ثم يقودنا الى حيث ننزل واياه في هوة لا ينشلنا منها الا نبي مرسل او امام منتظر .

ارجو يا سيدي ان اكون خفيفا عليك فما اوقرت به سمعك من جزاف القول . على اني اعول ، في شفاء صدري مما يضغطه ، على رحابة صدرك

وسعة حلمك ثم الاصغاء الى ما اقول وتبرير هـذا القول بالعاطفة الدينية التي لا يملك امثالي غـيرها ، ابقاك الله للامة سلامة وعصمك ممـا يسوءك في حياتك .



الباجه‌جى

الاستاذ حمدي الباجه‌جي رئيس حكومة العراق وهو من الشخصيات المحبوبة المخاصة ويكاد ينهد الى العقد السادس من حياته .

« علينا ان نعمل دون ان نصغي الى ما يقوله الناس عنا ، فالانسان مكتوب عليه ان يعمل باخلاص ولا يتوقع جزاء . »

الباجه جي

ما اعجب ما يأتي به الزمن !! أجتمع في بغـداد عاصمة العراق الى رئيس حكومتها فيدلي الي برأي الملح من ورائه شخصية تذوب في انسانيتـه ، ثم اغادر بغداد الى بيروت عاصمة لبنان فاجتمع الى رئيس حكومتها ويدلي الي برأي ، اكاد ، لو لم افتح عيني جيداً ، احسب ان من يتحدث الي هو رئيس حكومة العراق وداعة ودماثة وصدقاً واخلاصاً ، الاول هو حمدي الباجهجي والثاني عبد الحميد كرامة .

ما اكرمك على التاريخ يا صاحب الدولة العراقية ، وما احفـل التاريخ بالرجال امثالك ممن يفعل اكثر مما يقول ، ثم هو لايسأل امته اين تضع فعله .

فالرجل العظيم ليس من يفعل ليقال فعل ، ولا من يفكر في منزلة فعله من ابناء جلدته قبل ان يفعل ، ولا من اذا فعـل ولم يقم الناس وزناً لفعله فترت همته وبردت جوارحه وغار دم الحرارة في عروقه ، ولا هو هـذا الذي يملأ الدنيا ضجيجاً اذا فعل حتى يشتري قناطير من الثناء بدرهم من الاحسان .

ليس العظيم واحداً من هؤلاء ايها السيد ، ولكن العظيم من يستهدف الحق اذا فعل ثم لا يرى انه فعل اكثر مما يجب ان يفعل ، ولا يقيس عظمته

على فعله اذ يرى ان العظمة فيما تسمو بالانسان على كونه انساناً وهذه صفة تختص بعالم فوق عالم الانسان .

اما هذا المخلوق الضعيف الذي يستر ضعفه ويسد خلته بعمل يتساند فيه مع اخيه الانسان ليخلصا معاً الى قوة تحميهما من الوحشية التي رافقت اجدادهما الاول يوم كان الانسان وحشاً يرى القوة في البطش والفتك في نوعه حتى اذا لهزه حيوان اضعف منه تفكيراً عرف انه اضعف خلق الله .

ما شعرت بكرامة الحكم وهيبة السلطان ، الا ساعة جلست اليك في مكتبك وغادرت كرسيك التي يتهافت عليها عبيد الحكم تهافت الفراش على النار ثم جلستَ الي على مقعد متواضع تسألني الفرق بين العهدين في لبنان العهد الغابر والعهد الجديد الذي يتمثل في شخص الزعيم «كرامة».

واعطيتك اذ ذاك طرفاً من السياسة القائمة عندنا والجالية عنا ثم اتخذت من حديثك وحيا حجرته رسالة ابعث بها اليك خالدة مع الدهر .

قد يكون رأيي في السياسة ايها المصلح المخلص يخالف جمهور الساسة من الناس ولا يصادق عليه الا النفر القليل منهم ، ذلك لان الجوهر نواة كالبذرة التي تلقى في التراب لتجذر ، واما العرض فكل ما يشتمل عليها من عروق وجذوع وفروع ، وفي كل ذلك ما يزن للعين والاذن اضعاف ما تزنه النواة ، افلا يكون الحق جوهراً والباطل عرضاً ايها السيد ؟

من ذا ينكر ان الصدق ، والوفاء ، والاخلاص ، والمروءة ، والتواضع والحمية ، والسخاء ، هي خلال تسمو بالانسان وترفعه الى المستوى الذي يتعالى به على غيره من الحيوانات الدنيا ؟ ومن ذا الذي يجهل ان الكذب ، والخيانة

والغش ، والخديعة ، والكبر ، والجبن ، والبخل ، هي خلال تسف بالانسان وتضعه الى المستوى الذي ينحدر به عن الحيوانات ؟

فهل اسألك بعد هذا ايها السيد ، لماذا يرى الناس ان السياسة يجب ان تبنى على الكذب والخديعة والغش والغدر ، ونحن نعلم ان السياسة هي اولى وسائل العمل التي يقود بها السائس شعبه الى الحياة السامية ؟ وهـل الحياة تسمو بكونها وليدة رياء وتدجيل وغش وكذب ؟ وهل السائس الذي يجب ان نخضع له ، ونأتمر بنظامه ونخشع بين يديه ، يجب ان يكون دجـالا كاذباً محتالا ؟

هكذا يحدد السياسة قادة الفكر في المجتمع ، وهكذا يعـذر الناس الساسة الذين يذهبون هذا المذهب في رعاية الامـة ، وهكذا يرفعون من قدر كل دنئ خسيس يتعـالى عليهم باسم السياسة ، والسياسة عنوان لرقي الكاذب الغشاش وخضوع المخلص الحر بين يدي سلطانه فهـل في سجل التاريخ افظع من ان يسجل الانسان على نفسه مثل هذا ؟

الانسان ذو العقل ، وذو الفكر الجبار ، وذو القلب المتفجر بما يصبغ الافق ويلون الحياة ، الانسان هذا الذي تراه صغيراً وهو يحمل الكون بين جنبيه ، هذا الانسان يرضى لنفسه ان يكتب عليه في سجل الخلود ، عدوانه للباطل واعترافه بان الباطل يكاد يكون وقفاً على الكذب والنفاق والغش والخيانة والغدر ثم يرى ان السياسة التي يخضع لها ويعتصم بهـا يجب ان تنطوي على هذه الخلال . '

هل هنالك ابعد اثراً في جرح الشعور الحي والحز في النفوس الشاعرة ،

من هذا الاثر الذي يتركه لنا آباء موهت لهم اهواء الشعوبيين الخوارج على العروبة قديماً وحديثاً ، زخرف الباطل بجلال الحق وجماله ، وسجلت علينا العار الى الابد فمشى الابناء على نهج الآباء باتخاذ الكذب والخيانة والخسة عنواناً للسياسة التي هي اسمى وسائل الانسان ليعيش حراً ويموت كريماً ؟

هكذا يا سيدي نرى اكثر ساستنا اليوم ، وهكذا نلمس السياسة منهم ، فيسيئون الى الامة ويحطون من كرامة الوطن باتباعهم اساليب السياسة الخرقاء الملتوية ، ويعدون منها المصانعة والمخاتلة والنفاق والخدعة والمراآة فتتقهقر الامة بفضل ذلك ويعدون تقهقرها من ضعف السياسة فيبالغون بالحذق في هذه الاساليب والامعان في التفنن بها وتزداد الامة انهياراً فينسبون كل ذلك الى ضعف السياسة ايضاً .

وكان من الحكمة ان تضطرب الشعوب ، وان تتنافس على الحياة ، وان تتزاحم في ميدان الجشع ، وان تشتبك في مجال الصراع ثم تتناحر وتمعن في التناحر ، فاذا سهول الارض وجبالها مجازر بشرية ، واذا وهادها وفجاجها بحار من دم الانسان .

كل ذلك وليد السياسة الخرقاء في الحكومات ، وهذه السياسات تحدرت الينا في الاصلاب من عتاة دخلاء وشعوبيين اختلطوا بالعرب من قبل فأفسدوا عليهم قوميتهم ودينهم واخلاقهم حتى قهرهم عدوهم وابتزهم حقوقهم ، وآل الامر بعد ذلك لهؤلاء الدخلاء فتداولوا الملك بينهم واستمر يهوي بهم وتوالت النكبات على الامة العربية حتى اتصلت بنا ، فكان ما اصابنا وليد اخطاء درج عليها آباؤنا من قبل ، وتلك الاخطاء لا تعدو الجهل في

السياسة واتخاذها اداة للفساد في الارض .

فالسياسة يا سيدي ما لم تبن على الصراحة والصدق فلن يسود العالم سلام يتذوق به طعم الحياة ، والسياسة ما لم تقم على دعائم اثبتها العدل على صخرة من الحق لا يمكن ان يبنى عليها ملك تكلأه القوة العليا بيد لا تنفصم وعين لا تغفل وسلطان لا يزول .

هكذا سياستنا اليوم في لبنان وتتمثل في شخص رئيسه ، وارى عين هذه السياسة في العراق ممثلة في شخصكم الكريم الذي لمست فيه دماثة الخلق ورقة الطبع وصفاء النفس ونقاء الضمير ، ولكم كنت واثقاً من ان الحكومات العربية تسير بخطى سريعة ورحبة الى امانيها ، اذ سمعت حديثكم ورأيت عملكم واصغيت الى كثير من اقوال الناس حول ماتقومون به من عمل طيب .

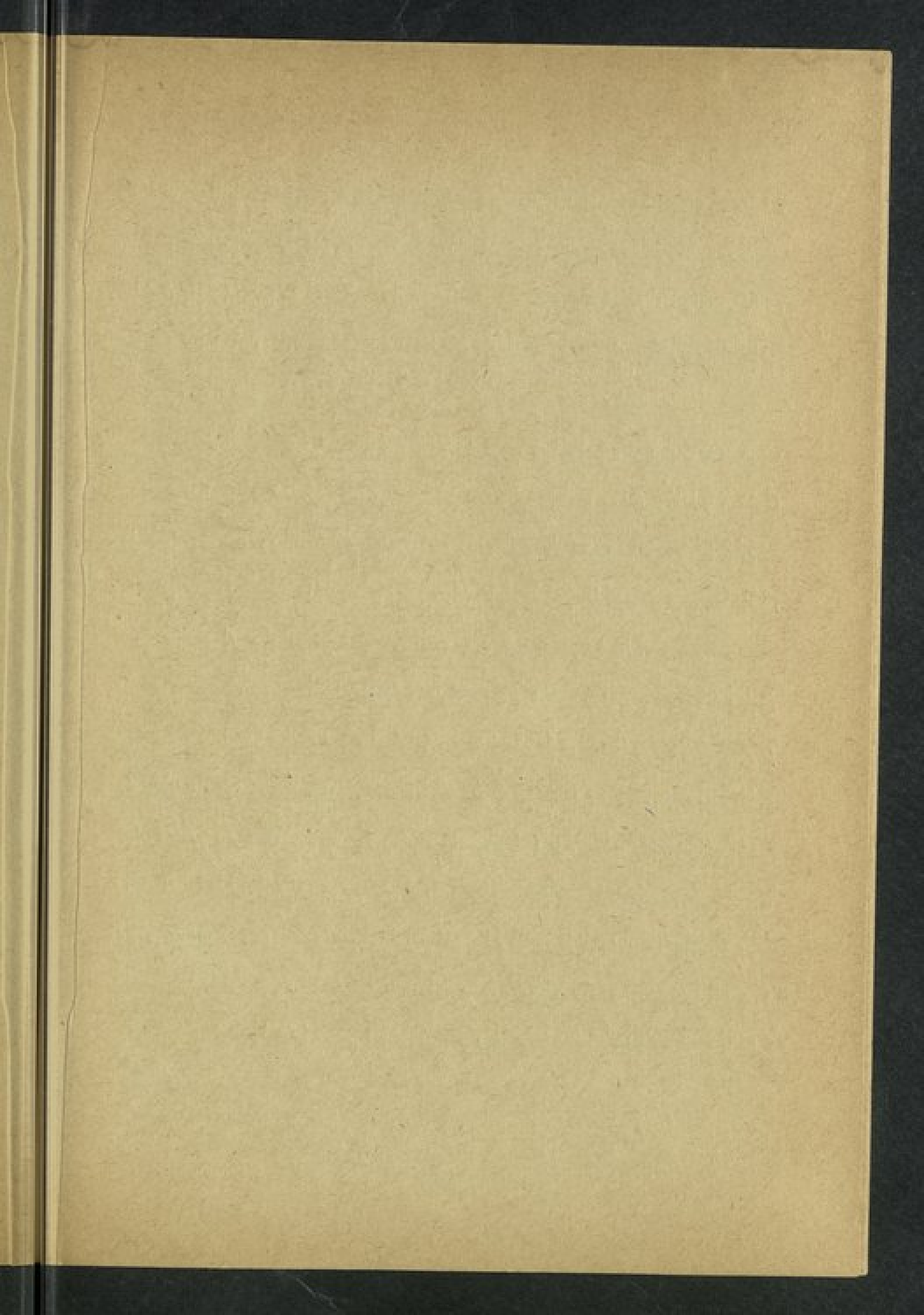
وبعد فما احب ان اشكر لكم ترحيبكم بالعمل الذي كنت رائده في بلاد الرافدين ، وتسهيلكم سبل الغاية التي استهدفها واشعاركم وزارة الداخلية بتسهيل المهمة التي من اجلها وردت العراق ، لذلك كنت ضيفاً عزيزاً في بلاد اعز علي من بلادي وبين اهل اكرم علي من اهلي .

ما احب ان اشكر لكم هذه الخلة الشريفة لانكم ، كما قلتم ، لا تعملون للشكر ولان العروبة في ذاتكم الطيبة تابى الا ان يكون لها في شخصكم مظهر تتجه اليه افكار الادباء والشعراء ، فيستلهمون منه جلال الخلق العربي الكريم ، وجمال المروءة العريقة في الابناء يتوارثونها عن الآباء ؟

الحظ يا سيدي شيئاً واحداً في حكومتكم الجديرة بالثناء ، احب ان الفتكم اليه ، ذلك هو عناء الاديب في سبيل الوصول اليكم ، الاديب الذي يعيش من قلمه فيسيل دمه على شقيه بين يدي نظامه الاجتماعي الذي يخدم به امته ، هذا الاديب لم يلق حقه من الحكومات العربية بحرية الطواف على الاقطار التي فرقها الاستعمار وهي في الحقيقة قطر واحد .

ما ارى في شيء من الحق ان يعامل الاديب اذا شاء زيارة قطر عربي معاملة التاجر او مطلق زائر ، لان الاديب معلم ومثقف ومنشئ انفس وعقول انه يدرس كل ما تقع عليه عينه وتعيه اذنه ثم يعطي دروساً قيمة في التهذيب لكل امة يزورها ، على ان يكون اديبا حقاً فما ينبغي ان تسد في وجهه الطرق او يتنكر له اولو الامر ممن عهد اليهم برعاية الداخل والخارج .

وليس الاديب العربي اجنبياً عن اي بلاد عربية ، ولا يسوغ ان يطبق عليه قانون السفر والاقامة . فالقوانين لم توضع لتطبق في الناس على السواء فاللص والشريف لا يكونان في كفتين لميزان واحد ، والقاضي يجب ان يضع قانونه من وراء عقله لا ان يغمر عقله بالقانون ، فاذا شاء الاديب اللبناني ، مثلا ، ان يزور العراق فما ينبغي لممثل العراق في لبنان ان يستمهله عدة اشهر لتوافق على زيارته هذه حكومة العراق ، اذ المفروض فيه انه اديب ، وان ادبه شائع في كيان الامة ، ورسالته مبسوطة في الاصلاح بين يدي الشعب ، ارجو ان تلحظوا هذا الامر بعين الاهتمام وتعتبروا كلمتي هذه مدفوعة بالغيرة على العراق وحب الخير لاهله .



صالح اعيان

رئيس مجلس الاعيان العراقي اليوم ، وهو بصري عريق المجد يصعد بنسبه الى العباسيين ويكاد ينهي العقد السابع من سني حياته .

« العراق يعد نفسه مسؤولا امام الامة العربية عن كل ما ينالها من ضيم »

« هكذا نجد انفسنا في وجه من يتنكر لبلادنا فانا اناس لا نغضي على الضيم »

« ولا فرق عندي بين شامي وعراقي ومصري او حجازي كلنا عرب وكلنا مسؤول عن عروبته »

يقولون لي : لم كتبت عن فلان ولم تكتب عن فلان ؟ ولم خصصت بفصولك الممتعة شخصاً وحرمت منها آخر ؟ ثم نراك احيانــاً تكتب فيما لايطرقه غيرك من كتابنا الجدد ؟

يا سبحان الله ! أأكتب هذا انا ام يكتب الوحي بين يدي ؟ افلا يغني هؤلاء عن التساؤل ما يقرؤنه على الصفحة الاولى من غلاف هذا الكتاب ؟ انه « وحي الرافدين » لا كتاب الرافدين ، والوحي تجلٍّ روحاني يهبط على الشاعر نثراً او نظماً فيبعثه شعراً خالداً على الدهر .

يتساءلون : لماذا اجتمع الوف الاعيان من رجال العرب ، ثم لا اكتب الا عن بضعة نفر منهم ؟ ولو علموا ان الشــاعر لا يمسك القلم الا بوحي ثم لايكتب الا عن الهام ، لما اكثروا من التساؤل في السبب الذي حداني لان اكتب عن عشرات من الناس وقد تحدث الي منهم مئات وتحدثت الى الوف

وهكذا الشاعر يرى مئات من النساء اللواتي لم تحرمهن الطبيعة موهبة الجمال ، ولكن الوجه الذى يلهم الشعر قد يكون واحداً وقد يتجاوزه الى بضعة اوجه والرسام الذي يستهلك مئات من روائــع الطبيعة في نفسه ثم

لايتطبع على لوحته الحساسة الا بضع صور ، والموسيقي الذي يهضم آلاف الانغام والالحان المحدقة به من الطير والشجر والماء والهواء ثم لايقر في نفسه الا بضعة اصوات يوقعها على اوتار عوده او اصابع بيانه .

فليس لنا ان نسأل الشاعر او المصور او العازف عن السبب الذي من اجله ينظم او يرسم او يغني ، وليس على واحد من هؤلاء ان يجيب السائل المتعنت لان ما يلقى في روع كل منهم ، وهو يستلهم ، لايتلقاه مختاراً والا لما جاء في آثاره الطريف والسخيف ، والجليل والحقير والرائع والمائع ، ولكان في طوق كل منهم ان لايأتي الا بالبدع التي تستهوي كل قلب وتسترق كل نفس

قد لا استطيع الاجابة الان عن السبب الذي حداني لان اكتب هذه الرسالة وابعث بها اليك ايها الرجل الصالح ، لقد كتبتها يوم دخلت عليك وقرأت في وجهك شيئاً مبهما حملني على الثقة بانك اهل لان يكتب عنك الكاتب ويستلهم منك الشاعر .

كتبت هذه الرسالة اذ ذاك بغير قلم وعلى غير ورق ، ولكن القلب شعر والفكر رسم على لوحة الضمير الحساسة التي تحتفظ بما تلقط وتعصمه من المحو فلا يزول الا بزوالها ، حتى اذا جلست الى مكتبي تحت سماء لبنان الوضاءة نسخت هذه الذكريات الجميلة على لوح الوجود تستظهرها الاعين وتستبطنها الخواطر ثم تلهج بها الالسن .

انت ، يا ابن الرشيد ، ويا بقية السلف الصالح من حفدة العباس بن عبد المطلب الذين شادوا للامة العربية والمجد الاسلامي ملكاً لا يبلى ، انت يا سيدي واحد من هؤلاء الذائدين عن حياض المجد في الامة ، والضاربين

بعروقهم الى دوحة العز الهاشمية ، والصائلين على الدهر بمـا يعتصمون به من تراث يبلي بجدته الزمن ويبقى رمزاً للحق على صفحات الكون .

انت من هؤلاء الذين يملأون قلوب هواة الفن وبناة الادب بما يلوح على جبينك من نور الحق وما يسطع بين عينيك من بريق الأمل ، فما يستهويني في الرجل الذي أستوحي منه ، بلاغـة المنطق المتحذلق ، ولا تكلف السمو بالنفس في مجال الكبر والخيلاء ، ولكن ما يملأ نفسي من جليسي هو هذا الوجه الطافح بكرم الخلق وتانك العينان الغنيتان بما يبعث الطمأنينة في روع المستلهم ، ومن ورائهما ذلك القلب الوادع المليء بالرحمة والرضوان .

تقول لي ايها الصالح : مما يؤلم ان العرب اليوم لا يفتشون في التاريخ عن الاسباب التي حملت آباءنا على اكتاف الامم ، ولا عن الاسباب التي خولت اولئك الآباء رقاب الملوك من اكاسرة وقياصرة ، ولكنهم اذ يعجزون عن التعليل يقولون ان الامم كالافراد لها طفولة وشباب وهرم لذلك كانت الامة في شبابها يوم كانت تحتل المكانة الاولى في العالم ، ولما آذن شبابها بالرحيل وداهمها الهرم افل نجمها وخبا ضوء ذلك النجم المتقد السيار »

على اني انكر هذا التعليل واسفه من يقول به ، فليس للامة كما للافراد شباب وهرم ، ولكن لها مجد يعلمها كيف تنشد الموت في سبيل العز ولهـا دستور اخلاقي يعلمها كيف تنشد العز في سبيل الحياة ، فهي ما دامت محتفظة بذلك المجد ومعتصمة بهذا الدستور ، لا تشعر بالهرم ولا تجد الموت اليها سبيلا ان الهرم ينال الامة بما يسودها من تفكك تستظهر به دستورها القـائم على الحق ، وبما ينالها من ذل واستكانة تفجع بها تراثها المبني على البطولة والامجاد

في تاريخ الامم الحية ، وهكذا نجد امتنا انما سادت العالم بدستورها الخالد الذي سنه لها محمد مصلح العرب الاكبر ، ونجدها التليد الذي نقشه لها الرشيد والمأمون في قلب التاريخ الحافل بعظمة الرافدين ، فلما نبذت ذلك الدستور وتخلت على الاعتصام بهذا المجد تردت في جحيم من الذل وداست عليها الامم حتى تلاشى كيانها واضمحلت عظمتها واصبحت مثلا يضرب الامم البائدة في مجاهل التاريخ »

هكذا كنت تتحدث الي لا بلسانك ولكن بعينيك وانت تصغي الي اذ أتحدث اليك عن تفكك الامة العربية وانهيار عزها وتقاعسها عن لم شعثها وجمع كلمتها في الوقت الذي يهيب بها ان تنهض وتنفض عنها غبار الزمن .

فالكلام ليس قاصراً على المنطق ايها السيد ولكنه شرر يلفظه القلب من اللحظات الخفاقة بين الاجفان ، يتناولها المحدث من عين من يتحدث اليه ، او يرمي بها السامع قلب المتكلم .

لقد حدثوني عنك ايها السيد الجليل انك تنظر الى العالم بعين آبائك الاول الذين تحدروا من صلب عبد المطلب بن هاشم ، وانك كلما رأيت او سمعت بفاجعة في امتك من فواجع الذل والعبودية تبكي وتستنهض لبغداد «المنصور» ولسامراء «المعتصم» ولما خيم عليها من فقر وجهل تستنجد لها الامين والمأمون وكل هؤلاء اباؤك او آباء ابائك .

فليس عجيباً ان تصل بفكرك الى نقض الرأي القائل بان الامم كالافراد واجماع العالم على القول به ، وانا معك في هــذا كله وان كنت قد لخصت رأيك فيه ولعلي ازيدك في ان الهرم لا ينال الانسان فرداً او مجتمعاً اذا أخذ

باسباب انسانية وهو ينشد الحياة ، فالانسان الكامل لا يجد الفناء سبيلا الى روحه ولا الى بدنه .

واقد سمعت ان بعض الحكماء العصريين من رجال المغرب يقول : « ان علي بن ابي طالب قد بلغ منتهى الكمال الانساني فلولا سيف ابن ملجم لخلد » وهذا القول لا ينافي قول الله عز من قائل : « انك ميت وانهم لميتون» فالجمع بين القولين : اي ان الانسان يخلد اذا بلغ منتهى الكمال ، وانه لابد من ان يموت ، هو ان نقول :

الانسان الكامل لا يموت ، ولكنه يعيش في مجتمع فاسد يشتمل على اسباب الموت فيتسرب اليه سبب ما يكون علة موته ، وهذا امر بديهي فالعدوى مقررة ثابتة منذ الازل في الروح والبدن ، فلو تسنى الكمال للانسان الشامل لكتب له الخلود بروحه وبدنه ، وقد أعتقد ان السبب في خلود الانسان يوم القيامة : هو ان الله ينشيء الانسانية على مثالها الاول اي من الخير المحض ثم يحول دون فسادها فتستمر خالدة .

وكما نبصر الآن شخصاً قوي البنية في قابليته ان يعيش مئة عام لكنه ينشأ في بلد موبوء باهله او بطبيعته فيتسرب الفساد الى جسمه الجبار فيوبئه ويتهدم قبل ان يصل منتصف الاجل المكتوب له ، اذن فالاجل المحزوم اصبح من لوازم الطبيعة وقد خلقها الله قابلة للفساد والتأثر بالشر المطوي في نفس الانسان .

يبقى في النفس شيء من تحقيق هذه الفكرة هو : هل الانسانية الاولى وجدت من الخير المحض ام الشر المحض ام منهما معاً ؟ فعلى الاول من اين

تسرب الشر الى الانسان فانشأ فيه الفساد ؟ وعلى الثاني والثالث يكون الانسان مجبراً على فعل الشر وبالنتيجة عرضة للزوال ، ذلك ما يقف الانسان حائراً بين يديه لا الى الشك في الله فينسب له ما لا يليق بخالق كامل ، ولا الى التنزيه فيعمى عن السبب المفضي بالانسان الى الفساد روحاً وبدناً .

احببت ان استطرد معك الى بحث جره علينا قول القائل الامم كالافراد تشب وتشيب وتهرم وتموت ثم تولد من جديد .

ولكم كنت كبيراً في نظري اذ يتحدث الناس اليّ عن عصبيتك الشديدة للاحتفاظ بهاشمية العراق ، وكنت مكبراً لك فوق هذا اذ علمت انك تحدرت من ملوك بني العباس ، ثم رأيتك اكبر منك في كل هذه الخلال انك ترأس المجلس الاول في الامة واحسبك رجلا من الناس لم يغيرك المنصب ولم تبطرك النعمة .

ولقد كنت افتح عيني جيداً لاتحقق من انك انت رئيس مجلس الاعيان العراقي اذ تتحدث الي وليس في حديثك الا نظراتك ولا اشاراتك ، ما يدلني على انك رئيس ، لانا قد تعودنا الى نرى من هم في منزلتك يتمطون في منصبهم حتى يحك قرنهم السماء ، ويتحيزون ويتميزون وهم يتحدثون الى جليسهم كانهم من غير نوع البشر ، ثم اذا اشرفوا على الناس اومروا بهم حسبت الجبروت مشتقاً من اوداجهم المنتفخة وعيونهم الجاحظة وصدورهم المقعنسسة فلم تملك نفسك ، وانت حر ، الا وانت تطلق ساقيك مع الريح .

لم اجد فيك ميزة تدنيك من هؤلاء لذلك صدقت من يقول : انك

تنتمي الى الدوحة الهاشمية العباسية ، ومن رأى العزة في مجده ترفع عن ان يحاول كسبها من منصبه فهو اكبر من المنصب مهما علا ، بجده ومجده .

بقي شيء اريد ان الفت فخامتكم اليه ايها الصالح : هو انا في امس الحاجات اليوم الى الاختلاط والتمازج وارى الحرب قد انتهت فليس لنا في سبيل الوحدة الا ان نفتح الابواب للمهاجرين من كل قطر حتى لا يبقى العراقي متميزا بعراقيته ولا السوري متحيزاً بسوريته ولا المصري نابياً بمصريته ، ارى ان لا يكون في الجزيرة غير عربي وذلك لا يكون الا بتسهيل السبل للزائرين والمهاجرين حتى لا تستأثر بلاد افريقيا بابنائنا وارض الرافدين امس حاجة منها الى هؤلاء ، فالأمل وطيد ان لا يمر عام الا ويكون السفر الى العراق كخروج العربي من بيته الى بيته .

السيد عبد المهدى

ابو غالب

السيد عبد المهدى نائب لواء المنتفك في مجلس التشريع العراقي وهو من اعيان قومه العريقين في المجد وقد تقلد الوزارة اكثر من مرة وهو من العاملين المخلصين ، ويكاد ينهد الى العقد السادس من سني حياته .

اي أبا الغالب !!

لقد كان الجزء الاول من وحي الرافدين نبوءة صدقت على ايدي فئة انت منهم يا أبا غالب ، كنت وانا اتنبأ لرجال الفرات ، وكأن دافعاً قوياً يسوقني لان اكتب وكأن كلماتي كانت جمراً يتساقط من عيني على الورق او كأن شرراً يتطاير من فكري بين يدي هذا القلم .

كنت اتنبأ بانشاء جامعة وأحث على السرعة في اخراجها ، وكنت اسن لها النظام ، وافضل لها الشكل ، واتخير لها الاساتذة ، وادعو العلماء الاعلام لشهود ناديها الرحب وعلى رأسهم حجة الاسلام الاصفهاني ، وكنت استنهض لها همم المجددين من العلماء والادباء واوجههم لتعزيزها واخراجها جامعة تضمن لنا الحياة الحافلة بالمدنية والدين .

كنت اؤسس وابني وانظم واتخير الاساتذة واوجه الطلبة وادعو الامة والحكومة جميعاً لتعزيز هذه المؤسسة ، ولاارى في ذلك ما اعجب له ، ولكن الذي كان يملأ نفسي عجباً اني لم افكر وانا اكتب قط بان ذلك في عالم الخيال والنبوآت بل كنت اكتب وكأني واثق تماماً من ان هذا المشروع

قد خرج من حيز القوة الى حيز الفعل ، وكنت اراني مغتبطا جداً بما اكتب ، ولدى ان فرغت من تحبير هذا الفصل رأيتني كثير الارتياح الى ما سجلت وكثير الثقة بصدق ما تنبأت له ، وكثير الاطمئنان الى انه سيتحقق . فهل تحقق ؟ ؟

وهكذا تنبأت لدار طباعة ونشر في العراق تنشر مآثر قومي المغمورة في بطون التاريخ ، ومآثرهم المطوية في صدور الاجيال ، وآثارهم المطبوعة بشكل يعجز الفن منه الى الله ، وكنت اشعر اني مسوق بعامل لا استطيع تفسيره ولا تصويره ، وكنت اعجب ايضاً من اني لم افكر ، وانا احدد المشروع وافصله وارتب عليه الآثار وادعو الى تدعيمه ، لم افكر اني اتنبأ او اتخيل ، بل كنت كأني آمر لأطاع ، وادعو لاجاب ، واحكم لينفذ حكمي ، ثم كنت كثير الوثوق بتحقيق ما اتنبأ له . فهل تحقق ؟

نعم لقد تحقق هذا وذاك على يدي فئة انت في الطليعةمنهم يا ابا غالب ، اما ان يكون هذان المشروعان : جامعة ودار نشر ، ناشئين عن نبوآتي ام لا فلا اعير ذلك شيئاً من التأمل لان الغرض ان ينشأ هذا سواء علي ، اكان وليد دعوتي او دعوة اخوان لي صادفت نهضتهم زمن ندائي وكان عملهم في عقب الوحي الذي استلهمته على شاطىء الفرات .

ما اروع مـا اجلس الى الصديق السيد جعفر حمندي في فندق داروتي بالقدس وانا اغادر فلسطين الى العراق بعد صدور وحي الرافدين ، اجلس اليه فيقول لي : لقد صدقت نبوءتك في تأسيس دار طباعة وقمنا بمساعدة اخواننا وعلى الميمنة منهم السيد عبد الهادي جلبي ، قمنا بالتبرع لهذا المشروع

حتى توطدت طلائعه واوشكنا ان ننجز العمل باستحضار آلات طباعة وانشاء الدار ·

واروع من هذا ان اجلس اليك ايها الكبير القلب الحصيف الرأي العامل على انهاض شعبه والخادم الامين لامته، انت ابا غالب ، اجلس اليك فتبشرني بان مشروع الجامعة الكبرى التي ينضوي تحتها مجد «الصادق» ويخفق في سمائها علم بني هاشم وينبثق من صدرها علم آل محمد وتترعرع في ظلالها ولاية اهل البيت ·

ما اروع هذا المجلس ، واروع منه شخصك النابغ وانت تتحدث الي عن همتك وهمم الابطال الذين كنت واياهم كالسلسلة المفرغة الحلق في الدعوة الى العمل وجمع المال والتفكير في الانشاء ، والعناية بما سيؤول اليه من تشييد وتنظيم ، جامعة كبرى تشتمل على كليات في العلوم والفنون ، وفي المكانة السامية منها كلية الشرع الحنيف التي يتخرج عليها لنا اعلام طبقوا المدنية على الدين وانجبوا الى المحاكم الشرعية فقهاء نزهاء قضاة يفصلون بالحق ويقيمون النصاب العادل في الحكم بين الناس ·

وهذا المذياع السكسوني بالامس ، وانا بين يدي هذه الرسالة ، اسمعه ينوه برحلتكم الى الجنوب وعودكم مع الصالح المصلح الصديق الكبير صالح جبر وفي حقائبكم عشرات الالوف من الدنانير تضيفونها الى اضعافها مما جمعتم قبلا وانتم تختلفون الى المناطق والالوية في سبيل كرامة الامة ومجد الشعب وعزة الوطن ·

افليس العراق ، وهو موضع السنام البارز من العرب ، يهتف بجناحيه

دجلة والفرات ليحلق بهما في سماء العز مهيباً بجده التليدان يعضد مجده الطارف أو ليس جناحه الذي يشتمل عليكم قوادم وخوافي يكاد يكون مهيضاً ويكاد العراق يكون في مؤخرة الامم العربية ثقافة وحضارة اذ كان هذا الجناح مهيضاً ؟

ايها النفر الصالح !

لقد تشوفت الى عملكم انظار ، ملأ الاعجاب بها افق السماء شرراً يتطاير من شتى الاقطار العربية لينير امامكم الطريق الى الغاية التي تستهدفونها من وراء هذه النهضة الجبارة ، فتأسيس جامعـــة في محيط عربي هو في امس الحاجات الى جامعات تهذب حضارته وتعلي مكانته في الشرق العربي ، لهو اكبر عمل يسدي الى الامة العربية جمعاء ، يداً تشير الى العز وتهتف بالمجد ، ويسدي الى العراق خاصة ايادي بيضا تجلو عن سمائه كثيرا من الغمام المتلبد الذي يحجب عنه النور .

افما يسدي الى العراق ايادي بيضا ، عمل قام به افراد خففوا عن كاهل الحكومة عبئاً كان ثقيلا على الخزينة لو حملت نفقاته ؟ وهو الى هذا كله يعنى بتثقيف عضو في جسم الامة يكاد الشلل يأتي عليه لو لم تتداركه قلوب الهبها الحماس العربي ، وعقول انضجتها التجارب تحت وطأة الدهر ، وعقيدة غذاها الشرف المحض والمجد الاثيل بالخلق العربي القائم على الحمية والاباء والشمم .

ايه ابا غالب ! لا ارى لك ان تقف عند هذا الحد ، ولا ارى لاخوانك الذين آزروك وانضويت معهم تحت لواء واحد ، ان يقفوا وقوفك ، فالنهضة ليست جمع مال وحسب ، فقد جمع قبلكم اناس كثيراً من المال ولكنهم

اضاعوه اذ لم يعتصموا، لدى انفاقه في الوجه الذي جمع له ، بالخلق الذي فرضه علينا القرآن وسنه لنا المشرع الاعظم .

فالمال احدى وسائل العمل ولعلها وسيلة ثانية يسبقها التضامن والاخلاص في التفكير والتنظيم ليخرج العمل من حيز القوة الى حيز الفعل ، فالله الله !! ان تخلصوا النوايا في التأهب للعمل والشروع به ، والله الله في ان تخلصوا النقاش وانتم تتداولون القول وتنخلون الرأي بين يدي العمل ، والله الله في ان يرى كل منكم شخصه وراء ما تجتمعون له وتتكاتفون على القيام به .

لينس كل منكم شخصه ، ولينس كل عامل عمله وليفكر في كل جلسة كأن لم يفكر قبلها ، ثم ليعمل بكل جوارحه كل يوم كانه لم يعمل قبله ، بذلك تبرهنون على انكم اهل لان تسيروا على نهج الآباء بخطى واسعة ، وانكم جديرون بان تعيدوا الى العراق عهدا كان فيه موئلا يلجأ اليه العرب ، ومنارا يقبس منه العالم .

ان لك ايها السيد الجليل ، من مجدك وجدك عاصما يحول دون همتك ان تفتر ، ودون عزمك ان يخبو ، ودون حزمك ان يصدأ ، ودون شخوصك للحق ان يقف في وجهه باطل ، أفلست هاشمي النسب ؟ ومن اجدر بالشقاء في سبيل العز من الهاشمي ؟ افلم يعلمنا اجدادك شرف التضحية في سبيل الحياة المثلى ؟ ألم يسنوا لنا الفضيلة اسمى ما تكون فى ان يشقى المرء ليسعد قومه ويموت ليحيي شعبه وينكر نفسه وهو يمعن في بناء كيان امته ؟

هكذا يعلمنا اجدادك ، ان ميزان الرجل ان يعمل ، وسموه في ان

يحسن العمل ، ثم خلوده في ان ينسى هذا الاحسان ، فانك وزملاءك الناهضين معك لانجاز ما تعملون له ، عرضة للدهر فاما ان تدرعوا الاخلاص حتى ينجز فتكون على سواعدكم امة ، ويضمن لكم الحق فناء الزمن في اشخاصكم ، واما ان تتقهقروا فتصبحوا مضغة في فم الزمن .

اي ابا المهدي !

ماذا وراء العلم للامة الحية من غاية ؟ وهل اوصانا جدك باشرف من العلم وسيلة الى الحياة ؟ وهل قام الاسلام على غير دعائمه حتى خضعت له امم الارض ؟ وهل تقهقر الاسلام والعرب حتى اصبحوا عبيد ، واليهم الا من وراء الجهل ونبذهم تعاليم جدك القائمة على اساس العلم ؟

ان قومك اليوم افقر ما كانوا منذ لفظهم التاريخ ، الى مثل هذا العمل الذي تقوم به ، وان الحمل الثقيل لا ينهض به الا اهله ، وهل في شيعة آل محمد اهل لان يضطلعوا بهذا العبء اقوى من آل محمد ؟ هل في الامة العربية اليوم من يقوى على الصعد في اعادة الحق الى نصابه حتى يبلغ السماء صوته وترتوي الارض من دمه ، الا من تحدر من صلب محمد ونماه الى دوحة المجد هاشم ؟

اني لأرى في شخصك من نبالة الخلق ، ومتانة الحزم ، وبعد الهمة ، ومنعة الجانب ، وطموح النفس ، وشمم الانف ، ما يربأ بك ان تقول ولا تفعل ، وان تنهض ثم تنكمش على نفسك ، وان تنتمي الى احفل الانساب بما يرفع القدر ويشرح الصدر ثم لا تكون مثلا اعلى لمن ينهض نهوضك وينتسب انتسابك .

اني لأرى من خلالك هذه ما اطمئن معه الى انك لم ترق الى منصب صعدت اليه بجدك الا اعتز بك المنصب ، والى انك لم تقم الا لتعمل ولم تعمل الا لتخلص ثم لم تخلص الا لترد على ربك وانت خفيف الكاهل يوم الحساب الاكبر .

وبعد فلقد بلغني عنك انك تنكر المنكر بيدك ولسانك وانك لاتشهد حفلة اقيمت لتكريم اجنبي او مواطن الا اذا كانت قاصرة على التكريم ، اما الحفلات التي تعقد وفيها شيء مما ينكره علينا خلقنا العربي وتأباه حميتنا الاسلامية كالرقص المختلط واباحة الشراب المحجور على اختلاف انواعه ، اما هذه الحفلات فقد بلغني انك لا تشهدها وانك تنكرها على العراق عامة وعلى قومك الادنين ان يشهدوها او يقيموها خاصة .

سمعت هذا عنك وخليق بك ان تكون كذلك والمفروض فيك انك تحدرت من صلب رسول الله وان شيوخ قومك لايزالون يتحلون بالاخلاق التي تتلاءم مع دينهم وعروبتهم ، ثم سمعت بعكس هذا من انك لا تمتنع عن شهود مثل تلك الحفلات ، ولكنك لا تشترك فيها وانما تكون ناظراً سامعاً فقط على سبيل المجاملة لمن يدعوك .

واما ان تقيم مثل هذه الحفلات او تشترك فيها اشتراكاً فعلياً فهذا ما لا يعزوه اليك احد ، وكذلك بلغني ان امثالك من كرام قومك كالسيد جعفر القزويني والحاج طالب وغيرهما من اعيان البلاد يشهدون هذه الحفلات ولا يشاركون من يشهدها ويعمل فيها رقصاً وقصفاً ولهواً وشرابا .

ليس لي ما اقول في هذا شيئاً لان قولي لا قيمة له اذا اجمعت الامة على

المنكر حتى اصبح معروفاً واصبح المعروف منكراً ، ولكني انقل الك حديثاً تحدث به الينا رئيس جامعة « إناربرمشفن » في الولايات المتحدة وقد كرمني فيها الشباب من الطلبة العرب وكانت الحفلة برعاية رئيس الجامعة فكان خطابه مشبعاً بالاخلاق ومما جاء فيه :

« إنا ندعو الشباب العرب ممن يردون بلادنا في سبيل العلم ان يأخذوا من علومنا ويدعوا اخلاقنا لان الاخلاق وليدة البيئة والمجتمع وبيئتنا ومجتمعنا قد يلدان خلقاً لا يتلاءم مع بيئتهم ومجتمعهم ، واما العلم فلا وطن له اذ هو وليد العقل بخلاف الاخلاق التي هي وليدة الطبيعة »

واذكر ان الخمر والبغاء كانا محجورين قانوناً ايام وجودي هناك وكان الجزاء صارماً على من ينتهك حرمة القانون في اقتراف هذين الجرمين ، فيا سبحان الله بعد الف عام ونيف على ظهور الاسلام تفطن ارقى حكومة في ارقى امة الى ان ما حجره الشرع المحمدي يجب ان ينكر ويعاقب عليه ؟ ثم لا نرى ، نحن اشياع محمد ، بأساً في ان تقام الحفلات ويباح فيها هذا المحظور ، ثم نشهدها ونحن ما نرى ونسمع فيها ونزعم ان المجاملة هي التي تعذر عذرنا في عدم انكار المنكر والامر بالمعروف ؟

وما هي هذه المجاملة التي تسوقنا الى مكان ينكره علينا الدين والعروبة بينما نراه منكراً ومحظوراً حتى في البلاد التي لا ينكره فيها مجد ولا دين ، اتعلم يا ابا غالب ان البغاء محجور قانوناً في لندن ؟ ان هذا كائن ولقد شهدت آثاره بنفسي يوم كنت فيها اختلف الى مدارسها ·

ثم أتعلم اني اقدم على هذا الاستطراد في البحث وانا اعرض نفسي لاشد

الطعن انكاراً ممن يخالفني في هذا الرأي ؟ ولكني احتمل كل ما يقال عني في سبيل ارضاء ضميري والاقتناع بما أراه باطلا ويراه غيري حقاً ، ولست اخوض هذا الموضوع في سبيل الدعوة الى الدين لاني لست مبشراً ولا فقيهاً ولكني رأيت لكل امة خلقاً تمتاز به عن غيرها من الامم فلو اتسع لي المجال لبسطت لك القول على الكشف عن اخلاق الامم شرقية وغربية ولعجبت اذ ذاك من تغاير تمايز كل امة فيه عن امة اخرى في اخلاقها ، ثم لا نرى من ينكر عليها شيئاً من ذلك الا هذه الامة المنكودة امة الاسلام فقد احب المتطرفون من شبابها المأفون الخانع ان تذوب امته في غيرها من الامم وتستحيل الى عنصر غريب عنها حتى لا تمت الى اصلها الذي انبثقت عنه بصلة تعصمها عن التلاشي .

ولقد سمعت وانا في باريس محمود عزمي الاديب المصري يخطب الشباب العرب فيقول : خذوا الحضارة الغربية بقاذوراتها ، فانا في حاجة ماسة الى اخذ كل شيء عنهم ولو كان تافهاً » وتصدى له يومذاك الدكتور زكي مبارك يقول : وهل للحضارة قاذورات يا طاغية الامة ؟ انا قوم لانحب ان نتنازل عن اخلاقنا قيد شعرة ثم لا يحول ذلك بيننا وبين الحضارة التي تحمينا من الاستعباد كما فعل اباؤنا الذين اعتصموا بالدين ولم يحل بينهم وبين المدنية التي سادوا بها العالم ولا يزال هذا العالم حتى اليوم ينهل منها ويأخذ عنها »

وبعد فليس لي الا ان اغتبط بوجود امثالك يا سيدي في قوم هم فقراء الى ابعد حدود الفقر من الرجال الغُيُر على العروبة والاخلاق .

الخياط

احمد زكي بك الخياط مدير الدعاية العام لحكومة العراق وقد شغل قبلها منصب متصرف فكانت اعماله اصلاحية جليلة ويعد في الطليعة من الشباب العراقي المثقف الغيور على امته وبلاده .

« ابطال العالم العربي ثلاثة ، محمد المشرع والحسين الاول ثم الحسين الاخير .

العمل الحقير في حيز النظام خير من العمل الجليل في حيز الفوضى »

الخياط

«الادب التجاري ينشأ عن التنافس بين الاديب والمتأدب

« يعنى الثاني بالزخرف فتروج سوقه ولكن الى حين .

« اسمى ما يرفع الاديب عندي تحريه الحقائق من وراء

« تعمقه في البحث .

« قد يغلط المرء ويكرر هذا الغلط حتى يتوهم صحته .

« ابطال العالم العربي ثلاثة محمد والحسين الاول ثم الحسين

« الاخير .

« احب الهاشميين واغالي في هذا الحب لان امي غذتنيه

« باللبن .

« العمل البسيط في حيز النظام خير من العمل الجليل في

« حيز الفوضى .

«المعري جبار لايخضع لعقيدة ولكنه خضع للدعاية الهاشمية

اي ابا شهاب !

ما تحدث الي رجل فحسبت اللكنة طبعاً في لسانه ثم فارقته وانا واثق

من انه خطيب بالغ الا انت ، ولم اجتمع الى رجل يكثر من قول : انا ثم ينهي حديثه فاذا بي احمد اليه كل انانية ، الا انت ، وما رأيت امرأ يحب امه حباً يحيله في التراب الذي واراها فيطيل الثناء عليها ويسهب في اطرائها حتى يمل جليسه ، فاذا بي وقد انهى حديثه استزيده من هذا الثناء واود لو كنت ربيباً لامه ، الا انت .

قد يكبر الرجل في عين جليسه بما يملأ به قلبه من بلاغة في المنطق او حصافة في الرأي او سمو في التفكير ، وقد يقرب الصديق من قلب صديقه برقة الطبع او دماثة الخلق او صدق اللهجـة او سخاء النفس او شيء من هذه الخلال التي يتجمل بها المدني او تهبه اياها الطبيعة .

اما انت فقد كبرت في عيني لا لانك سديد المنطق او ثاقب الفكر او مهذب الرأي فحسب ، وقربت من نفسي لا لرقـة في طبعك او سهولة في خلقك او صدق في لهجتك او كرم في نفسك فقط ، فما اراني احفل بهـذه الخلال في الصديق اول ما استخلصه لنفسي ، ولا اجعل صفاته هذه مطلع ما ابحث عنه في نفسه .

ولكني اذ انشد الصديق ، اعمد الى مصدر كل خلة يتظاهر بها او تظهر هي عليه ، فاذا كان مصدرها الاخلاص رجعت ابحث عن قوة هذه الخلال نفسي ، ومبلغ ما تصل اليه من الواقع ، وما تصيبه من جوهر الحق المتغلغل في صميم كياننا .

فالتفكير البالغ مهما سما ، لايمكن ان يصيب المفكر به لب الحقيقة ما لم يكن مخلصاً فيه ، واللسان البليغ مهما سدده المنطق ، لايمكن ان يصيب

به المتكلم جوهر الصدق ، ما لم يكن مخلصاً فيه ، والرأي الحصيف مهما تخلله العقل ، لا يمكن ان يصيب به الرائي وجه الحكمة ما لم يكن مخلصاً فيه ، والاخلاص هو ان تبني ما يصدر عنك على عقيدة تطمئن الى صحتها وتثق من ان قولك وعملك انما تصيب به الحق بفضل هذه العقيدة .

هكذا يسمو البناء ويشمخ حتى يزاحم قبة الفلك في سموه اذ يكون الاخلاص اساساً له ، وهكذا ينهار البناء الشامخ وشيكاً على بانيه اذ يضع اساسه على الملح في ارض ينبع من جوانبها الماء ، افلا ننكر على الخطيب المصقع وهو يتدفق كالسيل برهاناً على انسانيته ثم نراه بعد انفضاض الحفل يرقد في حظيرة الحيوانات ؟

أولا ننكر على الاديب ان يرى حياة امته في الحرية فينشدها لها بقلمه ولسانه ، ويمعن في بيانه الساحر حتى يستعبد القلوب لحريته هذه ، ثم نراه اذا خلا ونفسه عبداً لشهواته ، او نراه اذا التمس الرزق ، يطأطىء هامته بين يدي سلطان جائر ؟

أوَلا ننكر على الشاعر ، وهو يصعد الى السماء بخياله العبقري فيناجي ربه كأنما هو نده ، ثم اذا كشفنا عن نفسه رأيناه لا يصلح ان يعيش على وجه الارض ، ورأينا ان تحت التراب من رفاة الصعاليك المغمورين ، من هو خير منه الف مرة ، اذ يقول ما لا يفعل ، ويتخيل ما لا تطمح اليه نفسه ، وينشد المثل الاعلى بخياله ثم ينحدر عنه بحقيقته ؟

اولا ننكر على العالم ان يكتنه سر الحياة ، فيغور في الارض حتى تخومها ، ويصعد الى السماء حتى يستظهر نجومها ، فيكتشف الكهرباء ويسخرها

لارادته حتى اذا اشرف على الغاية مما يغور ويصعد ، ولوح له عقله باستغلال عمه لانسانيته ، نكص على اعقابه يفتش عن كل ما يتصل بعلمه مما يرده الى وحشيته الاولى يوم كان الانسان قردا بلا ذنب ، واسداً بـلا براثن ، وتيساً بلا قرون ؟

اما انت ابا شهاب ، فقد رايتك لم تطلق لسانك الا لتقول ولم تقـل الا لتصدق ، ثم لا يكون صدقك الا وليد تفكير عميق ، وعقيدة بالغـة في الرسوخ حداً ليس وراءه شك فيما تطمئن اليه .

فقد كنت استمع اليك وانت تتحدث الي في اشياء تبدو لي تافهة اول ما تقول بها ، ولكنك اذ تمعن في الكشف عنهـا وامعن انا في الاصغاء ، اجدها تتبلور شيئاً فشيئاً حتى تتحول الى جوهر يمس الادب في صميمه ، ويكشف لي عن قوتك في التحليل ، وتعليل خواطرك كانها بدع روائع .

ما احب ان اصورك لجيلك ثم ابعث هذه الصورة الى الاجيال المقبلة كاشفة عن شكلك ولونك ، وعما تاكل وتلبس ، اذ لا ارى في شكل الانسان او لونه ، او ما يعرضه من طعام ولباس ، وما يهيمن عليه من حركة وسكون ، لا ارى في شيء من ذلك مـا يكشف عن جوهر الانسان كشفا يبعثه في التاريخ حيا خالدا .

ولقد احسب من يعنى ، من ادباء اليوم بهذا التصوير ، اديباً جغرافياً ، او اديباً تجارياً يجب ان يخفف عن فكره عناء الخوض في مفاوز الادب التي لا ينجو منها غير الاديب الحق ، الذي اوتي الحكمة بمـا يخلص في تصوره وتصويره .

ما احب ان اقصر رسالتي هذه اليك على زخرف القول ، والابداع في تصويرلونك وشكلك ، ولكني احب ان اتناول الآلة التي تصعد بها الى سماء الابداع في التفكير اذ تقول : العمل البسيط في حيز النظام افضل من العمل المركب في حيز الفوضى »

أفلا يستطيع الاديب ان يملأ صفحة بيضاء من سجل الخلود في تحليل هذه الجملة ؟ أو لا يتسع الادب العبقري لان يضمك بين ذراعيه ويطبع على فمك قبلة من نور اذ يسمعك تقول : اسمى ما يرفع الاديب عندي تحريه الحقائق من وراء تعمقه في البحث » ؟

ذلك ما اردت ان اقوله : ان الحقيقة ابعد من ان ينالها فكر مائع يعتمد في ادبه على ان يمسك القلم وينجر وراءه دونما عناء في البحث واجهاد في التفكير ، واذا كانت الكنوز المخبأة في تخوم الارض ، تحتاج الى كثير من عناء الباحث المنقب ، فما اجدر الحقيقة التي تكشف عن هذا الكنز ان يكون الفكر في اكتناهها ، اكثر عناء من الآلة التي تستخرجها او تشير اليها .

فعلى مقدار ما تنصب الجوارح في استخراج الفلزات من بطون الارض ، ينصب الفكر في الكشف عن حقيقة هذه الفلزات قبل ان تتجه اليها الجوارح ، وتكشف عنها الآلات .

على ان للبحث نظما قلما يظفر العقل النير بالحقائق وهو يجهل تلك النظم ، فالبدعة الفنية موجة في تيار العالم الروحي لا يشرف عليها الفكر الا عن طريق الادب والادب قوام الفن ، والحلقة العلمية موجة ينفعل بها تيار العالم

المادي لا ينفذ اليها الفكر الا عن طريق العقل والعقل قوام العلم .

فمن شاء ان يكون مفنا فليلتمس الادب فانه طريق الفكر الى الفن ، ومن شاء ان يكون عالماً فليعتمد عقله في اكتناه الحقائق ، فان العقل اداة المنطق في احراز العلوم .

الا ترى معي يا اخي ان اخلاص الرجل فيما وكل اليه من عمل ضامن له في تبوئه المنصب الجديد به ؟ فاخلاص الرئيس بعهده الى المرؤس يستلزم اخلاص المرؤس بقيامه على ذلك العهد ، اي ان اخلاص القاضي فيما يحكم به منوط باخلاص الملك في اختيار القاضي للحكم ، فالاخلاص في الاعلى قائم على اخلاص من هو ادنى منه ، والاخلاص في الادنى قائم على اخلاص من هو اعلا منه .

فاذا لم يخلص الرئيس لم يتوفق الى المرؤس المخلص ، واذا فسد المرؤس قيض الحق له رئيساً اكثر فساداً منه ، فلا يمكن للرئيس وهو فقير في اخلاصه ان يتوفق في اختيار مرؤس مخلص ، كما ان المرؤس الفقير في اخلاصه لا يهتدي الى رئيس يرعاه باخلاص .

احببت ان افسر قولك لي اكثر من مرة : علينا ان نخلص للهاشميين ولا نتوقع منهم جزاء على اخلاصنا لانهم اخلصوا في عملهم للامة ونحن من الامة فاخلاصنا لهم اخلاص للحق الذي هو رائد كل منا .

وكم رأيتك حبيباً الى نفسي وانت تعلل اخلاصك للبيت الهاشمي بحب امك لجدهم الاعلى ابي الحسن وانها ارضعتك حبهم في اللبن فاذكرتني بذلك قول الشاعر :

لا عذب الله امي انها شربت حب الوصي وغذتنيه باللبن
وكان لي والد يهوى ابا حسن فصرت من ذي وذا اهوى ابا حسن

وليس عجيباً ان يسمو المرء الى حدود العبقرية بحب امه وهو رضيع اللبن المتحلب من دمها والحنان الذي هو عصارة روحها، أوليست الطبيعة التي تهبك العبقرية هي امك ؟ اوليست الام والامام من مصدر واحد في لغة الحياة ؟ اوليست الجنة تحت اقدام الامهات ؟

ولكم كنت كبيراً في عيني اذ رأيتك تتألم لكل من يستغل دينه او مذهبه للشقاق في المجتمع فأسمعك تقول : هؤلاء اعداء انفسهم وهم السموم التي يجب علينا ان نطهر المجتمع منها »

افما كنت في عملك داعياً الى الحق الذي عهد اليك بهذا العمل ؟ اوما كانت الدعاية على عهد رسول الله وخلفائه ، امانة في عنق الداعي لايحسن اداءها الى المجتمع الا من اوتي الحكمة فيما يقول ويفعل ؟ ثم الم يكن الداعي رسول من يدعو اليه ، والرسول لسان مرسله الناطق ويده العاملة ومثله السائر ؟

فما احوج الامة العربية اليوم الى حكومة تتخير دعاتها من ذوي النزاهة والحكمة ، او ما احوج هذه الحكومة الى دعاية تقوم بالعمل القائم على فكر يتقوم بالحذق والاخلاص ، ولكم كنت مغتبطاً اذ وردت العراق ، البلد الذي احبه ، ان رأيت حكومة ساهرة على دعايتها باسنادها الى حازم نزيه مفكر .

عشرين يوماً قطعتها في بغداد وانا امعن في تلمس ما يطلعني على شيء

انكره منك وآباه عليك ، فكنت كلما ضاعفت زياراتك تضاعف لدي قدرك وسمت مروءتك فقد رأيتك وراء مكتبك تغضب حيناً وترضى احياناً ، ورأيت غضبك مما يغضب ورضاك عما يرضى .

ورأيتك لا تحجب احداً عن زيارتك ايا كان ، ولكنك لاتغضي عمن يقول وفي قوله هجر ، اذ تعمد الى تقويمه بالعلاج الناجع ، واكبر ما اكبرك له انك تحترم كل من تأنس منه فكرة صحيحة في الاصلاح وتقول : انا لمفتقرون جداً الى مصلحين في جميع نواحي الحياة » ورأيتك من وراء ذلك كله تعنى عناية خاصة بالادب والادباء ثم لاتبالي بما يتشدق به ذوو السفه من وصمك بانك تلتمس اجراً من وراء هذه العناية يجزيك به القلم .

مـا اسفه المجتمع اذ يملل الحسنة بالسيئة من رجاله ، وما اسفهنا نحن الادباء اذ نترك للمجتمع بابا ينفذ منه الى مثل هذه السفاسف ، فقد يحقق بعضنا نبوءته بمدح السفهاء وذم الحكماء ، فيتخذ قول هذا البعض حجة على من لم يقل الا الحق ، وفي ذلك بلاء ما فوقه بلاء .

واذا حاولنا تأديب المجتمع بتحري الحقيقة فيما نكتب فكيف بتأديب هؤلاء الذين يمتهنون الادب ، والادب اسمى من ان يتنزل عليهم وحيه ، ثم نجدهم يتعالون على المجتمع وهم عشيرة اولئك الذين تصفهم بقولك : الاديب التجاري يعنى بالزخرف فتروج سوقه ولكن الى حين »

فما ابلغك في قولك هذا ثم ما اسفه من يحمل خدمتك للادباء على استغلال ادبهم ، أفلا يجمل بهم ان يحملوك على الاخلاص للادب الذي هو احدى ميزاتك البارزة التي تشارك بها الادباء في افراحهم واتراحهم ؟ ومن قال ان

الاديب يطري الاديب لاستغلاله ؟ اللهم الا ان يكون اديباً تجاريا ينافس الادباء العباقرة بالبهرج من القول .

العجب من هؤلاء الناس ! يرون السكير مع السكير فيقولون الفت بينهما مهنة السكر ، وحتى العمي والعرج يؤلف بينهم العمى والعرج عند هؤلاء الا الفئة المنكودة التي تنتمي الى الادب والفن فان مهنتهم يجب ان تفرق بينهم كما يفهم المجتمع وما هو هذا المجتمع ؟ وما هي الرابطة التي تؤلف بين افراده ؟ وما هي الانسانية التي تهيمن عليه ؟

المجتمع هو افراد من الحيوان السامي الف بينهم العقل فاخرجهم من الوحشية الى التمدن ، ثم سيطرت عليهم المادة بدافع الانانية والجشع فعادوا الى وحشيتهم ، فلن تجد فيهم انسانية كاملة توجههم الى التمدين حتى ينقرضوا ويقوم على رفاتهم نبت جديد يؤلف العقل الكامل بين افراده مرة اخرى .

عزيزي احمد

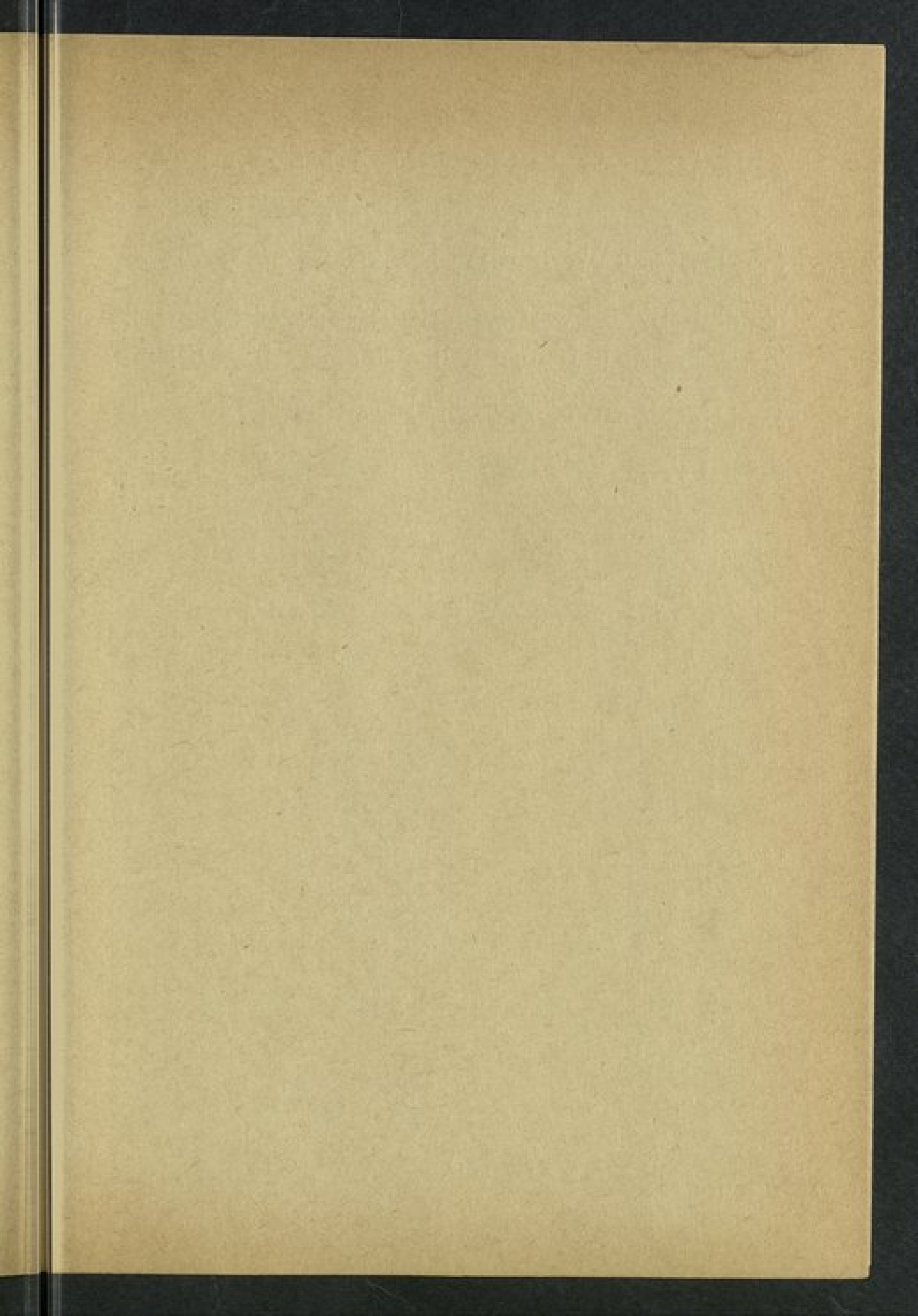
لقد كنت تكرمني في كل ما يصدر عنك من قول او فعل ، وكنت واثقاً من ان اكرامك لي ناشيء عن ادب ناضج ترى ان فيمن تكرم اديبا ناضجاً مثله ، وكنت ، وانا اتلقى منك هذه المكارم ، مشغولا عنك بك ، كنت ادرس فيك شيئين لا ثالث لهما فيمن كتب لهم الخلود في سجل العباقرة ، اولهما انسانيتك وثانيهما عبقريتك ،ولقد عنيتُ بالانسانية الاخلاص في العمل المعهود به اليك . وعنيت بالعبقرية الثقافة العليا التي توجهك لان تخلص في عملك على اتمه .

فماذا وراء هذين في الانسان ؟ هل بقي فيه الا ان يأكل ويشرب

ويلبس ويسكن ويفعل شيئاً آخر او يقوم فيه شيء آخر مما لم يدخل في صلب الجوهر الذي يتقوم به كيان الانسان ؟

فالثقافة العالية تعصم الانسان من الجهل الذي يشارك بـه الحيوان . والاخلاص يعصمه من الغش الذي ينحدر به الانسان عن حيوانيته المتوحشة بله انسانية ، الى مصاف الجمادات المسخرة للانسان والحيوان ، فاحمد اليك الادب أن كنت في منصب يكرم فيـه الادب ، واكون شاكرا لك اذ تضع كلمتي هذه منك موضع النقد النزيه الذي لم يحملني عليـه اكرامك لي ايام كنت ضيفك .

وكم اراني مخلصاً لادبي اذ ارفع شكري لحكومة العراق وشعبه عن طريقك التي كنت مهدياً بالسير عليها الى الاتصال بالعراق حكومة وشعبا .



يقول لى ...

يقول لي العلامة السيد محسن الحكيم :

« انصح لك ان تجعل همك في خدمة قومك الادنين حتى يكون لك العقبى التي نتوقعها خاتمة صالحة لك »

« وارى ان لقلمك قوة على البرهان وسلطانا على البيان فاجعله وقفا على الصالح مما تكتب »

« ليس في هذه الحياة الفانية بلغة للاديب الحي الا ان ينشد حقا او يقلع عن باطل

« فاوصيك كما اوصي ولدي ، ان تكون كذلك وارجو الله ان يختار لـك الحسنى في دينك ودنياك »

هل في خزانة الحكمة البالغة انفس من هذا الكنز ايها الحكيم ؟ وهل يدخر الاب الرؤف لابنه البار اثمن من هذه النصائح التي آثرتني بها على انجالك اذ حسبتني واحداً منهم ثم خصصتني بها دونهم ؟

لقد كنت عاقاً للابوة التي تسديها اليّ اذ لم اسلك معك في الرسالة الاولى سلوك الابن مع ابيه الحدب عليـه والتلميذ مع استاذه الحفي به ، لذلك كانت الشقة بعيدة وبعيدة جدا بين المحسن والمسيء وبين العاقل والجاهل .

على اني ربحت كثيرا من جرأتي عليك اذ وثقت من أن قلبك يحتل صدرا يتسع

للحق ولا يضيق بالنقد الحر من قلم الكاتب المخلص والشاعر الموهوب .

لقد بادرني كثير من جلسائك اذ وردت بغـداد فالنجف ، وحملوا الي سخطك عـلى رسالتي الاولى ثم نصحوا الي ان لا ازورك خشية ان اتعرض لغضبك ، فرأيتهم اسفه مني اذ تجرأوا عليك بهذا اكثر من جرأتي عليـك بذاك ، ثم رأيتني ، ان عملت برأيهم ، اسفـه منهم اذ أخسر بمغادرتي النجف دون ان ازورك ، ثقتي بسعة حلمك وكبر قلبك وحصافة عقلك ، ثم اخسر الزلفى الى الله بالقرب منك والنظر الى وجهك والاقتباس من حكمتك .

من اجل هذا كله صدفت عنهم وتوجهت اليك تحت ستار الليل مطمئناً الى اخلاصي فيما قلت ، والى ثقتي بانك اكبر من ان تضن علي بالسمع اذ اقول وبالصفح اذ اخطىء . ، فكنت رابحاً جدا من هذه الساعة التي شخصت بها اليك ورحت تملي علي من مكنون علمك ومخزون حكمتك مـا ضاعف سموك في عيني وعظمتك في نفسي ، ثم ودعتك وخرجت آسفا عـلى ان لم يكن في طوقي تعزيز هذه الزيارة طيلة ايامي تحت سماء النجف الحافلة بالنور .

اعاهدك يا سيدي على ان اختم حياتي الادبية كما بدأتها بخـدمة قومي لا لأنهم قومي بل لانهم العضو الضعيف في جسم الانسانية ، حتى اذا قوي هذا العضو صرفت همي الى معالجة غيره من بني الانسان ، فلست الا واحدا من هذه المجموعة الضاربة في الارض اتقوم بها وتتقوم بي ، ففي كل جارحة من كل فرد صلة تربطه بجارحـة اخرى من فرد آخر ، وفي كل قلب من كل صدر نور يشترك به مع كل قلب في كل صـدر ، سلسلة ايها الحكيم يتصل اولها بآخرها ، واقوى حلقاتها اشدها احتفاظاً بالنظام الذي يربطها بغيرهـا

من اخواتها .

اما أن بلغة الاديب من هذه الحياة دفاع عن حق واقلاع عن باطل ، فهذا ما يقرره المنطق وتدعو اليه الحكمة ، على أني أتساءل، ونفسي بين يدي هذا الحق وذلك الباطل ، هل همـا جوهران ام عرضان ؟ ام احدهما جوهر والآخر عرض ؟ وايهما العرض او الجوهر ؟ ثم مـا هو السابق في الوجود ؟ الحق ام الباطل ؟ وايهما اكثر انتشاراً من الآخر ؟ الباطل الذي ننقم عليه ام الحق الذي ننشده ؟

واي هذين اسبق في الوجود واقرب الى الخلود ؟ وهل ينهض الانتشار او عدمه دليلا على السبق او التأخر ؟ وهل همـا متقدمان على الانسان او متأخران عنه ؟ ومن هو خالق البـاطل اذا نسبنا الحق الى الله ؟ وكيف يغلب البـاطل الحق وهو من خلق الانسان ؟ وهل خلق الحق ليسود بعد الموت ، وخلق الباطل ليسود قبله ؟

هكذا تتراكم الاسئلة علي فما اجد في روعي لهـا متسعاً فاقذفها كالحمم مخاطباً بها نفسي ، وعبثاً احاول الجواب عليهـا بما يطمئن اليه العقل وتقف عنده ثورة الفكر . ولم اكن لاخوض هذا البحث لولا ان كلمتكم هذه جرت عليّ مصيبة التفكير في مجتمع يرى الحق في كل رذيلة والباطل مع كل فضيلة ، ثم لا ارى في الناس من ينكر على ذي الباطل باطله ويقر صاحب الحق على حقه ، اللهم الا من كان مخذولا مستضعفاً .

اين الحق يا سيدي ؟ أفي السياسة ؟ وقـد وضعوا قانوناً للسياسة يتقوم بالكذب والغدر والدهاء ؟ ام في التجارة وقد بنيت التجـارة على الغش

واللصوصية والاحتكار ؟ ام في الصناعة ، وقد قامت الصناعات على الظلم والهضم والاستعباد ؟ ام في الصحافة وقدقامت الصحافة على السفاهة والتحيز والتضليل ؟ ام في الزراعة وقد كانت المساجد والمعاهد تغص بحقوق الله من مال الزارع فاصبح هذا المال وقفاً على الشهوات ؟

اين الحق يا سيدي ؟

أفي المحكمة وهي حافلة بالظلم والفسق والرشوة واللصوصية ؟ أم عند المحامي وهو يتفق مع الخصمين ليفعل في الحق فعل المنشار في الخشب ؟ ام عند الطبيب وهو يمد اجل المرض في المريض لابتزاز امواله ؟ ام عند المعلم وهو يلقن تلميذه الكفر والالحاد والزندقة في سياق علمه وفنه ؟

اين هذا الحق ؟ لقد رأيناه في الامام علي مظلوماً مضطهداً منذ بدأ حتى ختم ، ورأيناه في شبله الحسين طعمة للحديد والنار ، ورأيناه في المصلحين من بعده رؤوساً تطيح وايدياً تغل وارجلا ترسف في القيود ، ثم رأيناه في قادة الفكر آراء تسفه ، وألسنة تعقل ، واقلاماً تتحطم على صخر البؤس والقنوط ؟

وبعد فليس لي ما اقوله بعد هذه الثورة النفسية الا ان استمدك ارشاداً ونصحا واسأل الله ان يمد بحياتك العلم والدين ، فانا لا نرى العلم القائم في معالم اليوم الا سفاسيف ، ما لم يتقوم بالروح التي ينبثق عنها الهدى والحكمة التي تحول دون العلم ان يتحول الى وحشية ينهار عليها العالم .

ويقول لي العلامة كاشف الغطاء :

« لقد قرأت الجزء الاول من وحي الرافدين فلم يكن اعجابي بما اشتمل عليه من علم وادب فوق اعجابي بسرعة تأليفه وطبعه خلال بضعة اشهر ، وهي مدة لا تستوعب الطبع فضلا عن التأليف »

« على ان قومك ينقصهم كثير من تقدير العلم واهله واما انت فما ينقصك لتكون كما تحب الا ان تكون امير طائفتك ، وهكذا نجد النوابغ مغمورين في البيئة التي نشأوا فيها ولو اردت ان اسرد عليك اعمال قومي معي وحجرهم علي كل طريق اسلكها في سبيل اصلاحهم لهون عليك ذلك مما تشكوه » .

نعم يا ابا الحليم ! !

ان قومي وقومك لاينقصهم بين يدي الحق الا ان يعرفوا قدرك ويعملوا بعلمك ، فقد اذكر اني قطعت ليلة مـا وانا اتصفح كتابك الموجز النفيس « اصل الشيعة واصولها » فكنت مغتبطاً جداً بما اشتمل عليه من فوائد نحن في امس الحاجة الى بيانها في كتاب يكشف للاجنبي البعيد عنا جوهر مـا نعتنق من مذهب .

لقد ساءني كثيرا ما سمعت من ابي كمال السيد الباقر اذ مر بمصر حاجاً

واجتمع ببعض اغيانها فسمع من هذا البعض ما آلمه من سوء فهم الشيعة وما ينطوي عليه مذهبهم حتى كانه من المذاهب الباطنية وكأن جعفر الصادق لم ينهل من علم جده وكأن مذاهب الاسلام جميعهـا لم تصدر عن هذا الامام الذي اسس مذهب التشيع واشاعه في العالم .

تألمت جداً بما سمعت من الباقر حتى وردت النجف وقرأت ، وانا ضيف الصديق ابي هاشم ، كتابك هذا وانه طبع حساب المحسن الكبير عبدالهادي الجلبي في سبيل نشره مجاناً على المجتمع الاسلامي ، فكنت مطمئناً الى ان ما سمعت من جهل المذهب الشيعي في المجتمع وما يتركه من سوء الاثر في النفوس على ألسنة دعاة السوء ، لم يعد يحز في نفسي اثره ووثقت اخيراً من ان كتابكم هذا كاف لاظهار المذهب الشيعي والنداء على انه في مقدمـة المذاهب الاسلامية الجديرة بالاكبار .

اما انه لا ينقصني ، لا كون كما احب ، الا ان اكون في غـير قومي ، فهو قول بك ابلغ وعليك اصدق ، ولعل التحليـل النفسي يلقي ضوءاً على هذه النـاحية من الشعور بالذات ، فان الشاعر الحساس يتظلم لنفسه برفع الظلامة عن غيره او بعذر هذا الغير على ان يتظلم ، ومن هنـا كان في صميم الدين ان يتعمد الانسان الجوع والعطش ليشعر بآلام البؤساء من ابناء جنسه .

فلقد شعرت انت بظلامتك في قومك ولم تستطع انصاف نفسك منهم فبدا لك جلياً واضحاً كل هضم نفسي في غيرك مهما استتر ، ثم لم تستطع ان ترفع هذه الظلامة عن اخيك الانسان فعمدت الى تعزيته بهذا التشاكي الذي يجمعك واياه في حظيرة واحدة من بؤس الحياة .

أفما كنت يا سيدي خليقاً بأن تتبوأ المنصب الاعلى في قومك ثم لم تصل اليه ؟ وهذه آثارك ماثلة بين ايدينا ، ولعل كتابك « اصل الشيعة واصولها » على صغر حجمه وشدة ايجازه في اثبات فضلك على قومك ، فهل قدرك هؤلاء حق قدرك ، وانت قابع في زاويتك تضرع الى الله في ظلامتك وهجرك وتعطيل مواهبك في ابناء امتك .

انك لو كنت في شعبك بحيث تقول فيسمع قولك ، ثم تعمل فيقدر عملك ، لكان مقامك في غير هذه الزاوية وكان عملك فوق هذا العمل ، ولعلنا كنا نتأثرك ونتعظ بجهادك وانت تختلف الى الجامعات والمعاهد في سبيل الحق الذي تنشده وتعمل على نشره وتعزيزه بلسانك البليغ وقلمك الآخذ باطراف العلم الثابت في صميم الحياة .

على ان ما يهون مضض هذا اليأس في نفس كل منا يا سيدي هو تأسينا بمن نالهم ظلم المجتمع وهضمه وهم في المكانة التي لا نستطيع ان نمد اليها ابصارنا ولا ان نقبس من نورهم مثل ما يتراءى للتائه من بريق الحباحب في ظلام الليل ، فماذا كان من امر سيد من فكر وعمل حتى لفظ انفاسه وهو يتظلم من قومه وهم يتعامون عن فضله المالىء عين الشمس بالنور ؟ اتجهل من هو ؟ انه قوام الحق بين يديك ، والباقي على الدهر بقاء الدهر على الاجيال ؛ شريك محمد ووصيه وصهره واخوه امين المؤمنين علي ...

فتأس ايها العلم الفرد بمن سن لك العزاء عما تحب والصبر على ما تكره، اذ يقول : لا كرامة لنبي في وطنه ، وبمن يقول : ما ترك لي الحق صديقاً . أفما كان على حق اذ دعا الناس الى الله فما ابوه ، واهاب بهم الى الحق فلم

يجيبوه ، وحاول ان يقيم نصاب العدل فاعرضوا عنه ، وجادلهم بالكتاب والسنة فاستهزؤا به ، ثم لم يجد بدأ من ان يفعـل بعد ان قال ، فأعمل فيهم السيف وهو يعظ ويستتيب ، فما ازدادوا الا عناداً في الكفر .

واستمر الباطل يعمل عمله والحق يستحث اجله ، حتى تنكر للامـام ألصق الناس به واكرمهم عليه ، فنبذوا طاعته ، وسفهوا رأيه ، فعاد مخذولا يندب حقه ، ويعول بين يدي ربه ، وسد الباطل في وجهه كل منفذ يتبين منه الحياة ، وفتح امام الطاغوت طريق الفوز ، ومكنه من سلطان الحكم يأمر فيطاع ويدعو فيجاب .

وهكذا يا سيدي نجد الحر المفكر في العالم يتقهقر على قدر اخلاصـه للحق ، ونرى الأفك الوزغ يتقدم على قدر تمسكه بالباطل ، فما اسفه هؤلاء الناس اذ تضيع فيهم الاحرار وتسودهم عبيد الشهوات ، وأسفه منهم نحن ، اذ ننشد المثل الاعلى فنحسبه في اعتزال الناس ونحن منهم ثم نفترق على حقنا ويتفقون على باطلهم .

ويقول لي العلامة الزنجاني :

« ان القضية العربية عامة والبلاط الهاشمي خاصة في حاجة ماسة لدعاية واسعة في العالم الجديد تقوم على اساس الثقة بالمجد العربي والاخلاص للبيت الهاشمي. »

« واری انه لا يليق بهذه الدعاية الا فئة يرأسها مثلي على ان يعضدني مثلك ، وهذا ما سأفكر فيه فهل انت على استعداد ؟ »

« اظنك زرت الحجة ابا الحسن ووثقت من قولي : ان العظمة في النجف وقف على سكوته ونطقي ، ففي شخصه بلاغة الصمت وفي شخصي بلاغة القول »

اما ان القضية العربية في حاجة الى الدعاية ، وكون الدعايـة في العالم الغربي، فراي صحيح ومسلم به من كل عربي ، واما ان تكون الدعاية قائمة على الثقة بالمجد العربي والاخلاص للبيت الهاشمي ، فهذا لا يراه غيري وغيرك . ولو تنبه له العرب وفقهوا ان البيت الهاشمي ملجأ للعروبة ، وان تقهقر العرب انما ينشأ من تنكرهم لهذا البيت ، وان تنكيلهم بالحسين الاول وخروجهم على الحسين الاخير ، مع اقرارهم بعظمة الهاشمية الاولى على يد محمد والهاشمية الاخيرة على يد فيصل ... لو تنبه العرب الى كل هـذا وفقهوه حق الفقه لاستمسكوا بعروبتهم في الكيان الهاشمي كما استمسك السكسون في

اقصى الغرب واليابان في اقصى الشرق بعنصرهم في كيان البيت الذي يخضعون له ، واضمن لهم ذلك خلود المجد وبقاء العز .

يقولون : ان الامة لاتصلح بخضوعها لرجل واحد يقوم على امرها ثم يتعاقب على سلطانها نفر تحدر منه ، وان الجمهورية اصلح من الملكية ، ثم يضربون الامثال ببني امية وآل عباس ممن ملكوا فأساؤا الى الامة والى انفسهم بما يرويه لنا التاريخ عن الفظائع والفضائح التي تغلغلت في قصورهم ايام سيادتهم في الامة .

يقولون هذا ويغفلون عن ان صلاح الملكية مشروط بصلاح الذات التي تنحصر فيها ، وصلاح هذه الذات مشروط بالفضيلة التي يتقوم بها نسبه وتقوم عليها ذاته ، فهل تحقق هذا في معاوية والى جانبه علي او في المنصور والى جانبه جعفر ؟

فالملك الذي يحتفظ بمجد آبائه ويعتز بكمال ذاته انما يعصمه عن التردي في الغي ، ويحميه من الوقوع في الرذيلة عاصمان من حسب النفس وكرم الآباء ، فهل توخى العرب ذلك فيمن ملكوه عليهم بعد محمد وكان سيء العقبى فيهم فيكون لهم من ذلك مبرر في تفضيل الجمهورية على الملكية والخضوع لسلطان المفضول دون الفاضل ؟

لا ادري كيف يحتفظ بمجد الامة من كان شعوبيا كما لا استطيع ان افهم ان من ينميه للشرف الاثيل آباء صيد وكان حسيباً بنفسه كيف يعق ابوته ويخضع لسلطان الهوى الجائر ؟ ثم لا ادري كيف تختار الامة للحرص على كيانها من يساوم الاجنبي عليه ، وكيف تأتمن على تراثها من تعلم علم

اليقين انه مصهور في بوتقة العداء لهذا التراث وفي صميم نفسه خلق لا يمت الينا بصلة تحوله هذه الثقة منا ؟

الا ترى يا سيدي ان الخونة عندنا لايزالون حتى اليوم يضطلعون باعباء الحكم ، ويتقلبون بفضله على سرر العز ويتمتعون من ورائها بنعيم الحياة ؟ ولا يزال المخلصون من رجالنا حتى اليوم يرون حقهم مهضوما وقدرهم ممتهنا ومكانتهم مجهولة، كأن لم يضحوا في سبيل امتهم دماء صبغت وجه الارض، ونفوساً كانت عزيزة عليهم لو لم يرخصها شرف المجد وعز القومية التي الجمتهم ان يقولوا الا صادقين وان يفعلوا الا من وراء الاخلاص .

هكذا نجد الامة اليوم تتخير لنهضتها الحديثة في عهدها الجديد من كانت لا تأمنه بالامس على حلقة من سلسلة تراثها العربي في اللغة والاداب والاخلاق ، وهكذا هي تهمل ابناءها البررة فيبقى الخائن ثابتاً في نعيمه وهو يتلون ، والمخلص ثابتاً في بؤسه وهو راسخ العقيدة قويم المبدأ صاب الايمان لا يعرف للتلون وجهاً ولا يقيم للتدجيل وزناً .

ومن قال لك يا سيدي ان زعماء الامة يختارون لتأدية رسالتهم في الدعاية امثالك وامثالي ؟ وهل بلغت الفضيلة في نفوسهم حداً ينخلون معه الرأي ، فيتخيروا الافضل من رجالهم ويعتمدوا عليهم في اداء تلك الرسالة ؟ كلا انهم لا يرسلون ، راضين او مكرهين ، الا الفئة التي همها من الدعاية اذ تهبط لندن او نويرك او باريس ، ان تتقلب في المواخير وتسترسل في الشهوات واما صالح الامة فمن وراء ذلك كله .

اما ان عظمة السيد الاصفهاني ففي سكوته وعظمتك في قوالك ، فهذا

ما اصادق عليه واعترف به على ان صمت السيد جر عليه من الخير اضعاف ما جر عليك نطقك ، اذ اجدك ابداً تشكو الامة والزمن بينما لا ارى على وجه السيد اثراً للشكوى ، وهذا ما يحقق صدق المثل القائل : « ان البلاء موكل في المنطق » .

وقد رأيت فيما خبرت ان خير الحياة لا يستقيم معه سنن في الحياة يختطه المرء في سبيل ذلك الخير ، فقد نرى الرجل اوثق ما يكون من نيل الخير وهو يتذرع اليه بالعقل والفكر والسعي والثبات والنشاط فاذا به يخفق وينكص بينما نرى غيره قد ظفر به وهو قعيد بيته لا يحسب له حساباً من اعمال فكر او اجهاد قلم او تعنيت جوارح .

وارى ان وراء حياتنا الحافلة بالاحاجي والالغاز ، سراً لا ندركه ولا نتبين مصدره ، سراً يرينا من خلال تفكيرنا واعمالنا ان الاخفاق في الحياة لا يقترن بالهدوء والسذاجة والصمت ، وان الفوز فيها لا ينشأ عن الحركة الدائمة والدهاء والمنطق البالغ ، فقد يكون هذا او ذاك سبباً للفوز او الاخفاق ، والتعليل يشق على فكر البصير الحاذق ، اللهم الا ان يتوجه الى ان الاخلاص في كل عمل يأتيه المرء ضامن للفوز عاجلا او آجلا ، وان عدمه يفضي بالرجل الى الاخفاق عاجلا او آجلا .

وعجز الفكر عن تعليل ما يشذ عن هذا الناموس فانما ينشأ عن ضلال هذا الفكر في تبين الاسباب والعلل بين يدي التمحيص والتحليل .

ويقول لي السيد حسين نجل الحجة الاصفهاني :

« كنت ، وانا في الكاظمية مقتنعاً بصحة ما رأيت في الجزء الاول من وحي الرافدين ولكني اذ عدت الى النجف ورأيت الضجة الصاخبة حول الكتاب وصراحة النقد فيه ، احجمت عن الجهر برأيي واعتصمت بالصمت . على انني لا اكتم اعجابي به واخذي عليه انكم نسبتم والدي الى ايران بينما هو للشيعة جمعاء في سائر الاقطار الخافقة جاه »

سبحان الله يا اخي ما اخوف اهل الحق على الحق ثم ما اجبنهم عن الجهر به ، أفكل من رأى الحق والزمه الله نشره ، رأى الباطل شاخصاً الى جنبه فاحجم خوفاً منه ، حتى ابناء الرسول ؟ أفكنت انا وحدي المسلم الشيعي حتى اتحمل تبعة الجهر بالحق والصراحة في النقد ثم الشتم واللطم من وراء ذلك في سبيل الدين الذي سنه جدكم وعززه اباؤكم من بعده ؟

نعم انا مسؤول ، بديني ومذهبي ثم بعلمي وادبي ، عن الجهر بالحق فيما يحفظ الدين ويذود عنه الاهواء والاباطيل ، ولكني لست المسؤول الاول الذي يعرض نفسه للدهماء فيطأونه باقدامهم ويسلقونه بالسنتهم ، ثم لا رادع لهم ممن هو مسؤول قبلي عن المذهب والدين ، وامل غيري ، ممن هم بين

سمعك وبصرك ايها السيد ، من هو مسؤول ان يفعل في سبيل الحق ثم يجبن عن القول بله الفعل .

ان اباك ، حفظه الله مهجته ، علم الامـــة اليوم وهو المرجع الاول ، والمسؤول عن كل دقيقة وجليلة يراها الحر حجر عثرة في سبيل ما يقول ويفعل فما بالك وانت ابنه ، وفلذة كبده ، وحامل رسالته ، تحجم عن ان تدافـع بلسانك وقلمك عمن يرون في وحي الرافدين خلاف ما ترى من الصراحة والصدق ؟

أفلا ترى معي ، ايها المخلص ،ان هؤلاء الذين ينقمون على رسالتي اليكم انما يدفعهم الى النقمة خوفهم من تأثير هذه* الرسالة على ابيك الحجة فيصرفه الى انفاق ما يرد عليه من حقوق الله في الجهة التي يتأثر بها معاشهم وينفـد منهم الزاد الذي يتبلغونه عن غير طريق تفضي بهم الى الحق بين يدي الله ؟

هذه آلالاف من العاطلين يقطعون ايامهم ولياليهم بين النشيل والعلف ، اللهم الا القليل منهم ، لا يعرفون من الحياة الا انها اكل ونوم، ثم لا يفقهون من الدين الا انه صلاة وصوم ، وعلى ظهر الارض ستون مليونا من شيعـة ابيك وجدك يتطلعون الى النور من فجر النجف الاغر فلا يبصرون الا سيلا جارفاً من الغرب يغمرهم بالفسق والالحاد والعبودية تحت ستار العلم والفن ، فمن يدفع عنهم غائلة العصر الحافل بالرذيلة ولا ملجأ لهم الا النجف ،والنجف كما ترى وارى ، يتخرج منه رجال يرون الاصلاح في الامة موكولا الى المهدي المنتظر .

لا تواخذني يا سيدي ان جنح بي القلم فليس لي عليك ثار ، ولكنهـا

ثورة النفس من وراء الغيرة على الفضيلة التي قرأتها في ثنايا مذهب جعفر ثم عرضتها على ورثته وحملة رسالته ، فوجدتها حيث لا حفظة منهم يذودون عنها الكفر ، ووجدتهم حيث لا عمل يفضي بهم الى التضامن في سبيل تعزيزها واذاعتها .

اما نسبتي اباك الى ايران فكنسبة سلمان الى فارس وبلال الى الحبش ، فليس في الحق نسب ايها السيد، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ثم لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى، على اني لست ممن يتعصبون الى العرب في الدين لاني ارى هذا الدين مكلوءا من العجم فوق كلاءته من العرب ، ولقد شهدت بنفسي طلاب العلم الحديث في جامعة لندن وهم من مسلمي الهند ، يفرغون من دروسهم الى الصلاة ، ويقيمون شعائر الدين كما يقيمها ابناء مكة والنجف بينما كنت ارى الطلبة العرب من مسلمي مصر وسوريا في جامعات اميركا لا يتورعون عن كل محرم يحجره عليهم الدين .

ولقد كنت اغشى مشهد الجوادين وابيهما الاعلى في الغري ، مع الفجر وقبله فلا ارى الانفاس المتهبة تغمر الضريح المقدس من غير العجم ، وكنت اشعر بدموعهم المتحدرة على بلاط الحضرة تتهالك من اجفاني بينما لم ابصر عربياً واحداً يقرع سمعي بلغة الاسلام الفصحى ، فكيف تتهمني بالسوء في نسبة ابيك الى ايران ؟

اني لأجل اباك وارفعه اذ أنسبه الى البلاد التي عملت ولا تزال تعمل على تأييد المذهب الجعفري واكاد اجزم بان ايران هي الينبوع الاول الذي ينهل منه حفظة المذهب الشيعي وسدنة الاماكن المقدسة ، وعليهم يبنى كيان

البيت الذي نعرف كيف نعبد الله فيه ، اذا كانت الحقوق التي ترد النجف صادرة عن ايران ؟ او ما كان اساطين العلم الذين عززوا المذهب وايدوه امثال الجواهري وابن طباطبا وبحر العلوم ، واليزدي والخراساني والنائيني والاصفهاني وغيرهم من ايران وما يتصل بايران من الشعوب التابعة لها والخاضعة لسلطان الشيعة فيها ؟

حسبي في تقديس ابيك ورفعه الى المكانة التي لا يدانيه فيها احد من ابناء نوعه . اني ارى فيه فوق ذلك كله ، سراً لله تراه العين في شخصه ويلمسه القلب في روحه ثم يعيي على الانسان ان يصور هذا السر بشكل يقتنع معه المكابر حتى كانه يرى شخص ابيك رؤيتي ويلمس روحه لمسي .

ما ادرى لماذا ، وانا انظر الى ذاته القدسية دون ان انبس او ينبس ، استشعر الروح القدس يتجلى في هدوئه وصمته ، ثم اذا تكلم او اشار لم اجد في حديثه او اشارته او تفكيره ما يخوله هذه المنزلة الكبرى التي يتبوؤها في قلب كل شخص من مواليه واشياعه .

ما ادري ، ولعلي اجهل بين يديه الجهل كله في تعليل وصوله الى هذا المنصب ، فلقد درست حياته وسيرته وشخصه فما رأيت في كل ذلك شيئاً يهديني الى انه يجمع العلل وتتوفر لديه الاسباب التي يصل بها الى سيادة ستين مليونا وادارة جامعة كبرى ينفق عليها ملايين من الجنيهات بشكل منظم لا تنقصه خبرة ولا اخلاص .

انا لنفرض فيمن يعهد اليه بادارة جامعة دون جامعته ، ان يكون خريتا فيما يسلك وخنذيذا فيما يشعر ، وخنفقيقا فيما يفكر ، وجبارا فيما

يحكم ، ومدرهاً فيما يقضي ، ومعجزا فيما يتكلم ، وترى اباك لم يسلك في حياته كلها طريقا غير الذي يصل مبيته بصلاه ، ولم ينظم بيتا من الشعر ، ولا خالط فكره الساذج شيء من الدهاء والسياسة ، ولا احس جليسه بساعة كان فيها شديدا او عنيدا وهو يحكم ، ثم لم يسمع منه من يتحدث اليه جملة واحدة تشير الى شيء من ذلك كله .

فمن اين له هذه المنزلة التي تستهوي قلوب الملايين من البشر وتقف عليه امواهم واهواءهم ؟ هل هناك من فكر في هذا السر ؟ وهل في الناس الحافين بابيك من عمد الى تحليل هذه الشخصية بما يتفق والمنطق الصحيح ؟ كلا

على اني انا الكاتب الوحيد الذي سخرني الله لان اكشف عن هذا السر وابعثه الى الاجيال عبرة وعظة ولو لم يقل به احد ممن اعمت بصائرهم الوان الحياة البائرة فلم يبصروا الا باعينهم ولم يفكروا الا بالسنتهم .

ذلك السر هو تسفيه الله لنا فيما نرى ونحكم في الرأي كانه وحي منزل ثم نراه لدى الكشف الواقعي بعيداً عن الحق وقريباً من سفاسيف الحياة ، فالعلم الكاشف عن الحقيقة ، والادب الكاشف عن الحياة ، والفن المشير الى الخلود ، والقدرة البالغة في كل شيء يضعها الله حيث يشاء في حيث نجهل .

فمحمد البالغ حد الاعجاز في كل ما جاء به كان امياً بسيطاً ، وعلي بن ابي طالب صاحب نهج البلاغة وباعث التصوف في العالم كان من السذاجة بحيث الصق الجاهلون به قصر الباع في السياسة ، وترى اليوم كل خارق في الرياضة الروحية وآت بالمعجزات من خوارق الطبيعة ، بعيداً كل البعد عن جامعات لندن وباريس ونويرك وبرلين .

ثم نرى نتاج الادمغة التي تخرجت من هذه الجوامع لا يتفق والحق ولا يهبط منها على العالم شي. يحمد اليه العقل الصحيح ، مدنية تمهد للحضارة او ديناً يهد الاخلاق .

وبعد فهل تحملني على الحسنى في نسبتي اباك الى ايران وتعتبر كلمتي التي اوجهها اليك خالصة لله اذ تحمل بين حروفها جزءا من روح كاتبها الذي يقدس اباك قبل كل رجل في عالم اليوم ؟

ويقول لي الاستاذ صالح جبر :

« يعجبني من كتابك الصراحة والاخلاص ولكني آخذ عليك شيئاً واحداً هو مغالاتك في مدح من تحب . . .

يقول ذلك لي وهو يشير الى صدره يعني بذلك نفسه وانه يأخذ عليّ مدحه البالغ في رسالتي اليه ثم يقول :

« وكيف السياسة عندكم والساسة ??

« وكيف كان حكم رياض الصلح ، فهل خرج موفور الكرامة كما دخل ??

« وكيف زعماء جبل عامل ?? وهل احدثوا اثراً قيماً في الجبل??»

لم يخلق الله المدح والذم عبثاً يا صاحبي ، ولم يكن العرب سفهاء اذ جعلوا للمدح والهجاء مكانة اولى في عالم الشعر يوم كان الشعر عندهم عنوان الفخر والمجد ، ثم لم يفرق الله في مدح الصالحين وذم المنافقين على لسان رسله وفي كتبه المنزلة من لدنه الا ليحق الحق ويبطل الباطل .

ليس في ذلك عبث ايها السيد ، ولكن العبث والسفه في ارسالنا المدح والذم جزافاً دونما تمييز بين من غدح او نذم ، فرب مذموم لنا اخطأنا جوهره فظلمناه ، ورب ممدوح بنا اوهمنا الغرض السيء صلاحه فاسبغنا عليه طرائف

القول ، وهو خليق بان ينحدر الى الحضيض عما ترفع له من قواعد الثناء .

واذا لم نشد بالصالح وننشر اعماله وندع الغير الى تأثره والسير على نهجه فكيف نجهر بالحق ؟؟ ثم اذا لم نسفه الطالح وننشر اعماله ونحذر الناس منها ونتوعد الراغبين فيها ، فكيف ننكر الباطل ؟ أفما كنا ، نحن ارباب الاقلام والالسن ، مسؤلين قبل كل انسان عن الاصلاح في الشعوب ، وتوجيه الامم الى الخير والجمال في الحياة ؟

والحوماني هذا الذي ورد العراق وهو لبناني فرأى فيها العامل والخامل ثم عاد الى وطنه وسئل عن نهضة العراق فماذا يجيب ؟ ايمدح العامل ويذم المهمل ، ام يعكس في القول ؟ ام يغضي عن الجواب ؟ فالاول حق ، والثاني باطل ، واما الثالث فخيانة ، اذ ليس للاديب ان يسمو في نظر الامة حتى يؤدي رسالته اليها تامة غير منقوصة ، وهل يكون كذلك وهو يغضي عن اداء رسالته هذه كما يفرض عليه ادبه ؟

فما عذر الحوماني ، وهو لا يملك غير القلم واللسان ، اذا زار العراق وغير العراق فأجال فكره بين يدي قلمه وهو يتحرى الاصلاح لابناء قومه ، فرأى المخلص منهم يعمل والخائن يهمل ثم لم يعزز عمل المخلص بمدحه وثنائه والنداء على عمله ، ولم يؤنب الخائن بلومه وتقريعه او ذمه وهجائه ؟ فما هو عذر هذا الزائر ان زاركم فاكل وشرب ثم عاد ولم يفعل شيئاً ؟ ايكون ارفع قدرا من الحيوان ؟ اذ يسمع ويبصر ويفكر ثم لا يتحدث عن عظمة الله في نفسه بين اذن سميعة وعين بصيرة وفكر يرهف اذنيه ويصقل عينيه ؟

اما رياض الصلح والعمل الذي كافأ به جبل عامل الذي رفعه الى المكانة

اللائقة به بعد ثلاثين عاماً قطعها وهو يتطلع الى مكانته تلك ، اما هـذا الرجل الذي تضخمت آمالنا فيه ثلاثين سنة ، فاحيلك في الكشف عنه الى ديوان « فلان » الذي يصدر قريباً ويعنى برجال السياسة في لبنان وعلى رأسهم هذا الرجل .

واما زعماء جبل عامل ، فالى هذه الساعـة لا يزالون بعيدين عن الذروة التي يشرفون منها عـلى التربة المقدسة التي انبتتهم وسودتهم فيقفون على الواجب الذي يدعوهم للعمل في سبيل اغـاثة هذه التربة وهي تعـاني الجهل والفقر ، ورجالهـا المسؤلون ينعمون فيها بصفى العسل ولباب القمح ونسائج القز ، وان كان بعضهم قد احدث حدثاً يشير الى اصلاح فانما احدثه في سبيل منصبه والاحتفاظ به وفرض تقديسه عـلى الناس ، حتى اذا ادرك ما امل وقف عن العمل واستوى على العرش يقول : انا ربكم الاعلى .

ولا بد لي من جولة اخرى في عالم الصحافة لاتم رسالتي في اصلاح جبل عامل فاكشف عن المخلص حتى تراه العين العمياء ، واغمر الخائن حتى لا يشعر به احد ، من اجل ذلك اعددت للعروبة عدتها من جـديد ولعل الزمن عاد فوفى الاحرار حسابهم ، فلينتظر من يشوقه ان يسمع صيحة الحق من جديد وليسمع من كانت له اذنان .

ويقول لي السيد الباقر ابو كمال :

« يأخذون عليك في وحي الرافدين ان تجمع بين دفتيه عناصر يجمعها نسب واحد ولا شرف واحد ، على اني اعرب لك عن رأي غيري واحتفظ برأيي .

«يتهموني باني اخدم الايرانيين بشيعيتي، وانا انما اخدمهم بعراقيتي وعروبتي لان تربة بلادي مقدسة عندهم ،فوق تقديسها عند قومي .

« على اني لا أنكر شيعيتي ولا احجم عن خدمة كل شيعي ، افلم تجمعني واياه شريعة جدي محمد وهو غريب عني بوجهه ولسانه ??? »

مهما يكن من شيء. فقد ادليت برأيي فيك يا ابا كمال قبل اليوم واراني لا ازال ثم لن ازال اثق بان شرارة فكرك منبثقـــة من جوهر سيد العرب جدك رسول الله ، فان في كل مجلس ضمني واياك ، على كثرة هـذه المجالس ، كان يطالعني من طيب عنصرك ما اطمئن معه الى انك حلقة قيمــةفي سلسلة الهاشمية العليا التي يفتقر اليها العراقي اولا والعربي ثانياً والمسلم اولا وأخيراً .

اما انهم يأخذون علي ، اني اجمع بين الرتب المختلفة على صعيد واحــدة وفي مستوى واحد ، فقد ظلموا الحقيقة فيما يرون من رأي ليس له نصيب من الصواب في عالم الاخلاق ، ولعلهم اخطأوا الهدف الذي أرمي اليه من النقمة

على الانانية البغيضة والحث على الشعبية الحرة .

ومن قال لهم اني صهرت النفوس المتفاوتة في بوتقة واحدة ؟ افلا يرون انهم يجتمعون في وحي الرافدين تحت سماء واحدة تشرق عليها شمس المعرفة ؟ أفما كان الباعث لي على جمعهم تضافرهم على اكرام الادب وتقدير العلم الذي وقفت على خدمته قلمي وبياني ؟ أوَ ما قدمت الكتاب ببضعة اسطر عرضت فيها للسبب الباعث على اخراج هذا السفر وانه قاصر على الوفاء والاعتراف بالجميل لفئة من الناس كرمت العلم والادب في شخصي وعملت في حقل الاصلاح الذي انشده ويدعو اليه كل اديب ؟

فماذا يهمني إذ أرى فلاناً وفلانا ، على اختلاف منصبيها في السلطان ؟ قد اجتمعا في حظيرة واحدة لخدمة الحق ، ماذا يهمني ، وقد اديت رسالتي الادبية في التدليل على خدمتها هذه ، ان يكون احدهما آمراً والآخر مأموراً ؟ أفلست مسؤولا عن هضم الحق في الصغير وانا اعلنه في اكبر منه ؟ اني إذن لظلوم غاشم ..

وبأي وجه اتلقى الحق بين يدي الله ، ان أغفلتك في كتابي وقد تبادلنا الحب والاخاء الانساني ثم وقفت قلمي على تشهير من هو فوقك ولا تربطني به رابطة ما اللهم الا بضع دقائق وقفت على بابه بعضها وجلست بين يديه البعض الآخر استوحيه ما اقول او افعل واذا قلبت صفحات حياته لا اجدها انقى من صفحات كتابك ..

لا اريد ان يلومني احد في وفائي لاخواني الذين مزجوا ارواحهم بروحي وخاطوا اخلاصهم للعلم والادب باخلاصي ورأوا في وجهي ما قرأت على

وجوههم من نور يشيع في كيان كل منا حتى رأيت نفس كل منهم مرآة أرى فيها نفسي ، فانا احب هؤلاء الذين ألام على تخليدهم في وحي الرافدين ولا اريد لمن يلومني في هذا الحب ان يمعن في لومي ، لاني أرى الشيء الوحيد الذي اتعزى به عن هذه الحياة الحافلة بالشقاء ، هو ان اخلو دائماً الى ذكر احبائي واناجيهم بفكري وقلبي .

نعم يا ابا كمال !!

لقد كنت كبيراً جداً في نظري وانت تقول : « كم للعراق من عظمة يحفظها له التاريخ اذ تحمل تربته وتقدس ويعبد الله بها في الصين والهند وتركيا وفارس وكثير من بقاع الارض التي يقطنها عشرات ملايين الشيعة المسلمين ، ثم لا نرى العراق يأبه لهذه العظمة ولا لمن رفعه بها في نظر الحق والتاريخ ، فيحمد الله اليه ويعزز هذه العظمة في نفوس الخلق » .

تقول ذلك ، ونحن في حلقة من قادة الفكر والسياسة جمعت الاديب المفكر الى السياسي الحاذق في منزل الاخ الكريم ابي عبد العزيز الدهوي ، تقول هذا ويؤمّن عليه السادة عبد الرزاق شكاره وطاهر القيسي وخليل اسماعيل وعلي رأفت وحسن السهيل ، وجلهم من رجال العراق المعدودين ، ثم تعقب على ذلك بقولك :

« يزور الاماكن المقدسة في العراق كل سنة ملايين من الخلق وفيهم ما يزيد على مائة الف اجنبي عن العراق ، وهذه الاماكن تكاد تنحصر في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وهي مدافن الائمة من اهل البيت ، فيغدقون النعم السابغة على هذه المدن وتفيض هذه النعم حتى تشمل العراق كله ثم

يحملون من تراب هذه الاماكن في حقائبهم ومن حبها في قلوبهم ما يتحدثون به في بلادهم طوال حياتهم ، فكم في ذلك من الدعاية للعراق وشعب العراق ومجد العراق ؟ »

« فهل وفى العراق حق هذه الدعـاية وهل قام بواجبه تجاه نفسه فعزز الزائر واكرم وفادته بتأمين راحته في حله وترحاله ؟ وهـل عني بهذه المدن عناية يحمل معها الاجنبي الى بلاده ، اخلاص العراق حكومة وشعباً للاماكن المقدسة التي من اجلها ينبغون في التاريخ وتتسع لهم آفاق الدعاية في اقطـار العالم ، وتشكرهم البطولة في سجل الخلود الباقي على الدهر ؟ »

« من اجل هذا اخدم عراقي المحبوب من وراء خدماتي للهندي والصيني والتركي والفارسي وغيرهم من رعاة الدين وحماة الاخلاق ، ويؤولون خدماتي هذه على غير الوجه الناصع الذي يشكرهم عليه الحق فينسبوني الى الشعوبية تارة والى العصبية تارة اخرى ، على ان خدماتي هذه لا تفي العراق حقـه في نفوس مرتاديه ، اذ ليس في طوقي ان اعبد طريقاً يصل هذه الاماكن المقدسة بعضها ببعض فيرفـه عن المسافرين وعورة الطريق ووحشته ، ولا في طوقي تجميل الشوارع او تنسيق الحدائق ، ولا تحت امكاني تأسيس فنادق تؤمن راحة المسافرين ، ثم ليس في استطاعتي ان اخلق في روع التاجر والصانع معاملة يستهويان بها قلوب الزائرين ويسترقان نفوسهم ويبيض بها وجـه العراق من وراء ذلك كله » .

ذلك ما اكبرتك من اجله ايها المخلص لقومه والناصح لابناء ملته ، ولقد صارحت برايك هـذا جل المصلحين العراقيين من قادة الرأي والفكر في

الحكومة والشعب ، وكان لرأيك الاثر البالغ في نفوسهم ولمست في نواياهم العدة الكاملة للعمل بما ترى ، فلم يكن العراقي ، حاكما او محكوماً ، ليُغفل هذا الرأي او يَغفل عن العمل به ولكن الحرب عذر جلي قائم في وجه اللوم القاسي الذي يوجهه غيرك ممن لا يملكون عواطفهم وهم ينكرون على العراق اهمال الاماكن المقدسة والتنكر للمدنية فيها .

سلام عليك ابا كمال ، وسلام على خدماتك لقومك وسلام على تلك الوجوه التي تنير سماء بيتك مساء كل خميس اذ تستقبل فيه اهل الفكر والرأي ويضج مكانك الرحب بما يسوده من نقاش علمي ادبي اجتماعي فيعطي الزائر الجديد من أمثالي نموذجاً صالحاً للدرس والبحث والنقل والتسجيل .

ويقول لي الزعيم العراقي الكبير صقبان العبادي « ابو تيمور »

« ان انتقادك الذي وجهته في وحي الرافدين الي باني اخطأت حقيقة الكرم في القرن العشرين لم تكن على صواب فيه »

« لقد تأثرت بكرم المائدة السخي آبائي واجدادي العرب ثم لم اغفل عن مناهج الكرم الحديث اذ انشأت في الشامية وجوارها عدة مدارس »

« وسأحقق املك في المستقبل اذ تدخل كربلاء او النجف فيطالعك امامها بناء فخم للصحة او للعلوم وقد كتب عليه : من آثار « آل فتلة » .

ما جلست اليك ابا تيمور، الا وذكرت الزعيم العربي المخاطب بقول الشاعر :

ومخرّق من القميص تخاله	بين البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته	تحت اللواء على الخميس زعيما

حقاً لقد كنت مخطئاً اذ وجهت اليك من قبل رسالة لم احرص فيها على استطلاع امرك خشية ان يضل المؤرخ ويتهافت الاديب، فعذرا على ان كتبت اليك منتقداً دونما حرص على الحقيقة فيما اكتب اذ ذاك والذنب ليس كله علي فقد يشاركني من روى لي كرمكم القاصر على الخبز والملح .

اما الآن وقد ضمني واياك اكثر من مجلس واجتمعت الى اخيك ابي السوادي المعرق في المجد اعراقك ، وتحدثت الي بما يجلو الحقيقة ليمني ، واخذت من لسان اخيك ما يقرر حديثك في نفسي ، ثم قرأت على السنة الناس وفي وجوه اصدقائكم الكثر ما عدت معه مطمئنا الى ان العراق سيطبق على العالم العربي بامجاده اذ كنتم انتم واشباهكم من رجال العراق الغُير على العروبة ، قطب الدائرة في تعزيز هذه الامجاد .

اي ابا تيمور !

حقاً لقد كنت محل الثقة من نفسي بانك ستنهض للمجد وتضطلع بعبئه ويرى الاعقاب خلفك اثراً فيما يتخرج عليه رجال يسجل لهم التاريخ بفضلك سلسلة ذهبية في المجد ، لقد كنت محل هذه الثقة من نفسي لا بما أكرمت الادب والعلم الماثلين في شخصي ، ولكن بالشمائل العربية الكريمة التي تحليت بها ، والنفس الجبارة السامية التي تناطح بها الجوزاء ، والروح الوثابة الطامحة التي تدين لك بها الجبال .

بهذه الخلال الشريفة التي كنت ادرسها فيك وانت آخذ بالتحدث الي عن عزمك على تحقيق ما ارجوه فيك من نفع عام تسدي به الى قومك يداً بيضاء يحفظها لك الحق ويصفع بها الخلود وجه الزمن العارض بالفناء .

الآن وثقت من انك عملت في منطقتك اعمالا يشهد لك بها حياؤك وانت تتحدث بما عملت ، وإباؤك وانت تتحدث عما اسأت بـه اليك ، وطموحك وانت تحملني على الثقة بمستقبل اراك فيه عالي الرأس بما تنشىء من معاهد تدفع بها عن امتك بؤس الحياة الحافلة بالالام والآثام .

ايها الزعيم المحبوب

الا وان العز سمو ، والسمو طموح ، والطموح عمل ، والعمل مجد ، والمجد خلود ، والخلود حق ، فما من امة كانت على حق الا وكان نصيبها الخلود ، ولم تخلد امة الا من وراء المجد ، ولا يتوفر فيها مجد الا بالعمل الصالح والعمل انما هو وليد الطموح ، والطموح سمو في النفس والسمو اسمى مراقي العز في الامة .

وان الذل هبوط وانحطاط ، والانحطاط خنوع ، والخنوع بطالة وكسل ، والكسل ضعة وخذلان ، والضعة فناء ، والفناء باطل ، فما من امة كانت على باطل الا وكان نصيبها الفناء ، ولن تهلك امة الا من وراء الخذلان ، ولن تخذل الا بدافع من كسل واهمال ، والكسل انما ينشأ فيها عن الخنوع والاستكانة ، والخنوع وليد الهبوط والانحدار ، وذلك احط دركات الذل في الامة .

افلا تحب يا ابا تيمور ان تكون المثال الصالح لامتك والمثل السائر في الاجيال الباقية على الدهر ؟؟ انك ان احببت ذلك ، واراك مفتوناً به ، كنت كما احب لك ، خالداً بمجدك وماجداً بعملك وعاملا بطموحك ثم كنت طامحاً بسمو نفسك وسامياً بعزة آبائك واجدادك .

انت غني بمجدك ، وغني بحسبك ، ثم غني بمالك وطموحك وعزة نفسك واراك ايضاً غنياً بتفكيرك وادراكك وتحليلك المجتمع واحداثه ، ولا ارى نواة في الرجل للسيادة والسمو شيئا فوق هذا ، فكن اذاً سيداً سامياً في امتك ثم لا ارى نواة في الامة لسيادتها على الامم اكثر من ان تكون غنية برجال

احرزوا ثروة كثروتك في المادة والادب ، فلتكن امتك بك اذن سامية في الامم التي تناهضها على ضوء التاريخ .

اني لمشتاق جداً الى الفئة الغر الوجوه التي كانت تحدق بي في قصرك الجميل على ضفاف دجلة ، ولكم اراني مغتبطا اذ اغمض عيني في شواطىء لبنان فاستعرض الاحلام التي ترجع بي الى تلك الوجوه فتشرق بها سماء نفسي وتندى على ازهارها اجفاني .

افكل ما تستهدفه يا ابا تيمور من وراء سماطك الممدود وايايديك السخية فوقه ، وعواطفك المتغلغلة في طعامه وشرابه ، هو ان تكرم ضيفا او تجمع اليك اخوانا ؟؟ كلا ! كلا ! ! ان وراء ذلك ما هو اسمى من ان تدعونا فنجيب وتمد سماطك فنأكل ، ذلك هو ان تحقق ما قلت لي بالامس : من انك تريد ان تبقى عربيا بشمائلك وعاداتك واخلاقك ، وان اسمى ما كان العرب يتخلقون به الكرم على الشكل الذي قمت به مهما تحور الكرم وتطور .

فان لكل امة اخلاقاً تنبت معها في البيئة التي انبتتها والمجتمع الذي ضمها ولن تستطيع الاقلاع عن هذه الاخلاق حتى تقلع عن التربة والمجتمع وتستبدل بهما تربة لم تنجب العرب ، ومجتمعاً لم تتغلغل فيه روح العروبة السمحاء .

لقد صدقت ، فاعمل بكرم آبائك محتفظاً بمجدك وبارِ القوم في ميدان العمل الحديث لاعزاز مجدك وصون عروبتك من ان تمتد اليها يد امعنت في العلوم والفنون حتى قلبت وجه العالم فاصبح العلم سلاحاً يفتك بالانسانية والفن وسيلة يتذرع بها الفنان الى الفسق والالحاد والزندقة وفي كل ذلك مايغاير مجدك ولا يتفق مع الكرامة التي درج عليها آباؤك من قبل .

ويقول لي الاستاذ رضا الشبيبي :

« لم يكن عهدي برياض الصلح ان يكون كما اسمع ، ولقد اوصيته اذ زار العراق في عهد حكومته بان يعنى في جبل عامل عامة وبشيوخه الاحرار خاصة .

« وقد اتصل بي على لسانك انه لم يكن وفياً مع هؤلاء الشيوخ وفاء ابيه معهم ، ولعلك لا تجهل من عنيت من الشيوخ ، انهم الشيخ احمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشيخ عارف الزين »

ما كنت أحب أن أخوض هذا البحث لولا ان الحقيقة تخزني وانا اغفلها فيما اقول او أفعل ، ولقد خلقت ، منذ قدر لي ان اكون مخلوقاً ، ثائر اللسان والفكر والقلم بين يدي اعلان حق او اغفال باطل ، فما كنت لاخشى ،وانا اعتمد الصدق ، اية صاعقة تعصف بي من انصار الكذب والريا والتدجيل .

عنيت بالرياء والتدجيل ، هـذا الذي يطلق عليه الجبان الرعديد اسم المداراة والمصانعة ، ثم يستشهدون له بقول الشاعر الجاهلي :

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ثم لم يلتفتوا الى ان هذا شاعر وليس كل شاعر نبياً مشرعاً ، وهب ان المصانعة والرياء تجمل احياناً بالحكيم ، فمن للحق اذا ظلم وكان جميع انصاره

من هذا الصنف المرائي الدجال ، فهل يسكتون عنه حتى يبتلعه الباطل ، ام تجب التضحية اذ ذاك فينبغي لها اقومهم لساناً واجرأهم جنانا واخلصهم ايمانا؟

انا يا صاحبي هذا الذى ينبغي للتضحية في هذا المقام ، ومن قرأ العروبة واسرتها من كتب الحوماني عرف الحوماني ومن عرفه عذره ، فقد قال وهو في مطلع شبابه :

خلقت حراً ، وعلى مبدئي	يضمني لحدي كريم الشيم
تحت يراعي الحر يجري دمي	ان لم ترقه البيض تحت العلم

وقد صدق تنبؤه هذا اذ جرى دمه تحت يراعه الحر على ايدي الفئة الخسيسة الغادرة ممن يدعون سيادة الشعب وهم دون الصعاليك حسباً ونسباً .

فلأن أُضرس بالف ناب من الدهر وأوطأ منه بالف منسم ومنسم ، وانا انصر حقاً وادعو اليه ، خير لي الف مرة ومرة من ان استخذي للباطل جبناً عن الجهر بالحق في سبيل لقمة اتبلغها او حياة لمت حريصاً عليها الا لانصر حقاً او اخذل باطلا .

نعم يا ابا اسعد ، لعلك قرأت العرفان فعرفت منه وفاء الوطني الحاكم من جديد للوطني المحكوم منذ القدم ولكنه كان عزيزاً في محكوميته عالي الرأس قبل العهد الوطني املا في ان ينجلي الافق ويظهر الصبح لذي عينين فيعود المظلوم منتصفاً والمستعبد حراً ، حتى انجلى الافق فماذا كان ؟ ومن ذا خلف السلف ؟

قد تحسب يا اخي ان الامر الذي يدفعني لان اقذف هذه الحمم ، يقف عند حد الورق الذي ينشده العرفان والعروبة من صديق العرفان والعروبة ؟

وقد يظن السفيه الاحمق ان وراء صاحبي العرفان والعروبة ما ينهض مبرراً لهذه النقمة من حاجة تضطر صديقها الحاكم لان يضحي كرامته في سبيل كرامتها ، لا يا ابا اسعد !! لا !

ان وراء الاكمة ما وراءها ، فالبث على انتظارك بضعة اسابيع يأتك البريد بديوان «فلان» مكشوفاً عما حيل بـه ما بين وطني صرف ووطني زائف ، او بين صديق صريح صادق وبين صديق مصانع دجال ...

صديقي ابا اسعد !

ليست الشكوى موجهة اليك من اخيك ، ولكنها الى الحق الذي تنشده في قولك وعملك منذ قلت وعملت افلست من طلاب مدرستك اذ تقول :

اضاع صوابي عامل غير عالم　　　سيسأل عنه عالم غير عامل

فالذي يضيع صوابنا اليوم هم وطنيون يدعون الاخلاص للعروبة وللمبدأ الثابت عليها ، ثم يهتكون ستر هذه العروبة ويعبثون بمبدئها ، واذا انكرت عليهم شيئاً من ذلك تمحلوا الاعتذار باسم المصانعة والمجاراة في سبيل الظفر النهائي ، وشايعهم في صحة ذلك اذنابهم من السفهاء . وفي النهاية ينكشف الستار عن الاحرار لايزالون في عهد الحرية تحت وطء المناسم ، وعن العبيد يتربعون على منصات الحكم ، يعبثون ما شاء لهم العبث ، والذي خولهم هذا الحكم يتذبذب مجترئاً من الحياة بان شبع حتى تخم بعد الجوع ، وشرب حتى ارتوى بعد العطش ورفل في وشي نعماه حتى اختال بعد العري والاستكانة ، وتربع في دست الرئاسة الدنيا اياماً صلى وصام لها اربعين عاماً .

فلم نكن لنشكو اليك او الى الحق معك رجلا في امة ، ولكنا نشكو

اليك امة في رجل ، فلم نكن لنحسب رياض الصلح فرداً منا بل كنا نحسبه الامة بأسرها ، من اجل هذا تجد نقمتنا عليه وتنكرنا له على مقدار منزلته في نفوسنا ، ثم تجد ألمنا لفقده على مقدار آمالنا المعقودة عليه ، وانما يجهر من يجهر منا بذاك حرصا على من لا نزال نعدهم في منزلة رياض ونعلق عليهم من الآمال ما علقنا عليه خشية ان يكونوا كونه ثم يؤلوا مآله ...

ويقول لي الاستاذ المحامي السيد صادق كموني ٠

« ارى انا في حاجة ماسة الى كرم حق في رجالنا المطبوعين على السخاء امثال ابي تيمور .

« فلا اقرك على نقد الكرم العربي في شكله القديم اللهم الا اذا كان مصطنعاً يتكلفه اهل الجاه لا قه واذا تحول الكرم الى الجاه لم يكن عربياً اذ لم يكن خلقاً »

ما اجمل ما يأتي به الليل المرصوف بالكواكب سمائية وارضية بين بغداد والزوية ايام الربيع ، وانت الى جانبي يا صادق وفي سيارتك الجميلة تجتاز بنا الحدائق ويغمرنا هدوء شامل تحت ستار الظلام الحافل باسرار الكون ، واسمعك تتحدث الي عن الكرم العربي المتجلي في شخص ابي تيمور ، وتقريرك انا شديدو الحاجة في عهدنا الحاضر الى اخلاق ابائنا الاول الذين ربوا التضحية في نفوسهم بالكرم .

انا معك يا اخي ان الكرم العربي على الشكل الذي نعرفه كان من لوازم حياتهم العزلاء التي يفتقرون معها الى الحذر الدائم والحرص على الشجاعة التي تحميهم من الغزو ، فقد كانوا يتبارون في بذل المال على الموائد وبين يدي

الشعراء وفي سبيل الاصلاح ، ليتوصلوا بذلـك الى بذل الروح في سبيل الكرامة والعرض دفاعا عن النفس واحتفاظاً بالمجد .

فالعربي الاول كان يابى الحجر والاسترقاق ويأنف من ان يخضع لسلطان، من اجل ذلك كان يتولى بنفسه الدفاع عن مـاله وعرضه ، فكان يتألف القلوب بالمال ليثبت هيبته في نفوس العرب ، وليكثر انصاره منهم ، ولتتوفر لديه الجرأة على التضحية كما قدمنا ، فهو في كل ذلـك يربي في نفسه غريزة الكرم ، ولعل هذه الغريزة تتربى دونما دافع يحمله عليها اذ الحـاجة تدفع المرء الى التطبع من حيث لا يشعر .

اما وقد اصبح العربي محكوماً للسلطان ورأى نفسه مكرها على التماس الحضارة بدافع المدنية ، فقد كفاه حاكمه مؤنة الحذر من عدوه والحيطة لنفسه بالتماس الفروسية واعداد السلاح فلم يعد بحاجة مع ذلك الى تربية الكرم في نفسه ليصل به الى التضحية بالروح ، وكفاه العلم والادب مؤنـة الكرم ليتألف به قلوب الناس ويضاعف انصاره منهم اذ العلم والادب زعيمان في ان يقرباه من القلوب ويحملا غيره على محبته واحترامه .

لذلك ضعفت غريزة الكرم على شكله العربي القـديم في نفوس العرب الجدد وتحول البذل على الموائد الى بذل في سبيل الانسانية معاهـد ومعابد للترفيه على المرضى في المصحات واستئصال الجهل الذي هو عدو الانسان الالد في المدارس ، وللتوجيه الروحي في هياكل الربوبية يخلو بها المرء الى ربه فيصقل روحه من صدأ المادة ويغسل قلبه من اوضار المجتمع .

على اني اعود الى اقرارك عـلى رأيك في انا مفتقرون الى تعزيز سجية

الكرم في رجالنا المفطورين على السخاء ، ليبقى في الامة نموذج صالح للاخلاق التي كان يمتاز بها اباؤنا في جاهليتهم ، وليكون لنا تعزية عما نفقد اليوم من لوازم هـذا الكرم كالتضحية والاباء والشمم ، بانا لسنا من عنصر يفتقر الى هذه الخلال ، ولكنا اضعناها ففقدنا العزة التي نالت اباءنا بفضل تلك السجايا الغر .

لكننا يجب ان نعتدل في الاحتفاظ بالكرم العربي فلا نسرف فيه الى حد الجنون فيذهب المال سدى ، والمال عامل اول في بناء مجد الامـة اذا احسنت الامة استخدامه ، وهل تجد امة بلغت ذروة الكرامـة في العالم الا بفضل الغنى والثروة السابغة ؟ ومتى أنهض الفقر امة من كبوتها ، وبوأها المكانة اللائقة بها تحت السماء ؟

وليست الامة العربية في عهد مصلحها الاعظم برهـانا يدحض حجتي أن سادت الامم وهي فقيرة ، اذ ثمة فرق بين ان تسود الامة وهي فقيرة وبين ان تسود بفقرها ويكون فقرها سبباً لسيادتها ، ان العرب اذ ذاك انما سادوا بتفكك اعدائهم وتضامنهم واخلاص قادتهم ونشر العدالة فيهم .

فتدهور الاخلاق في غير العرب ساعد العرب اذلم يبق للمال الضخم في عدوهم ميزة تظاهره عليهم ، وتضامن العرب واعتصامهم بالاخلاق العليا التي فرضها عليهم الدين الجديد عزز القوة فيهم فلم يبق للفقر الضارب اطنابه في مجاهلهم اثر يحول دون فوزهم .

فالمال عند عدوهم ، وهو قوة ، تلاشى اثره بسوء الاخـلاق فعاد ضعفا يفتك فيهم ، والفقر عندهم ، وهو ضعف ، تلاشى اثره بحسن الاخلاق فتحول

الى قوة تعزز فيهم هذه الاخلاق ، اذن فالمال نعمة يسبغها الله على عبده حتى اذا اساء استعمالهـا كانت نقمة عليه ، والفقر نقمة ابتلى الله بها عباده فاذا تجملوا بالصبر عليها واعتصموا بالاخلاق الساميـة منها تحولت فيهم الى نعمة سابغة عليهم .

فكم فقير تعفف وتجمل حتى لم يبق اثر للفقر عليه فكان قويا في نفسه بالهيبة التي يزرعها في نفوسنا فتفرض علينا احترامه واكباره وذلـك هو عين القوة التي لا تتعلل بالفقر وقد يعجز عن خلقها المـال ، وكم غنى اسرف وبذر او امسك وقتر فكان مثلا سيئاً فينا فلم يدع صدراً الا حشده بالضغن عليه والاحتقار له ، فكان له من كل عاقل عدو يهزأ به وينقم عليه وذلك هو عين الضعف .

اما اذا اتخذ الغني ماله حلية يعصم بها نفسه من الشهوات ، ويسلك بها سبل الخير في العالم فذلك مالا يعدله الف رجل مملق مهما بلغ بهم التعفف من الهيبة في النفوس والزلفى الى القلوب ، واعوذ بالله من الفقر الطاغي اذا رافقه الجزع فانه افتك عامل في الامة يعصف بها الى هوة سحيقة لا تتبين معها النور .

فالفقر العاري من الصبر اخطر على الامة من الغنى الكاسي بالسرف ، والغنى العـاري من التبذير والتقتير خـير الف مرة من الفقر الكاسي بالتعفف والصبر .

ويقول لي الاستاذ معمر حسين :

« لشاطىء دجلة حق عليك كما عليك اشاطىء الفرات حق ، وكتابك وحي للرافدين معاً ، فلماذا نراك قد استوحيت من الفرات اكثر مما استوحيت من دجلة ؟

« من حدم الهاشميين فليتوقع اجره من الامة العربية لانهم يعملون للامة لا للافراد فليس لديهم مال ينفقونه لابواق الصحف والكتاب ،وانما لديهم مال لتنظيم الجيوش وانشاء المعاهد والمصحات في سبيل تكوين امة تشهد للهاشمي الاخير انه خليفة الهاشمي الاول .

« الهاشمي يعمل ليدحر عدوا من بلاده فيحرر امته من براثن الاستعباد ، ولم يفكر يوماما بأن يبني مجده على انقاض الآخرين» .

سواء أكان القول الاول لك ام لناقد غيرك احببت ان تنطويه في نفسك فلا مناص من ان تتحمل تبعته انت .

اظنك تعلم قبلي ان قصر صاحب السمو على شاطىء دجلة ، ويليه على ضفافها قصور السادة : المدفعي والشبيبي والعبيدي والباقر والمعمر وعسيران والقزويني والعبادي وآل يس ، وابي عامر وشكاره والدهوي وغيرها من القصور اللاتي اوحت اليَّ كتابي الاول .

فهل اوحى لي الفرات بعد هؤلاء اكثر مما اوحت اليَّ دجلة ؟ لا ،

ولعلك ترمز بدجلة والفرات الى شيء آخر ، يا معمر ، ولعلي افهم جيداً كيف اكتب ومن اين استوحي ثم كيف اسمع واجيد السمع ؟

أتريدني طفيلياً اتسلق الجدر فادخل القصور والحدائق لاستلهم ما اكتب وابعثه الى الاجيال ؟ أم تريدني ان املأ صفحات الصحف اكثر مما ملأت معلناً عزمي على وضع اسفار تكشف للعالم العربي نهضة العراق بما لا يستطيع العراق نفسه ان يكشف ما اكشف ؟

فلماذا لا يقرأ الصحف من يريد الهامي بما يحمل من حب للعروبة على ضفاف الرافدين ؟ واذا قرأ فلماذا لا يسأل عمن يعلن أهو عربي أم تتري ؟ وهل هو اديب ام متطفل على موائد الادباء ؟ وهل يكتب ليأخذ أم يأخذ ليكتب ؟

انا استلهم يا اخي ممن تحركه الروح العربية للالهام اذ يسمع لي ويفتح لي صدره فاغوص على قلبه ثم اخرج وفي يدي قبضة من اللؤلؤ او حفنة من الحصى ، لذلك كنت صريحاً في كتابي الاول الى ابعد حد في الصراحة ، وكنت صادقاً فيما قلت ومخلصاً في اداء رسالتي الى العالم العربي .

لقد بذلت في سبيل اخراج الجزء الاول بضع مئات من الدنانير فما استوفيت اكثرها مما كوفئت من مادة ، وها انا الان اضع ما كوفئت به ومثله من جيبي لاخراج الجزء الثاني ، وسأنفق اكثر مما انفقت على ما يليه من الاسفار التي استوحيها على ضفاف الرافدين ، ثم لا ابالي أأثريت ام عدت الى الاملاق ما دمت مطمئناً الى عقيدتي التي تحملني على ما اقول وافعل .

انا لا اكتب المال يا اخي فاحتاج الى التوازن فيما اكتب والى السياسة

في الادب محمولا على النفاق والرياء والتدجيل ، فلا اعرف ديناً فيما اكتب ، ولا اتعرف الى مذهب فيما استوحي ، اللهم الا ان يكون الدين عقيدة حرة ، والمذهب اخلاصاً للحقيقة ، فانا اذ ذاك ذو دين حر ومذهب حق .

انا اكتب اذ أكتب بقلم حر من وراء فكر حر ، وانما خصصت العراق بما اكتب لما يدور في خلدي ، عقيدة ومبدأ ، من ان العراق كان مظهراً للعروبة على العالم بالامس ، وسيعود اليوم كما كان ؛ ولأن الهاشمية التي حررت العرب في عهدها الاول كانت تعتمد العراق في وجه العدوان الداخلي ، وها هي اليوم تعتمد عليه مرة اخرى في تحرير العرب وارجاع الحق الى نصابه .

انا لا افهم الفرات ودجلة بالمعنى الذي تريدني ان افهم ، ولكني افهم الرافدين وما ينبت على ضفافهما من شجر المران ، وما يلمع في سمائهما من برق الاسنة ، ويجول في قلبهما من دم الحياة الحرة التي فطر عليها العراقي ولا يزال يحياها منذ مئات الاجيال .

هذا العراقي هو الذي أستنهضه اليوم لامته ، وتلك الضفاف هي التي أستوحيها الاباء والشمم والنجدة والنخوة وغيرها من سجايا العرب لتنبعث العروبة مرة اخرى في بعثها شاخصة الى السماء وغائصة الى تخوم الارض ، فما افهم دين فلان ولا مذهب فلان ، ولكني افهم عروبة فلان ومجده .

اما الهاشمية التي تتغنى بها يا أستاذ ، فعلى رسلك !! أنا لا نكرم هاشمياً من اجل هاشميته ، ولا نعبد فيما نقول او نفعل اصناماً وهيا كل ، ولكننا نعبد الله في كل ما نحس وجوده فيه ، فالهاشمي محمد ، وهو المصلح الاعظم ، كان مثال الله على الارض فقدسه الانس والجن ولا يزال مقدساً حتى اليوم ثم

لن يزال كذلك معبود الاله عبقري الذكر حتى انتهاء العالم .

والهاشمي علي ، وهو وزيره الاول ، كان مثالا للحق الذي هو روح الله ، وقد شاء ان لا يفارقه لحظة واحدة في سبيل الباطل الذي يطلقون عليه لفظ الدهاء والسياسة كيلا يقال ان الارض خلت لحظة ما من رجل يعمل للحق في عالم ضل حتى استحال كله باطلا .

وهكذا نجد في كل فترة من الزمن هاشمياً تحركه عبقرية جده الاعلى فينهض لاعادة مجده وتحرير الحق بين يدي امته حتى كان الهاشمي الاخير فنهض نهضته الاخيرة بعد عدة قرون حلمت فيها العروبة المضطهدة بعقيدة صلبة وجبين أغر ، تصدع العقيدة بالحق ويكشف الجبين ظلام الافق ، وكان صباح ثم كان مساء ، فاذا العقيدة بين جنبي حسين واذا الغرة على جبين فيصل واذا بالحلم يتحقق والامة تفتح اجفانها على النور .

تحررت اليمن وتحرر الحجاز اولا بفضل الحسين ، ثم تحررت العراق بفضل فيصل ، وها هي ذي اقطار الجزيرة اليوم تتحرر وتضع الميثاق باسم الجامعة العربية التي تنشد الحسين وتتغنى بفيصل بين يدي حلمها العذب ووحدتها المنشودة على يدي قائدها الجبار عبد الاله بن علي ومليكها المفدى شبل الغازي وحفيد فيصل .

ما اجمل ايامك يا معمر ! وما اروع الساعات التي كنا نستعرض فيها السوانح والبوارح من بنات حواء على عتبة دارك وهن يجتزن المناهل والغدر الى الملعب الرياضي ! ! اتذكر يا معمر ؟ هل نعود فنقف موقفنا ذاك ونجلس في ظل نخلك الباسق جلستنا تلك ونحن نستطرف الملح والنوادر ؟

ويقول لي الاستاذ ضياء شكاره :

« لقد فتنت بيني وبين زوجتي اذ سجلت في « وحيك » انكاري للزواج القائم على اساس المحبة ، وانا اذ ذاك في ايام عرسي .

« ولكم كنت مرتبكاً اذ ورد علي وحي الرافدين وكنت امني زوجتي باطلاعها عليه حتى اذا جاء وقرأته وطلبت هي الي ان تقرأه وفيه ذلك .

« حقاً لقد كان كتابك خطرا علي ان حجرته على عرسي او ابحته لها ، واخيرا فضلت اباحته وأنكرت اني افضيت اليك بما سجلته علي من رأي في الزواج ، على انها صدقتك وكذبتني وكانت بيننا فترة ، الله وحده يعلم كم قاسيت خلالها من مرارة الهجر وذل التواضع » .

ما كان اشد اغتباطي بما اسمعه منك يا ضياء : أفلا اكون مسرورا ومغتبطاً ان كنت يوماً ما سبباً ، غير مباشر طبعاً ، في تقاطع المحبين تقاطعاً يفضي بالحبيب الى العز والظفر وبالمحب الى الذل والخذلان ؟ اني اذن لسعيد اذ أكون السبب في عزة حواء وتعاليها على هذا الاناني الظلوم الذي يرى المرأة شيئاً ويرى لنفسه كل شيء ؟؟ ولعله يراها له وحده ويرى نفسه للعالم

وعلى راسهم مصلح الجزيرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ·

فجمع كلمتهم ووحد صفوفهم ، ولمّ شعثهم ، ومهد لسيادتهم العالم بالناموس الاعظم الذي دعم سمكه بالعلم ، واقام دعائمه على مكارم الاخلاق فجعل من بدوهم وفقرهم وجهلهم امة يستخذى لها سلطان كسرى ويخضع بين يدي قوتها سلطان قيصر ، ثم لم يترك هذا المصلح امته بعد ان استوفى حقه من الحياة ، حتى وضع لها دستوراً حافلا بالاسباب التي تضمن لها البقاء في عالم السيادة ويحول بينها وبين كل امة تريد ان تستعلي عليها ·

ثم ماذا كان يا احمد ؟

لقد كان ما تشكو انت واشكو انا منه ، ويشاركنا في هذه الشكوى كل فرد اوتي شعورا بالانسانية المترديةفي صميم هؤلاء العرب ، هل تريد منهم ان يكونوا اوفياء لانفسهم بعد الف عام ونيف مرت بهم وهم ينهشون ذلك الدستور حتى لم يبق منه في دمائهم ولحومهم الا التغني بالمجد الضائع والهتاف لعظام الموتى ؟

هل تريد منهم ان يفوا اليوم لجدهم وقد نقضوا عهد مصلحهم الاول بعد بضعة اعوام مرت بهم على وفاته ؟ أوَ تريد ان يفوا لابناء محمد اليوم اذ حاولوا استرجاع حقوقهم واسترداد امجادهم كما فعل جدهم ، وفي صميم نفوسهم ان لا يزالوا حربا على الحق وسلما للباطل؟ ولعلك سمعت صيحتي في الجزء الاول من هذا الكتاب في دعوتهم الى الحظيرة الهاشمية ، وان الامة لا تصلح اليوم الا بما صلحت به امس ، وان كثيراً من العناصر جربت اصلاح العرب فلم تتوفر لديهم الوسائل التي توفرت بين يدي الهاشميين ·

ان الهاشمية مخلوقة لسيادة العرب اذ كانت العرب بهم مخلوقة لسيادة العالم ، وكل من خرج على الهاشميين انما مشى بقوة الاستمرار المتحدرة اليه من نهضة الهاشمي الاول ، وهكذا يمشي اليوم من قام مجده على نهضة هاشم بقوة الاستمرار المتحدرة اليه من نهضة الهاشمي الثـاني ، والعراق ؟ ماذا اجيبك عن تالمك لعراقك اذ ضحى في سبيل العروبة وتعزيزها في وجه العدو الباغي ، وبذل كثـيرا من ماله ودمائه للسوري شاميا ولبنانيا وفلسطينياً ، ووقف مواقفه المشهودة من جيران العرب الحاقدين على العرب ، ثم نرى حتى الاقطار التي توجهت اليه في محنتها ، والتي ضحى مليكه في سبيل نصرتها ، تجعل وجهتها اناساً لم يقوموا في وجه الهاشمية الا ليكيدوا للحق ولم يخرجوا على عترة محمد الا لان دمهم لا يزال يحمل الشعوبية والشرك منذ العهد الاول في الاسلام .

فالعراق العراق يا سيد احمد !! والهاشمي الهاشمي !! ليس لنا الا العراق وطناً حقاً نعول عليه ونشخص اليه ، وليس لنا الا الهاشمي سيداً نعتصم به ونصدر عنه بالعزة التي تحفظ كياننا ، وبالحكمة التي تبعث حضارتنـا ، وبالاخلاص الذي نهيمن به على العالم .

صدقني يا اخي اني كنت متشائماً في مصير الامة العربية ، اتساءل ونفسي : كيف تنهض ؟ ومن يقيض لها النهضة التي تتوفر معها اسباب العمل ؟ واي اقطارها تؤهله عروبته لان يشق الطريق امامها ؟؟ كنت متشائماً الى حـد اليأس ، حتى اذا وردت العراق ، ورأيت الرافدين ، وابصرت بام عيـني ما ينبته العز على ضفافهما من مال ورجال ، وحتى دخلت البلاط الملكي الحافل

بالمجد الهاشمي ، رجعت من اليأس الى الرجاء وعـدت متفائلاً لا اعرف للتشاؤم وجهاً .

اما انت يا احمد فمن خيرة هؤلاء الرجال الذين نعدهم في الطليعـة من صفوف الامة ونعتد بهم في الملمات ، فقـد رأيت من لهجتك ، وعنفوان حماسك ، وثورة عواطفك ، وغيرتك على امتك وبلادك ، ما اقامني واقعدني على احر من النار التماساً لما ارجوه بعد اليأس وما اتفاءل له بعد التشاؤم منه .

على اني الومك الى حد التقريع ان تكون قد اخذت عليّ أني انتقـد حكومتي في بلادك ، وان ذلك كان مني لدى حفل لم أدع للخطابة فيه » هذه لا اتقبلها منك بالقبول الحسن ولا اقرك عليهـا ثم لا ارضى لك ان تتحدث بها .

أفيقنعك تقرير شرطي بأني ، انا الحوماني صاحب العروبة ، اتكلم في حفل كنت طفيلياً على الخطابة فيه ؟؟ وبماذا قنعت ممن كتب اليك ؟؟ وكيف اقررت قوله ثم نقلته اليّ ؟؟ أفاعدك بسيطاً في هذا ؟؟ كلا ان مديراً يبسط هيمنته على شرايين الامة واعصابها ليس بسيطاً ولا هيناً ، يعرف ما يقول ويزن ما يسمع ، ثم هو يعلم ، ولو لم يجتمع الى الحوماني ، من هو الحوماني؟؟

آسف كثيراً يا اخي ان اقول لك اني لم اجب الى الخطابـة في ذلك الحفل الا بعد دعوات لا دعوة واحدة ، يعرف ذلك صاحب الحفل نفسه وهو الاستاذ رضا الشبيبي ، ويعلم رئيس المجلس التشريعي آنذاك وهو الاستـاذ المدفعي ان الحوماني كان يتكلم فينتقد حكومته ويعرف كيف ينتقد ؟؟ إني احب لك بعد هـذا ان تثق من اني واياك على صعيد واحد وفي بلد واحد

ومن عنصر واحد .

ولعلي آسف اكثر ان لا تحسب ان الحوماني مثالك عريق في عراقيته قبل ان يكون عريقاً في عروبته ، أتعلم انه عراقي الولد والبلد ؟؟ افلا يرضيك ان يكون مثل الحوماني خادماً اميناً لعراقك ومحباً متفانياً لهاشميتك ؟؟ أو َ لا يقع منك محل الاعجاب ان يزور العراق كل عام فيخرج لك سفراً كوحي الرافدين يخدم به العراق والعروبة علماً وادباً وقومية وفناً ؟؟

ان الحوماني لك ولعراقك قبل ان تكون له وللبنانه ، وان قلمه ولسانه وقف على خدمة العراق لا لانه عراق ولكن لانه موئل العروبة ومنبت ابطال الامة العربية ولانه مثار النهضة الهاشمية التي خفقت الويتها فوق مليكه فيصل الاول وها هي تخفق فوق مليكه المفدى فيصل الثاني تحت رعاية صاحب السمو الملكي عبد الآله بن علي .

الحمندی

السيد جعفر حمندي

« سيد حسني النسب بغدادي الاصل شغل الوزارة في الحكومة العراقية عدة مرات وتولى منصب متصرف عدة مرات وله اعمال اجتماعية خدم بها امته وبلاده ويكاد ينهد الى العقد السادس من حياته »

عزيزي ابا محي الدين ! !

كأني واياك الآن في جبـال الزيتون ، وتحت سماء فلسطين المغمورة بالضباب نستعرض ذكريات العراق في فندق « داروتي » الرابض عـلى هضبة القدس العليا .

كأنا لا نزال معاً نجلس صباح كل يوم لطعام الفطور ولا ثالث لنـا الا الحبيب « زيد » الذي آمل ان تكون عيناك قريرتين بمستقبله الوضاء .

تتحدث الي فاتلقف حديثك بكل جوارحي لما يهمني من امره، وكنت حريصاً على سماع حديث اتلقاه عن العراق الحبيب بعد صدور الجزء الاول من وحي الرافدين ، وعن اثره في العراق ، لذلك كنت اسير عينيك ويديك اذ تنظر وتشير ولسانك طليق فكرك فيما تتحدث به اذ تقول :

« ناولني الاستاذ الشبيبي « وحي الرافدين » فكشفت غلافه ثم اطبقته ولفظته اذ رأيته ينطوي على تراجم رجال فعلمت انه كشكول ادب تجاري ككثير من الكتب الحديثة في التراجم ، ولكن بعض الاصدقـاء ولعله السيد البلاغي حمله الي واكد لي ان اقرأ ما فيه ففضضته وانعمت نظري في صفحاته الانيقـة ثم لم اتركه حتى وثقت من انه يتخذ الرجال مرآة لاغراض

اجتماعية نحن في حاجة ماسة لمزاولتها »

« ولقد شاركتك في كثير من نقداتك كالصحافة القائمة على الحزبية وتأييد الشخصيات والسياسة الخرقاء المبنية على الكذب والنفاق، وكالفوضى في العلم والدين الضاربة اطنابها في النجف خاصة والعراق عامة »

« على ان دعوتك لتأسيس جامعة ودار طباعة ونشر كان لها صدى بعيد الاثر في نفوسنا لذلك تاسست لجنة، قوامها معالي صالح جبر والسيد عبد المهدي والسيد صادق البصام وغيرهم من اعيان الطائفة لجمع تبرعات يغذون بها مشروع المدرسة الجعفرية وتعزيزه الى جامعة كبرى وقد نجحوا بعملهم فجمعوا عشرات الاف الدنانير ولا يزال عملهم مستمراً ، وفي الوقت نفسه عمدنا نحن الى الشق الثاني من دعوتك وهو تأسيس دار للطباعة والنشر لنخرج من التهم التي ترجنا في عداد الفرق الباطنية بنشر مذهبنا وعلومنا وادابنا على الملأ العربي خاصة ، والعالم عامة .

« ولقد آزرنا في ذلك الاساتذة عبد الهادي الجلبي وعبد العزيز البغدادي وعبد الكريم الازري والحاج عبد المحسن شلاش وغيرهم من اعيان الطـائفة وجمعنا ما يكفي لانشاء دار وشراء آلة طباعة حديثة وها انا الآن ابحث في فلسطين ولبنان عن هذه الآلة » .

ما يقنعني ايها السيد الجليل ان يكون هذا العمل منكم ومن زملائكم ناشئاً عن دعوتي ولا ان يكون زمنه تالياً للزمن الذي دعوت به سواء كان مسبباً عنه ام لا ، ولكن الذي يهمني ويقنعني حتى احمد اليكم هذا العمل هو انجازه على الشكل الذي يحفظ كرامتكم ويصون عرضكم ويعصـم

قومكم وناشئتكم مما تستقبله في عرض الحوادث التي يتمحص عليها البشر

فكم اتمنى ان تسرعوا في انجاز العمل ثم تستهدفوا الغاية المثلى في وضع نظام قيم للعمل واختيار حفظة امناء مخلصين للقيام عليه والذود عنه ، فليس المال غاية اولى ولكن الفكر الذي يتصرف بالمال قبل المال ، وسوف يضع الحق ميزاناً لاعمالكم يوم تنجزون العمل وتتخيرون السدنة القائمين على تسديده من ذوي الرأي والبصيرة والسداد ٠

وقد شاء الله ان ازور العراق بعد اجتماعي اليك في فلسطين وان اتحقق قولك فاذا بك الصادق الذي لا يلقي الكلام جزافاً ، واذا بالمشروعين قائمان واذا بالمال ينهال على القائمين بهما واذا بك واحد عبقري من اولئك النفر المجاهد القائم على انجاز ذلك العمل ، فاجتمعت بالسيد عبد المهدي ووثقت بحديثه عما زعمت الي ، واتخذته رمزاً للمشروع الثقافي برسالتي الكاشفة عنه في هذا الكتاب ، ثم اجتمعت اليك في منزلك ومكتبك ووثقت من اخلاصك في العمل فاتخذت شخصك رمزاً لمشروع الطباعة الحديثة برسالتي هذه اليك ٠

وانه ليسرني اكثر مما سمعت ان يكون العمل قائماً على كواهل ابطال من رجالنا الغلب وفي الطليعة منهم انت وابو غالب وابو سعد وابو اسعد وابو رؤوف والسيد الجلبي الذي لم يسمح لي الوقت الكافي بالاجتماع اليه والتحدث عما سمعت عنه من غيرة على قومه وبلاده ٠

اسمع لي يا ابا محيي الدين !!

انا است من هؤلاء الذين يحملون اقلامهم على عواتقهم كانها معاول ،

ولا ممن يسيحون في الارض ليتبلغوا شهواتهـم عن طريق المصانعة والتملق والتدجيل ، ولا انا ممن يأكل فيشمخ ويجوع فيستكين ، ولا ممن يقف قلمه على شكر من يعطف عليه وذم من يسيء اليه ، لا أراني واحدا من هؤلاء ولا اوتيت النفس الخانعة والفكر المائع الذي يتأثر بمثل هذه السفاسيف ٠

ولكنك قد تراني اصلب الناس عوداً وانا جائع ، واشد الناس نقمة على من يحسن الي ، وارهف ذوي الفكر احساساً بما ينـال الحق وهو بعيد عني ويتعدى الباطل وهو محدق بي ، فلست اتوقع اذ أخاطبـك بكلماتي هذه ، منك احساناً الى شخصي ، ولا اجيز لك ان تفكر بمكافأتي على ما أقول ، لاني لم استهدف ، وانا اكتب اليك ، برك بي وعطفك علي ، ولكني كنت مدفوعاً الى تحبير هذه الرسالة وتحريرها بعاملين اثنين : اولهما صفاء ذاتك وطيب سريرتك وطبع شعورك على الاحساس بما يدفع البؤس عن ابناء جلدتك وثانيهما قيامك بهذا المشروع واضطلاعك باعبائه ، فان عملا كهذا ، ونفسية كنفسيتك ، خليقان بان تستعبدا فكري وقلمي ولساني ٠

فلقد خلقت حراً ابياً انوفا بين يدي كل مـا يعترضني في الحياة الا امام الرجل العامل الذي لم ينس لحظة في حيـاته انه انسان ، وان انسانيته وقف على خدمة الارض التي انبتته ، والوطن الذي حضنه ، والمجتمع الذي ترعرع فيه ، أجدني اذ ذاك وبين يدي هذا الانسان عبدا اضع تفكيري وجهادي الادبي تحت تصرفه الذي يرمي من ورائه الى خير الانسانية ويستهدف بعمله وجه الحق ٠

أفلا تحب أنت وزملاؤك الذين يظاهرونك على عملك وتظاهرهم انت في

اعمالهم ،وهذه الاعمال تشيع اليوم في كيانكم بشكل جامعة تثقف ناشئتكم ودار طباعة تنشر مآثركم ، افلا تحبون ان يكون الحوماني الذي مر على جهاده الادبي ثلاثون عاما ، والذي اخرج عدة مؤلفات وقفها على خدمة قومه ، الا تحبون ان يكون هذا الرجل معنياً بنشر اعمالكم وان يكون قلمه الجبار ، الا بين يدي الحق ، خادماً لكم ناشرا لكل ما تقومون به من عمل تخدمون به الامة والوطن ؟

انكم ان احببتم ذلك فما عليكم الا ان تعززوا هـذا العمل وتثابروا على اخراجه من القوة الى الفعل ثم تنجزوه وتقفوا بين يديه خـداما امناء مخلصين ، تجدوا الامة اذ ذاك خادمة لكم وتروا الحق امامكم باسم الثغر ناصع الجبين يشير لكم بعينيه الى الله وبكلتا يديه الى معارج الخلود .

اخي ابا محي الدين !!

ماذا وراء الثروة والجاه للرجل ؟ ومـاذا وراء الحدائق والقصور ، والقصف والحبور ، والولدان والحور ؟ هل وراء ذلك كله غير السآمة فالهرم فالموت ؟ هل يعيش الانسان ليأكل طيباً ويلبس فاخرا ويسكن فخما ويشرب سائغاً وينكح صالحاً ثم يموت كأن لم يكن في عـداد الاحياء وكأن الذي ابدعه انما شاء ان يراه خيالا سريعاً ما يضمحل فيتلاشى من الوجود ؟

هل خلق المرء لهذا ام هنالك شيء وراء ذلك اسمى من الطعام والشراب وغيرهما من اسباب الرفاه في الحياة ؟؟ نعم ان هنالك حياة هي في نظر كل انسان اسمى من هذه الحياة ، حياة يصعد بها المرء الى السماء والناس يحسبون انه يهوي الى اطباق الثرى ، ويخادن بها الملائك وهم يحسبون انه يضاجـع

الدود ، حياة يموت بها فرداً ويحيي امة خالدة في بطون التاريخ ، فهو في كل قلب وعلى كل لسان وبين كل عينين وتحت كل قلم .

افلا يحب احدنا ان يكون واحداً من هؤلاء الذين ان عاشوا كانوا مرآة للناس يرون فيها الفضائل فيقبسونها منهم ويأخذونها عنهم ، وان ماتوا كان ذكرهم سنة صالحة في الخلق يتمشى عليها الملأ الصالح من الناس ???

وبماذا يكون احدنا كذلك ?? أبالمنصب يعلوه ثم ينحدر عنه الى ارض لم يهبط اليها قبل ان يصعد الى منصبه ?? ام بالمال يحرزه بشتى الطرق حتى اذا اصبح في حيازته كان عبداً له و كان له عليه سلطان لا يتعداه و كانما خلق حارساً له حتى اذا مات قيض الله له من نسله من لا يعرف له قيمة ولا يحس بجمعه نصباً ?? ام بالمجد الذي يعتز به فيستغله للنفوذ والسيطرة والظلم حتى كأن آباءه إنما سنوا له بمجدهم طريقاً تفضي به الى الحياة في عداد الهلكى ??

بماذا يا اخي يكون واحدنا ممن اسلفت ، حياً خالداً ينشره عمله الصالح في الارض والسماء ، وهو تحت اطباق الثرى تتنازعه حشرات الارض وتتعاقب على جسده انواع البلى ?? انك اكبر من ان ارشدك الى الوسيلة التي يتذرع بها الانسان لان يكون انساناً ، أفلست نطفة تحدرت من صلب محمد الرجل الحي الكامل ?? أفليس هذا جدك وهو يخاطب امك البتول : « يا فاطمة يا بنت محمد اعملي فلن اغني عنك من الله شيئاً » .

جد من هذا يا ابا محي الدين ?? أهو جدي ام جدك ?? انه جدك والبرهان على انك من صلبه ومن نبعته ، انك لا تحب ان تحيا حياة هؤلاء الذين يرون الحياة وقفاً على الطعام والشراب واللباس والسكن ، ولا على

الالقاب والمناصب ، لانك احرزت كلا منها فلم تقف عنده ولكنك تجاوزت هذه الحياة الى حياة اسمى ، حياة تبرهن للناس على انك هاشمي والهاشمي لا يشبع نهمه في المجد منصب ولا ثروة ولا جاه ، ولكنه يعمد الى الحسب الصراح الذي علمه السير عليه جده المصلح الاعظم .

انك برهنت على انك هاشمي باعمال اصلاحية قمت بها وانت تتقلب في مناصبك ثم ها انت اليوم تعمد الى اسمى عمل يرفع من قدرك ويعلي من قيمتك فتضع الحجر الاول من اساسه وفي صميم نفسك ان تستمر عليه حتى يكون لك ذخراً وحتى ترى البناء الشامخ يقوم على ذلك الاساس ثم ترى آخر الامر ناشئة بلادك تأوي الى هذا البناء يوم يعض عليها الجهل بالنواجذ .

ان مشروعكم هذا وهو تأسيس دار للنشر والترجمة والتأليف وتخصيص القسم الاكبر من جهودكم فيه لاعلان مجدكم ونشر مذهبكم وتجديد علومكم وآدابكم وبثها في العالم ، ليظهر ما خفي من امركم ، ويتضح ما اغمضه التاريخ منكم ، وتأوله المبطلون عنكم ، ان هذا المشروع في يقيني لا يقل قيمة عن مشروع اخوانكم رجال الجعفرية ، واعلمكم منهم وهم منكم واعلم كل عمل يأتونه هم وكل عمل تأتونه انتم ، مشترك بينكم جميعاً وضامن لكم أن التضامن في العمل قوة والقوة حرز يكلأ الامة من الدمار ويفتح في وجهها ابواب العز الى حيث تحيا وتخلد .

روفائيل بطي

« الاستاذ رافائيل بطي احد الادباء اللامعين والسياسيين المعتدلين في الحكومة العراقية وقد كان في عداد مجلس التشريع مدة من الزمن، اصدر قديماً جريدة الاخبار وهو اليوم يقوم على اصدار جريدة البلاد الزاهرة المعروفة بفنها الصحفي الممتاز، وله عدة كتب ادبية خدم بها العراق خاصة والاقطار العربية عامة .

« ولا يزال بيته منتدى ادب وعلم وثقافة يشهده كثير من هواة الادب السالوني ويكاد ينهد الى العقد السادس من سني حياته.»

حدثني صديق عزيز علي وعليك يا رافائيل ، يقول لي اذ عرضتك عليه :
انه سياسي محنك ، وأديب مفكر ناضج ، ثم هو قومي من الطراز الاول
لا يعرف للشعوبية وجهاً »

« ولقد جنت عليه مسيحيته في مبدأه السياسي اذ كان مضطراً ان يماشي
كل عهد حرصاً على حياته ، وليس لديه عصبية يعتصم بهـا ، لذلك عدوه
متلوناً ، وهو ابعد الناس عن ان يلقاك بوجه ويغتابك بوجه آخر »

اما انا فما احببت ان اخاطبك بشيء من هذا ولا ان احاسبك على شيء
منه اذ سمعته عنك ولم اسمعه منك ، ولكني اريد ان اداعبك بما أخذته من
وجهك وانت تتحدث الي عن الادب وما شممته مـن شمائلك وانت تترنح
لكل نادرة تصدر عنك او ترد اليك .

كل روحك الشاعرة في عينيك وعلى فمك وبـين شمائلك يا ابا شوقي
وروحك هذه هي التي استخفتني يوم زرتك وتحدثت الي عن الفن في تخريج
الكتب الفنية لا تأليفها ، ثم تضرب لي مثلا بديوان « حواء » طبع بيروت .

ما اذكر النص الصريح لكلماتك اذ ذاك ولكني احتفظ بنظريتك
التي ملأت نفسي اعجاباً بما تتصور ثم تصور من دقة النظر وطرافة الابداع ،

فهل تسمح لي ان ألبس لفظي معناك وانا اشرح قولك يوم ذاك ؟

ما اثقل علي ان ارى كتاباً سخيف المظهر ، واثقل علي من رؤيته ان اضطر لقراءته ثم اجدني مكرها على التنويه به خيراً او شراً ، أفلا تنم سخافة مظهره على سخافة مخبره ان كان تخريجه على يد منشئه ؟

كم يسيئون الى الحقيقة من يرون ان الادب فكرة ، وهذه الفكرة لا تتجاوز المعنى ؟ فيعمدون الى ابرازها بما لا يكلفهم اكثر من ان يقولوا او يكتبوا غير شاعرين بان الفكرة تتناول اللفظ قبل المعنى فتلبس كليهما على السواء .

لقد فات هؤلاء ان في العلم الذي يرمز الى الحرية والاستقلال معنى غير الحرية والاستقلال يلبس ذاته من الشكل واللون والمادة ، وفي الصورة التي تشير الى بشر او شجر ، معنى غير الشجر والبشر ، قائم في ذاتها من روح المصور المسبغة على لونها وشكلها ومادة اللون والشكل فيها .

وهذا نجد في القصيدة التي يصور بها الشاعر فكرة كانت او لم تكن ولكنها ستكون ، نجد فيها فكرة غير التي يصور ، قائمة في الجمل والكلمات والحروف نصفها بالطرافة او السخافة كما نصف الفكرة التي تشير اليها .

ان في الكلمة معنى غير المعنى الذي تشير اليه ، فالموسيقى من خصائص القالب الشعري ، اذ للوزن موسيقى ولرنة القافية موسيقى ولتركيب الجملة كذلك . فالقصيدة بمجموعها فكرة علوية تتنزل على الشاعر وحيا والهاما كما يتنزل عليه المعنى .

والمرأة خليقة بان تشبه القصيدة فروحها الفكرة الاولى وجسمها الفكرة

الثانية ، لا انها هي الفكرة ولباسها يقابل اللفظ كما يتوهم من لم يؤت حكمة التحليل ، لان الثوب يفارق المرأة وتستطيع ان تتجرد منه واما الفكرة فلا يمكن ان تتجرد من اللفظ الذي تلبسه ، ثم لا يمكن للشاعر والكاتب تصور المعنى قبل ان يتصور اللفظ ، ولكنه يستطيع ان يتصوره في شتى القوالب .

فكم ينتقص الشاعر المرأة وهي مبتورة الجوارح ، عرجاء او عوراء او صلماء او جذاء او فلحاء او علماء ، مهما انطوت عليه من روح سامية وثقافة حية ، فهي تقابل ما يأتينا به بعض الشعراء العرج من شعر تلبس الفكرة فيه لفظاً مبتراً لا يكاد يشير الى المعنى الا بجهد .

وهكذا نجد المرأة الفصماء او الشلاء او الكتعاء او الحولاء او الفقماء ، بعيدة عن روح الشاعر مهما اشتملت عليه من روح فياضة بالسحر ، فهي كالقصيدة التي لم تؤت البيان الرائع في الثوب الذي تلبسه الفكرة من حيث اختيار اللفظ وجمال التركيب .

فكم اراني مغتبطاً وانا مع فتاة جميلة اللون والشكل وان لم تسم لي روحها ، على اني كلما التقيت امرأة ناقصة الخلق او شائهته وهي على نصيب وافر من الادب والروح المرح ، لا البث ان اطلق ساقيّ للريح .

فاللفظ فكرة لا تهبط بسموها عن فكرة المعنى ، وليس الصائغ باقل قيمة في نظر الفن ممن يستخرج المعادن ، وهنالك كثير من الرسوم والتماثيل ما يفوق الاصل الذي اخذ عنه نفاسة وكرماً » .

عزيزي رافائيل :

انك في العراق مثلي في لبنان ، مظلوم بنصرانيتك وانا مظلوم بشيعيتي ، لا لأن ادبك مجهول في العراق وادبي مجهول في لبنان ، بل لما يجنيه الدين على الادب الذي لا دين له ، ولعل الدين اقوم ناموس يحفظ كرامة الادب ولكن حملة هذا الدين لا يفقهون الصلة بين الدين والادب فمثلهم وهم يحملونه ، « كمثل الحمار يحمل اسفاراً » .

لاول مرة جمعتني بك زيارتي الى العراق قرأت في شمائلك روح الشاعر وان لم تنظم بلسانك ، فقلمك ينذي شعراً ، وعيناك تفيضان بالشعر ، وفمك الباسم لا يفتأ يوزع جمال الشعر على جنبات الافق .

ولكم كان للشعر مجال بين عينيك ونحن في فندق « جبهة النهر » على شاطىء دجلة وانت تداعب جمال البهو وهو يختلف الينا بالوان الطعام والشراب على ايد بضة وانامل تقمصت بالعناب ، أتذكر يا رافائيل ؟

كأن ذلك لم يمر بعشر سنوات خلت ، وكأن تلك الجلسة لا تزال تفعل فعلها في نفسي ونفسك ، ان شئت ، وكأن جمال تلك الظهيرة لا يزال يخفق بين جنبيّ عرقاً ينبض ودماً يفور وعواطف تتفجر بالشعر .

ماذا يستهويك من السياسة يا رافائيل ؟ وقد ذابت فيها عبقريات رجال لو قصروا اعمالهم على الادب والفن لكوّنوا بها امة تبقى على الدهر ، ولكنهم غنموا بنتائج ما ظفروا به من السياسة اياماً كانت حافلة بالغصص الى جنب احلامهم العذبة وبين يدي شهوات الحكم الزائل .

ان الادب مهما جر على ذويه من البؤس ليصهر النفس في بوتقة الالم

فينقيها من اوضار الحياة حتى ترى الله قصيدة يتعزى بها الحزين في كوخه ، او يتغنى بها السعيد في قصره ، او يشحذ بها الجندي عزمه للدفاع عن كرامته ولعل هذه النفس المصهورة ترى ربها نظاماً يقلب وجه العالم او ديناً يعصمه من التدهور في الاخلاق .

فما لك ، وانت من هذه الاسرة الباقية على الدهر تشارك الحق حتى الخلود ، ما لك تمارس السياسة في عصبة اعمت الشهوات قلوبهم فلا يرون الله الا قبراً اجوف او وساماً اخرس او خشباً يفصّل مقاعد في مجلس التمثيل .

ان العراق يا اخي في امس الحاجات الى تعزيز دولة الادب ، والادب كما تعلم سلطان يهيمن على القلوب فتخضع للجمال على يديه ، اما السياسة فتهيمن على الانفس بدافع الضغط والارهاب ، وهل تريد ان تكون محترماً بالقوة يا رافائيل ؟

أفتستمر العراق سوقاً تستهلك وقد كانت الاندلس سوقاً تهتلهم بغداد في الادب والفن ؟ فالى متى تستورد العراق بضاعة الادب ولا تصدر شيئاً من ادبها الحي ؟ وهل العراق مجدب الى حد تخلو معه اسواق العالم العربي من العلوم والفنون ؟

لقد زرت العراق وتغلغلت في قصوره الشاهقة وسراديبه الغائرة ، وتنقلت في حدائقه الغضة وبين اشجاره الملتفة وتحت سمائه الضاحية ، فرأيت من روح الجمال الثائر في آفاقه الضاحكة وشعوره المرهف وعواطفه الملتهبة ، ما يصلح لان يكون مصدراً لعالم يطغى على الكون بادبه وفنه .

فمن المسؤول في العراق عن استخذائه لادب غيره دون ان يعتد بادبه

ويكون ادب هذا الغير عالة عليه ؟ أفما نعـد في العراق اليوم مآت الشباب الذين اخذوا العلوم والآداب من افق كان مصدراً لعلوم ذلك الغير وآدابه ؟ او ما نعد في العراق اليوم عشرات الشعراء الافذاذ بينما لا نعد في العالم العربي كله افراداً يتعالون على اولئك الافذاذ فيما يبدعونه من شعر عبقري خالد؟

من المسؤول عن توجه الادباء والشعراء والصحفيين الى القمة التي يشرفون منها على حياتهم اولا ثم على حياة الشعوب التي يشتركون معها في بناء كيان الامة ؟ ومن المسؤول عن توجيه الغير ثانياً الى الثقة بما تنتجه ادمغة عباقرتهم من ادباء وشعراء ، فيطمئنون الى أن بلادهم تفتقر الى ادبهم اولا ثم الى آداب جيرانهم اخيراً ؟

أفيبقى العراقي ، وفي عراقه ادب ناضج وشعر حي ، يرى نفسه فقيراً الى ادب جيرانه ثم يرى هذا الادب يمسه في كيانه بينما يعتقدان ادبه عـار من كل ما يتقوم به مجده ، وتعتز نهضته ، وتزدهر حضارته ؟ من المسؤول عن هذا يا رافائيل ؟ من ؟

أأنا اللبناني ؟ وفي صالحي ان لا أقول ذلك ؟ أم أخي المصري وهو لا يرعى لادب جيرانه حرمة ولا يقيم له وزنا ؟ أم اخي السوري وقـد أعمت السياسة الغاشمة بصيرته من نسي الادب والفن فهو غارق في الحيرة الى أذنيه؟

انتم المسؤولون يا رافائيل ، ولقد لمست شيئاً من هذه المسؤولية في شخص الاستاذ الخياط مدير الدعاية اذ تحدث اليَّ عما تستهلك العراق مـن كتب وصحف مصرية ولبنانية ثم لا يجد في هذه الصحف من يعترف بالجميل للعراق ويرى واجباً يؤديه تجاه ما تقوم به من خدمات سياسية وأدبية للعالم العربي .

رأيته يعني بالكشف عن رجولة الادب في العراق بما ينظم مـن فنون الدعاية في المذياع وعلى السنة الصحف ، حتى اصدر « منبر الاثير » التي لاتخف وزناً عن صحف العالم العربي الراقية .

ورأيت قريباً منه ثلة من شباب بغداد المثقف وعـلى رأسهم الاستاذ عبد المجيد محمود وزملاؤه الذين يصدرون الى العالم العربي نصيباً قيماً من نتاج افكارهم عـلى صفحات مجلتهم « عالم الغد » فاين صرخاتكم يا رافائيل في وجه الفقر الذي يخيم عليكم ؟

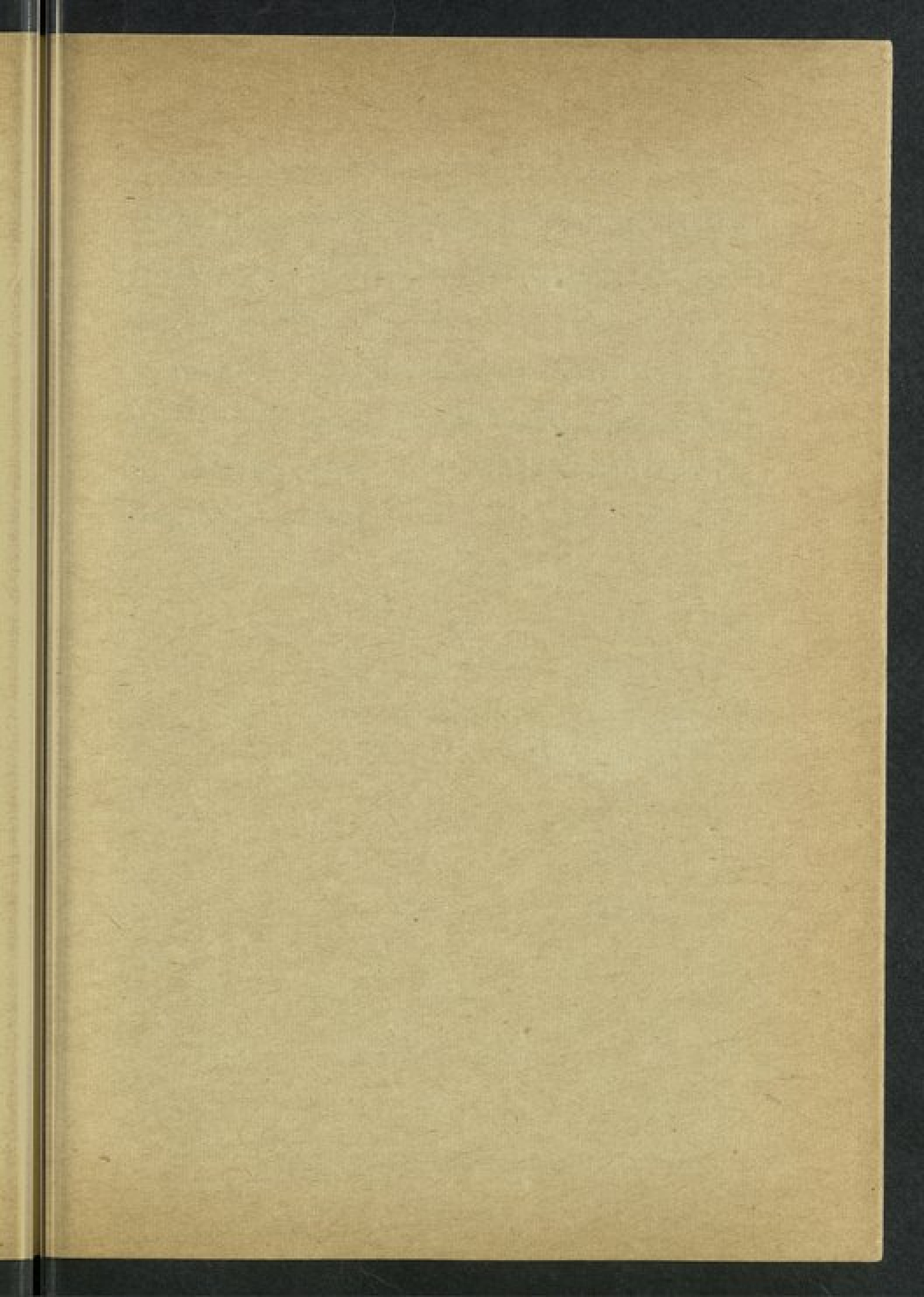
عنيت بالفقر الحاجة الى وسائل تظهرون به ادبكم وفنكم الى العالم العربي من دور طباعة راقية وآلات زنك فنية لتتمكنوا من تخريج ادبكم تخريجاً فنياً رائعاً يحول دون استعمالكم بالتخريج الفني الغريب .

إن تسعين في المائة من العراقيين يستهويهم التخريج الفني في الطباعـة والزنك والتصوير ، افلا تفكرون ، وانتم دماغ العراق المفكر ، بالتفاهم حكومة وشعباً لتأسيس شركات أدبية فنية في سبيل هـذا التخريج ؟ ؟ فلقد رأيت ، حتى فـن الغناء الساحر عندكم ، مهملا ، فاين مديرو الفنون والعلوم عن هذه النقائص ؟ ؟

أفعند الحكومة اهمال ام توان في انعاش هذه المعاهد اذا قمتم بتشييدها او عملتم على انشائها ، وقد رأيت ان هم الحكومة ينصرف اولا الى الثقافة في العراق ثم الى تعزيز الادب والعلم والفن في رجاله ؟ ام ترى هذا الاهمال في الشعب وهو يتشوف بحرقة لاذعة الى كل عبقرية تنجم عن فكر غذته تربة بلادهم ؟؟

انتم المسؤولون يا أخي ، انتم اصحاب الاقلام والداعون الى الحياة من شرفات الادب والفن ، والقائمون على وسائل النهضة العراقية في عهدها الحاضر بالسياسة وهي احوج ما تكون الى العلوم والفنون التي هي دعائم البيت الذي يؤوي السياسة في الشعب .

وبعد فكم كنت مغتبطاً باجتماعاتي اليك في نادي القلم وفي مكتبك وبين اشجار النخيل حيث انا وانت وهذا العزيز علي وعليك الذي يحرص على اجتماع الادباء والشعراء في منزله المتواضع حباً بالعلم واهله الا وهو الصديق العزيز « معمر حسين » .



طه الراوى

« من اعيان الادب العراقي يكاد يناهز السبعين من سني حياته »

« ان الادب اللبناني اسمى الآداب العربية لان اهله درسوا ليعلموا اذ كانت دراستهم غربية لا شرقية واما المصري والعراقي فقد درسا ليفهما فقط » .

« ان ضم سوريا الى العراق سياسياً خطأ لان سوريا برهنت « عن انها ارقى من العراق قديماً وحديثاً فرجالها اصلح من رجال العراق وابقى » .

طه الراوي

اخي الاستاذ العلامة .

لقد كانت زيارتي اياك قصيرة واقصر منها البحث الذي خضنا فيه وانتهينا منه على خلاف في السياسة والادب وتنازلك عنهما لسوريا ولبنان بينما نتوسم في بغداد ما يضفي عليهما الادب العربي الصميم .

ساعتين زرتك فيهما فكنت ملء سمعي وبصري خلقاً وثقافة ، وكان لكل موضوع نبحثه قوة في بصيرتك تنحدر اليه فتكشف ابهامه وتجلوه كأن لم يكن تحت ظل من الغموض ، ولقد كان اعجب ما يعجبني منك التحقيق المجرد عن الزهو كأنك اذ تبحث فكرة تعمد الى الحق فتجلوها على ضوئه ، واذ تسمع من يجالله تصغى بكل جوارحك لتأخذ لا لتزن فاذا ما بدا لك ما تحتاج الى الوزن كانت اللباقة فيك طبعاً لا يشعر معه السامع انك تريد رده او تصحيح خطأه .

ما اكبرك في قلبي وانت تكبر جليسك في كل ما يقول ، ان اصاب فلأدبه او اخطأ فلأدبك انت ، وهل مثلك كثير من يقول مخلصاً بقوله واذا اصغى كان اشد اخلاصاً في اصغائه ؟ : انا لفي فقر مدقع الى رجال ادب وعلم

يتخرجون على العقل قبل ان تدفعهم العاطفة في مهاو يزلقون منها الى حيث تعمى البصيرة منهم قبل ان يعمي القلب .

صديقي ابا هاشم .

ان كثيراً ممن جالستهم وتحدثت اليهم فكنت في النهاية طريد اوهامهم وكانت لهم الغلبة علي اذ لم اكن اصغي اليهم بقلبي وهم يقولون بالسنتهم ، وهل يسمع القلب من اللسان او يفصح القول منطق ليس وراءه قلب ؟؟ هكذا الناس رأيتهم اذا قالوا وقفوا عند حد القول ، واذا اصغوا اطرقوا وارهفوا الاذان ثم لم يتعدوا ذلك الى ما وراءه مما يرمز اليه الاصغاء .

أفلا تدلني يا اخي على مدرسة حديثة يتخرج الطالب منها غير مغرور ولا حاسب ان العلم والادب والفن والحياة باسرها وقف على المعهد الذي قذفه ؟؟ والمعاهد كما تعلم اصبحت اليوم اكثر من الطلاب ، فخريج لندن يزدري خريجي برلين وهذان يزدريان خريج نيويورك وباريس وهؤلاء يظهرون بظهر الهزء امام خريجي القاهرة وبيروت ، واذا حاولت ان تقنعهم بان مدرسة السوق اليوم اصبحت اسمى في نظر الحق من كل مدرسة لانها مدرسة حياة واما مدارسهم فوسائل يتذرعون بها لفهم السوق كنت تحاول عبثاً .

سبحان الله يا اخي !! لقد بلينا بهؤلاء كما بلينا بالجامدين على السواء فاذا جادلنا الجامد في الحق ولم يستسغه قال : لم اعثر عليه في مكتبة الجامعة ولا سمعته من اساتذتها ، واذا قال هو ما لم يسغه المنطق ثم سألته البرهان قال هكذا قال المسيو او المستر او السنيور وقول واحد من هؤلاء حجة فكيف بهم جميعاً ؟؟ ولعله احوج منا الى فهم ما ينقله عنهم .

وهكذا اذ نجادل الجامد في الحق ولم يستسغه قال : لم اعثر عليه في كتب السلف ولا سمعناه عن ائمتنا ، واذا قال هو ما يسفهه المنطق وسألته البرهان اجاب : هكذا قال شيخنا في اماليه او أحاجيه وقوله حجة فالتزامنا به من التعبد ، ولعله احوج منا الى فهم ما ينقله عن الشيخ او السيد او الامام .

فبلاؤنا يا سيدي من كلا الفريقين اللذين يحدقان بنا هذا جاحد وذاك جامد ، فما احوجنا الى الفريق الوسط الذي يأخذ عن السلف ما تقومت به حضارتنا العابرة وعن الخلف ما تتقوم به الثقافة الحاضرة ، وكل ما تتلقفه الاذن او يعيه البصر نحيله الى العقل الذي هو حكم بين العاطفة والفكر ، فلسنا الى ثقافة الحاضر باحوج منا الى ثقافة الماضي ، واذا تعالى الحاضر بعلومه على الغابر فقد يتعالى الغابر باخلاقه على الحاضر ، افلا يرون ان نهاية الرقي في المدنية اليوم ادت بالانسان المتحضر الى وحشيته الاولى ؟؟

واعجب من ذلك ان ابناءنا عبثا يقنعون بان للثقافة صلة بالعنصر والقومية فهم يحملون الينا ثقافة اوروبا ويريدون ان يقوموا بها عنصرنا ثم يحاولون ان يقنعونا بذلك ، واذا حاكمتهم الى المنطق ابوا ان يسمعوا الك لانك لم تنهل من التايمس او لم تسكر على ضفاف السين ، والغربي نفسه يعترف بان الثقافة المجردة لا تقوم بالامة حتى تكون مركبة من العلوم والآداب وان تكون كذلك حتى تتلون بالمحيط الذي كون تلك الامة .

فالعربي وهو يحمل ثقافة اميركا الى بلاده لا يستطيع ان يحمل معها الادب الذي هو وليد اميركا حتى يكون امريكيا بحتا لان الادب يتقوم بالطبع والتطبع معا ، فليكون عربياً بثقافته يجب ان يكون هذه الثقافة

بالادب العربي من تلقاء نفسه ثم يسبغ ثقافته الجديدة على محيطه وعلى امته ، كما نرى الفروق بين الثقافة السكسونية والثقافة اللاتينية ، ولعلنا نرى فرقا بين ثقافة كل ولاية وبين ثقافة اختها من اية مملكة كبرى مترامية الاطراف .

هؤلاء لا يفقهون الحياة الا انها نقل من بلد الى بلد واخوانهم الرجعيون لا يفقهون من الحياة الا انها نقل من زمن الى زمن ، واذا سألت اولئك عن الفرق بين الروسي والجرماني اثبتوه لك عقلا وشكلا وهم يعلمون ان اتحاد الروسي مع الجرماني في العقل والشكل محال ، ثم اذا سألتهم من اين اخذ اليابان ثقافتهم لم ينكروا انه استقاها من السكسوني ثم هم لا ينكرون اختلاف الياباني عن السكسوني عقلا وشكلا ، واذا سألتهم السبب احجموا عن الجواب لا تعنتا ولكن جهلا واخفاقاً .

ان في كل بقعة من الارض ، وما اوسع هذه الرقعة في العالم ، خاصة تصبغ ابناءها باللون القاصر عليه حرارة ودما لا يمكن للعقل ان يقتبس علما ما من مكان ما الا ولهذا الدم وتلك الحرارة سلطان على ذلك العلم يحيله فيه ويصبغه باللون الذي يشير الى محيطه وبيئته ، وما اكثر ما طفتُ الارض وخبرتُ الشعوب فكنت كلما خرجت من بقعة الى اخرى شعرت بلون جديد يتلقاني في الشكل والعقل واذ ابحث عن الثقافة المجردة رأيت المصدر واحداً .

من هنا اصل معك يا استاذ الى اني انا اللبناني الذي لم يفتني علم الغربي اوروبيا واميركيا في المعاهد والشوارع ، لم اتحسس بما تنسبه الى لبنان من انه درس ليُعلّم اذ كلما عدت الى وطني رأيتني عدت من ممالك ، كل مملكة

ينتظمها قانون مدني سياسة وثقافة ، الى مملكة لا ينتظمها ناموس طبيعي ولا قانون مدني ، وسبب ذلك تعدد الثقافات في لبنان واعتصام كل ثقافة بآداب الامة التي انبعثت عنها تلك الثقافة .

فالثقافة الفرنسية يريد مرتادها من معهدها في نفس لبنان او تريد هي ان تخرجه فرنسيا بعلمه وادبه وفنه ، والثقافة الاميركية يريد طالبها وهو في لبنان او تريد هي انه تخرجه اميركياً بروحه وبدنه ، وحتى كيف يأكل ويشرب ويمشي وينام ، تريد كل من الثقافات التي يلتمسها من هذه المعاهد المضطربة ، ان تطبعه بالطابع الذي تطبع ابناءها به في الافق الذي انبثقت عنه وترعرعت فيه ، فكيف تريد هذا ان يكون معلماً ؟

يفوت معاهد التربية في بلادنا كثير من التفكير في مأتى هذه الثقافات المضطربة في البلد الواحد ، وربما عددت لك اكثر من عشرة معاهد في بيروت وكل معهد يثقف ابناءه بالثقافة التي لا تجتمع مع ثقافة غيره في شيء من حيث الادب والفن ، اللهم الا في الاصول التي تقابل الكلمات المفردة او الحروف الهجائية من كل لغة ، ويريد بعد ذلك ان يكون لبنان موحداً ثم نريد نحن ان نجعله معلماً لا متعلماً ملتوياً غريباً وهو في وطنه .

ولقد بحت اصواتنا ونحن نصرخ ونعول في صحفنا الحرة وعلى رأسها مجلة الأديب الراقية ، ندعو الحكومة والشعب ان يتنبهوا الى هذه الامراض التي تنخر جسم الامة ، ولقد بلغ الهذيان بمن لم يوفقوا الى ثقافة تصح ان تكون مقومة للشعب اللبناني وقوميته ، ورأوا انهم على خطأ فيما يدعون اليه من ثقافة اجنبية ادركوا معها انهم مسوخ لا الى وطنهم ولا الى الوطن

الذي شاء ان يحيلهم في اهله ، ثم لم يرقهم ان يطبعوا ثقافتهم بالطابع العربي الذي هو قوام ارضهم وسمائهم ترفعاً عن القوم الذين ينتسبون اليه بدافع الجهل او العصبية الذميمة التي سمم ارواحهم بها الاجنبي فعمدوا الى نبش القبور وبعث الهيا كل الداثرة ليخلقوا منها قومية يلجأون اليها من خطأهم الفاضح ، فكانوا بذلك الى الاموات اقرب منهم الى الاحياء .

فهل ترغب يا استاذ بعد هذا ان يكون اللبناني معلماً للعراقي أو المصري ؟؟ ولقد تحدث الي احد اساتذة الناصرية وهو لبناني عربي ان زميلاً له يحمل ثقافة اجنبية كان يريد بكل ما اوتيه من قوة ان يخلق من كل تلميذ عراقي شاباً باريسياً بروحه وبدنه ، ولما بلغ سمعه انهيار باريس تحت اقدام الالمان لم ينم ليله وهو يبكي ويعول لا حزناً على مدينة باريس بل على قوميته التي انهارت بانهيار باريس ، أرأيت ماذا يفعله الاستعمار في النفوس الضعيفة ؟؟ أو مثل هذا تدعوه حكومة العراق ليعلم العراقي وكلنا يفهم ان القومية قبل العلم والأدب والفن ؟؟

ارجو ان يكون لبنان منذ الآن اذ تقلص عنه ظل المستعمر وبدأ يوحد ثقافة ابنائه ويطبعها بالطابع القومي العربي ، أرجو بعد هذا ان يكون اللبناني صالحاً للتنشئة والتهذيب ، واما المصري فهو المعلم الحق والسوري والعراقي اصلح منه لأن يكون معلماً ، لان المصري يعتمد في تثقيفه أو ثقافته على العلوم الحديثة أولا وعلى الدين ثانياً وربما مزجهما بشيء من القومية العربية الى جانب قومية يريد أن يخلقها كاللبناني خلقاً جديداً .

وأما السوري فهو أعرق رجالات العرب ، اذ يتثقف بمهنة التعليم لانه

يعتمد على العلوم الحديثة اولا وعلى القومية العربية ثانياً وربما لحظ الدين الى جانب ذلك كله ، وهكذا يكون العراقي اذ يثقف كالسوري أو أشد حرارة منه في الدماغ والدم اذ يثور او يفكر .

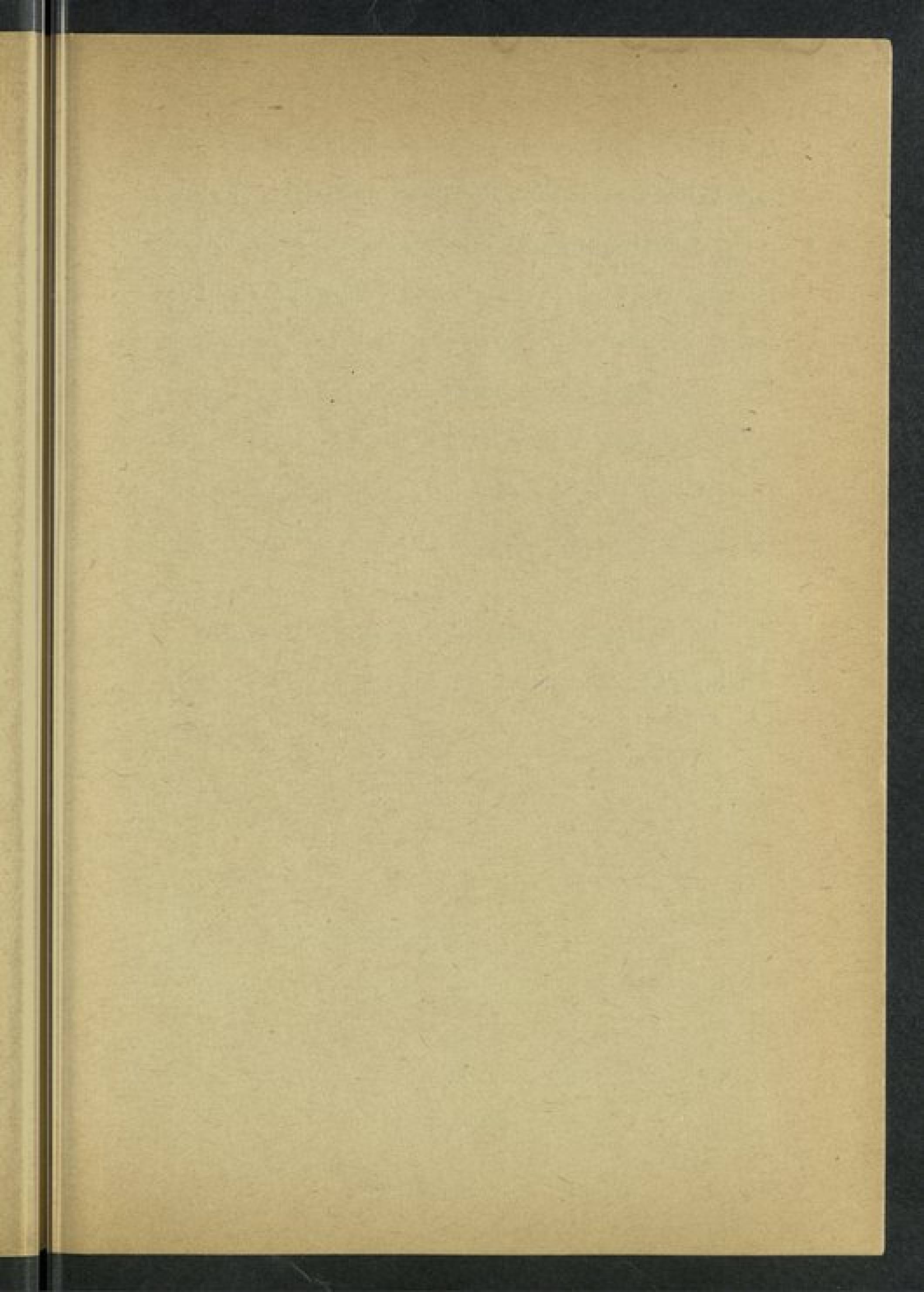
فاللبناني درس ليفهم وفاته الفهم اذ اعمت بصيرته السياسية الاجنبية بتحويل المعاهد الثقافية فيه الى مستعمرات ، ولم يدرس ليعلم اللهم الا افراداً منه نهلوا العلوم من معاهد اهلية قام بتشييدها نفر لم يعقوا مجدهم ولا تراثهم امثال كلية المقاصد والجامعة الاميركية في بعض من يتخرجون على بعض اساتذتها ، لا كلهم ، فالرجاء اليك ان تحرر فكرتك فيما تراه .

اما ان سوريا ارقى من العراق قديماً وحديثاً وان رجالها أصلح من رجال العراق للحكم فهذه مجاملة منك تتواضع بها ارضاء لي لاني سوري في منزل عراقي اذ ليس في الثقافة قديم وحديث وهذه سويسرا ارقى الامم الاوربية فهل نحكم على ان رجالها اصلح للحكم من رجال اميركا والمانيا ؟؟ وهل تستطيع ان تدلني على العهد الذي حكمت سوريا به العالم كالعهد الذي حكمت به العراق ؟؟ وهل في طوقك ان تثبت ان الآثار علمية او فنية كانت في مخلفات سوريا اكثر منها في مخلفات العراق ؟؟

وهل اذا عددت الاعلام الذين اسدوا يداً الى المدنية شرقية وغربية بعد الاسلام ، هل تعد في سوريا كما تعد في العراق ؟؟ وهل تستطيع ان تحكم لسوريا من حرارة الدم وحدة الفكر بدافع الطبيعة ما تحكم به للعراق ؟؟ ويقول الحكماء ان افصح برهان على عبقرية التربة نبوغ الفنانين فهل تستطيع ان تعد من شعراء سوريا قديماً وحديثاً ما تعده من شعراء العراق ؟؟؟

وبعد فاذا تعلل انقياد العراق لفيصل بن الحسين وعدم انقيـاد سوريا له والمفروض ان آراء فيصل لم تتغير في الاصلاح فالمنهاج الذي تمشى عليـه في العراق فنجح به هو عين المنهاج الذي شاء ان يواصل عليه السير في سوريا ، واتفاقه مع كليمنصو لا يزال غير مجهول في سوريا فلست معك ايضاً في هذا الرأي ، انا واياكم اليوم في حاجة ماسة الى الاتحاد والتضامن لتحقيق الوحدة ، وليس من الصالح ان يتبع العراق سوريا لان في العراق مؤهلات طبيعية وسياسية لا تتوفر في سوريا ، وليس على سوريا عار في انضمامهـا الى شقيقتها العراق اذا انصفنا عروبتنا وقوميتنا ، فـلا فرق بين ان يحكمني عراقي او سوري او مصري ما دام هذا الحاكم عربياً وما دام الحكم الذي يهيمن به علـي في صالح العرب .

ارجو ان لا اكون قاسياً فيما خالفتك فيه وارجو ان تعذرني فيما اذا نسبت رأيك في هذا الى المجاملة ، ولعلي اجتمع اليك مرة اخرى فنعود الى البحث ، سلمت لاخيك المعجب بفضلك وادبك .



الجادرجى

«كامل بك»

كامل بك الجادرجي من الاسر البغدادية العريقــة في المجد، وقد تولى الوزارة العراقية وقتاً ما، وهو اليوم يصدر صحيفته «الاهالي» الغراء المعروفة بصراحتهـا واخلاصها للانسانية .

« انه غني عن الناس بحسبه ، ومبدؤه انساني لا يتحول عنه ،
« فهو يسخر صحافته لهـذا المبدأ لذلك تراه ابدا يعطف على
« العمال والضعفاء .

« واذا اتضح له الحق لا يمكن لقوة في العالم ان تصرفه عنه ،
« اما الاخلاق فهي حليته السامية التي تزدان به ويحلي بهـا اسرته
« ومن يعنى به حتى الخدم ، ثم هو لا ينفك يلهج بمعالي الامور ويعمل
« لها ويحث عليها » .

هكذا تحدث اليّ الاستاذ معمر حسين وهو يعرض لي سيرتك ايهـا العامل ، اما انا فأقول : ما دخلت على رجل وعرفت باطنـه قبل ان ينطق ظاهره ، واعتزازه بانسانيته قبل ان اقرأ ما يكتب ، ثم لمست صفاء ذاته من صدق لهجته ، وسمو تفكيره من نظراته واشاراته ، ما دخلت على رجل هذه صفاته قبل ان ادخل عليك .

فقد حملت منك لاول ساعة جلست اليك فيها ، ان معمراً كان صادقاً وهو يتحدث الي عنك ويقول : ما رأيت رجلا يتمشى في داخله على الفضيلة التي يسير بها في الناس مثل كامل الجادرجي ، ولقـد كنت جاره زمناً ما ،

فكنت شديد الاعجاب بالآداب التي ينشىء عليها اهله واولاده وخدمه ، وحتى النظافة البالغة تبدو على كل من يتصل به من اسرته .

اوردت هذه الكلمات ، على قلة شأنها في الحياة العامة كما تبدو ، ولكننا اذا حللنا مغزاها وجدنا انها تنم عن فضيلة ليس فوقها فضيلة ، اذ قرأنا وخبرنا ان من شاء ان يكون مصلحاً في العالم عمد قبل كل شيء الى اصلاح داخله حتى يعتد بالقوة التي تمكنه من مجابهة الفساد في الخارج ، وحتى لا يكون مصداق قول الشاعر :

لا تنهَ عن خلق وتأتيَ مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم

ان معمراً ينقل اليّ هذا وهو يرمي الى الغاية التي ربطتها بعملك ايها المصلح ، أفلست صحافياً حراً قبل ان تكون رجلاً آخر ؟؟ والصحافي هو المصلح الاول المعني بتوجيه الشعب الى حيث يحيا حياة تشرف به على الخلود .

اذكر ان بعض من اثق به نقل لي ايام زيارتي للارجنتين في جنوب اميركا ، ان جريدة « لابرنسيا » وهي اعظم الصحف الاميركية انتشاراً واقدمها عهداً وابلغها ثقة في نفوس الشعوب الاميركية اللاتينية ، عالجت الوضع السياسي بعد ثورة (١٩٣١) فحملت على الحكومة الجديدة فيما انتهجته من خطط والحكومة آنذاك في عنفوان قوتها فلم تُغفل نقد الصحيفة وهدد مدير الدعاية مدير لابرنسيا باقفالها فصدرت في اليوم التالي بيضاء لا تحمل غير الاسم باللون الاحمر وهي من امهات الصحف العالمية وتكاد صفحاتها تتجاوز الاربعين .

وعلى اثر صدورها بيضاء تظاهر عشرات الالوف من الشعب في دار

الحكومة يهتفون لصحيفة الشعب الارجنتيـني الحرة فاطل عليهم رئيس الجمهورية وسألهم عما يريدون ؟ فقالوا نريد ان نفهم السبب الذي من اجـله صدرت لابرنسيا بيضاء في عهدك ؟ فاستمهلهم ريثما يخاطب مديرها هاتفاً ، ولما سأله السبب اجابه مدير لابرنسيا : ان صحيفة الشعب الارجنتيني إمـا ان تصدر حرة الى الابد او ان تقفل الى الابد » فرجع الرئيس واشرف على الجماهير فقال ان مدير لابرنسيا يقول : اما ان تصدر صحيفته حرة الى الابد واما ان تقفل الى الابد ، فمـاذا تقولون ؟ فصاحوا باجمعهم ، لتصدر حرة الى الابد ، لتصدر حرة الى الابد وليحيى الشعب الارجنتيـني !! فعقب الرئيس على قولهم بقوله : لتصدر حرة الى الابد وليعش الشعب الارجنتيني الحر ..

هكذا نحلم يا اخي بالصحافة الحرة ، وهكذا نخلو احياناً الى ضمائرنا فنسألها : الا يوجد في عالمنا العربي كله صحيفة تحمل جزءاً من روح لابرنسيا في عاصمة الارجنتين ؟؟ إنا لا ينقصنا جرأة في الدعوة الى الحق ، ولن تنقصنا اقلام جبارة في طوقها ان تدافع وتناضل في وجه الباطل ، ولن تنقصنا ثقافة تقرب من ثقافة الجمهورية الفضية او تزيد عليها ، ثم لن ينقصنا بعد هذا كله حرية نتمشى بها على ضوء الحقيقة الساطعة في سماء العلوم والاداب والفنون .

ولكن ينقصنا شيء واحد هو كل شيء في الحياة ، شيء واحد لا يتقدمه بين يدي الحق شيء ، شيء يكاد يهتف بنا كل يوم وكل ساعة وكل لحظة من حياتنا ، هو بين ايدينا ومتناول اقلامنا ، وفي صميم عاداتنا وتقاليدنا . ذلك هو الخلق العربي القائم على الإباء والوفاء ، اباء الدنيئة والوفاء للامة والدين والوطن ، تنقصنا الاخلاق اذ نقـول ، وتنقصنا الاخلاق اذ نكتب ، ثم

تنقصنا الاخلاق اذ نعمل في حقل الحياة .

ولقد رأيتك من هؤلاء القلائل يا كامل ، من هؤلاء الذين لا يغفلون ، وهم يحبرون صحيفتهم صباح كل يوم ومساءه ، عن الدستور الكامن في نفوسهم وبين اظهرهم وفي زوايا بيوتهم ، الا وهو دستور العرب الذي شرعه لهم مصلحهم الاعظم وبناه على الصدق في القول والاخلاص في العمل ، هذا الدستور هو الذي يضمن لنا ان نظفر بالفوز في كل ما نتوجه اليه من حياة وهو الذي يقفنا على الحق إبان تتبارى الالسن وتتنافس الاقلام ، هو فينا ومنا ، هو وليد الحكمة التي درج عليها آباؤنا يوم سادوا العالم .

اما الصحافة اليوم عندنا فلا تتعدى ان تكون كشكولا يتسول به من ينهش الجوع قلبه ، او مخلباً حديد العرش ينهش به اللئيم اعراض الناس ، او ماخورا يعرض به الخليع انواع الفسق والفجور ، هل تتعدى صحافتنا شيئاً من هذا يا كامل ؟؟ فلا تعجب اذن من ان يكون اقبال الشعب على هذا النوع شديداً لان الصحافة التي هي مدرسة الامة ربت الشعب على هذا النمط من الحياة وساعدها على ذلك رجال الحكومات اذ لم يخرجوا عن دائرة هؤلاء .

واذا عُنيت صحيفة ما بشيء جد حقير من معالجة الحق المريض في هذا المجتمع الموبوء ، فاعتمدت في علاجه الصدق والصراحة وحرية الفكر ، عمد الى التنكيل بها رجال اقطاعيون لم تطق نفوسهم احتمال الحق ، ولم تصبر على رؤية الباطل ينهار بين يديه ، قد نشأوا على الانانية والاستعباد للضعفاء ، فاحتكروا مناصب الدولة وزاولت ارجاسهم الحكم فلعبوا ما شاء لهم

الهوى الجامح والنفوس الجياشة بالاثم ، أفاكون مخطئاً ان قلت : ان السبب الاول من تأخرنا وانحدارنا الى هوة سحيقة من الصغار والذل ، انما هو تقهقر صحافتنا واستخذاؤها بين يدي القوة الغاشمة التي تسيطر عليها وتستعبدها في سبيل انانيتهم وشهواتهم ؟؟؟

لقد رأيتك ، وانت من هذا النفر القليل ، تأنف احياناً كثيرة من ان تكتب في صحيفتك ما لا تعتمد فيه الحق الصراح والخدمة المثلى التي تنال بها الفئة المستضعفة من الناس ، والتي عليها تقوم مناصب الدولة وبين يديها تتقد مشاعيل الحرية في العلم والعمل ، رأيتك وتكاد تكون وحدك ،تعالج الداء الذي حط العامة الى أبعد قرار في درك الحياة الدنيا ، ورفع الخاصة الى أسمى مراقي العز في حياتهم العليا ، وبين المرتبتين فراغ هائل يبتلع الانسانية التي تقوم على اساس ارتباط الأسفل بالاعلى ، رأيتك تعالج هذا الداء لترفع من منزلة العامي المخذول المستضعف ، وتحط من كبرياء القوي المستعلي ، وهما اخوان ، حتى يلتقيا في افق واحد ، يستطيعان به رفع المستوى الذي تقوم به الانسانية وعليه يستقيم نظام العالم .

كنت اترقب صباح كل يوم غدو صحيفتك علي لاقرأ كلمتك الاولى التي تعالج بها فكرة جارية او مشكلة اجتماعية ، وكنت امشي معك في انسانيتك وانت تتجه في بحثك الى لباب الحقيقة التي تكشف عن هذه المشاكل ، ويكاد بحثك واستقصاؤك فيه ، ان يلمسني اخلاصك مجسماً في كل كلمة ومع كل حرف حتى حسبتك وانت تدافع عن الضعيف ، اضعف منه وظننتك اذ تمعن في الدفاع عن الفقير ، انك افقر منه ، وكأنك في كل

ذلك تستعمل ضعف الضعيف وفقر الفقير وجهل الجاهل وعمل العامل لما يرفع من قدرك ويعلي من شأنك ويفتح السبيل امامك الى مناصب يتهالك عليها الخاصة من قومك .

ولكني ، وقد رأيتك لم تبطرك النعمة ، ولم تستهوك المناصب ولا لوحت شهوة الحكم لك بما يبسط سيطرتك على النفوس ويهيمن بسلطانك على القلوب، رأيتك أبعد الناس عن ان تشبع قلمك من دمك ودمعك لتدافع به عن الضعيف من ابناء جلدتك ثم تتوقع من وراء ذلك ديناراً من الذهب لتصهره وتغمس فيه قلمك ثم تسجل على انسانيتك الخزي الباقي على الدهر .

فالعراق خاصة ، والعالم العربي عامـــة ، هو في أمس الحاجات اليوم الى الصحافة الحرة التي تعمد الى ابرز المشاكل الاجتماعية ، واعقدها فتعالج حلها بما ينير لنا سبل الحق ، وليست خطتك ببعيدة عن ان تكون المثل الاعلى لهذه الصحافة ، والصحافي ليس واحداً من سائر الناس ، ولكنه اذا تبين الطريق وسار عليها مضطلعاً باعباء الخوض فيه ، كان امة بنفسه اذ يقود الامة خلفه الى حيث تعز وتحيا .

واما اذا نكب عن الطريق وسار على غير هدى يعتسف النهج الى حيث يشبع نهمه الحيواني فهو أخطر عضو يتعرض للشلل في جسم الامة فتنهار به ، أفليست الصحافـــة عنوان الشعب ؟ او ليس العنوان رمزاً يشير الى فحوى ما يتغنون به ؟ او ليس الكاتب مقيساً على عنوان ما يكتب في ذوقـــه وشعوره بما يصور ؟ ولشد ما قرأنا الكتاب لاسمه ، والمقال بعنوانـــه ، اذ لا ينسى للسخيف ان يستوحي عنواناً طريفاً يرمز بـــه الى فكرة سخيفة ،

وهكذا نجد الطريف لا يهزل معه الوحي الى الابداع في النظم او النثر والاسفاف فيما يُعنون به نتاجه العبقري .

فالصحافة اذن هي عنوان الشعب ، وسمو المعنون بسمو عنوانه ، فكم يكون الصحافي مسؤولا امام شعبه وهو يحرر عنوانه ، ولهذا نرى الصحافة في بلاد السكسون مسورة بسياج شائك من القانون ، اذ لا يتسنى الخوض فيها لمن لم يحرز ثلاثين الف جنيه ، هكذا اتصل بي من الصحف اللندنية أيام وجودي في عاصمة السكسون ، فالصحافي يجب ان يكون مثريا لئلا يعول في صحيفته على الاحزاب او الشعب فيضطر الى التملق وهو يعالج الاصلاح في امته سياسة واجتماعاً ، والمصلح يجب ان يكون في غنى عمن يعنى باصلاحه .

اما عروبتك ، ايها العربي الحريص على مجد قومه ، فقد حلت بها من نفسي محل النفس ، اذ خلقني الله عربياً قبل ان اكون مسلماً او شيعياً لذلك ارى العروبة تحتل عندي المكان الاول ، ولكم اعجب من اناس يدعون الانسانية ثم يعقون الام التي يترعرعون في حجرها ، الا وهم الشعوبيون الذين يعيشون طفيليين على بلاد العروبة ثم ينكرون فضلها على حياتهم ، فتراهم يتكلمون لغة العروبة ثم لا يشعرون ان اللغة مصدر الفكر والفكر مصدر الفن والفن مصدر الحياة .

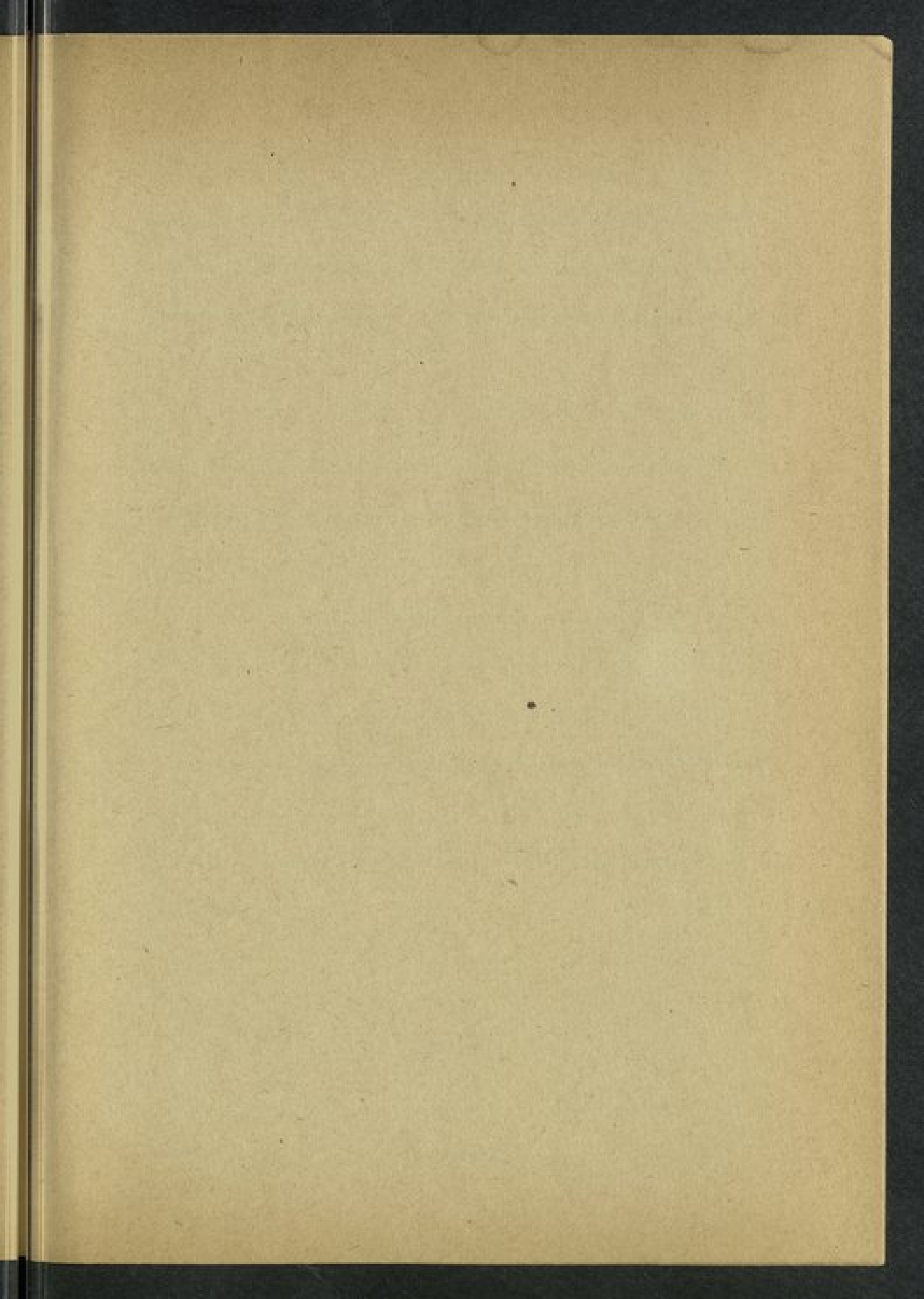
يتشدقون بقولهم : نحن فينيقيون ، او نحن فرعونيون ، او نحن سريان ، وذلك لا يمنع من ان نتخذ العربية لغة لنا كما يتخذ الاميركيون لسان السكسون لغة لهم وليسوا منهم » فلو قلت لهم : من قال لكم ان الاميركيين لا يعتبرون انفسهم من السكسون ، ومن قال لكم : ان

اتحادهم في وجه كل عدو لا ينبي. عن وحدانية اللغة فيهم ، ثم من قال لكم انهم يتنكرون للسكسونية تنكركم للعروبة لو قلت لهم ذلك، لما استطاعوا ان ينبسوا ببنت شفة، واذا قلت لهم آخر الامر : ان لغة السكسون في بلاد اميركا غيرها في البلاد التي انبتتها ونشأت عليها ، غمغموا وغالطوا ثم لم يحيروا جواباً .

فنقل لغة اللاتين الى اميركا تحت ستار الاستعمار غير وجودها في البلاد التي نشأت منها ، اذ يشعر الاميركي وهو يتكلم اللاتينية ، ان هـذه اللغة انما نقلت الى بلاده وقضت على لغته الدائرة من اجل استعباده فينشأ في سماء نفسه الى جانب ما تربيه اللغة من ثقافة ، كره الامة التي حاولت استعباده بهذه اللغة فيحتفظ باللغة وينبذ القومية التي تتقوم باللغة والامة والبيئة معاً .

اما لغتنا العربية فهي في البيئة التي انبثقت عنها ، ومع الامة التي كانت لها ودرجت عليها ، واما هؤلاء الذين يتنكرون لها فهم دخلاء عـلى بلاد العروبة كلغة اللاتين التي هي دخيلة على اميركا وافريقيا .

ان عصبيتك لعروبتك تجلت لي في رأيك يوم استشاروك في تحـوير الحروف العربية الى شكل لاتيني وتجـلت رأيك في ضرورة استمساكنا بلغتنا مادة وشكـلا ، فكنت اذا ذاك كبيراً جـداً في نفسي اخذ الله بيدك واعلاك للعرب .



القزوينى

السيد ميرزا القزويني من اعيان الحلة واشرافها وبيته كعبة الوفود من علماء واعيان ، وهو في العقد الخامس من سني حياته .

« اني ممن يؤمنون بالحظ فلو ساعد الطالع حجراً لاصبح وثناً يُعبد »

المبرزا

« لو ساعد الطالع حجرا لاصبح وثنا يعبد .

« لقد حاولت درس الموسيقى عند شاب مسيحي وشرعت فعلا ولكن شقيقته كانت حائلا دون اتمامه .

« اذ كانت تدرس معي وكانت بليدة فكان يحاول اهانتها على مسمع مني وهي حساسة فتركت الدرس حرصا على شعورها .

« نحن لا نعرف وجه الله الا في هذه الحجرة ، اما انتم فلديكم جنان تريكم وجهه في كل شيء » .

عزيزي الميرزا !!

لقد كان يومنا بين كربلاء والحلة من الايام التي ارجع بالذكرى اليها كلما حز الالم في نفسي مما ارى واسمع في هذا الافق المظلم بغياهب الحياة ، أما طويريج واما نزهتنا الجميلة فيها ، واما صحبة السيد مهدي لنا ، واما نكاته الطريفة وروحه المرحة الخفاقة في عالم الادب ، اما هذا كله او بعض منه فلن تقوى الايام على محوه من ذاكرة اخيك البعيد عنك بجسمه والقريب منك بروحه .

ما احب ان احبر هذه الرسالة واحشوها بمكارم آل القزويني الشائعة في

عالم السخاء والجود لان هذا النوع من الكرم قد شارككم فيه كثير من الناس ، ممن يبذلون لله او للجاه ، ولا احب ان اعلل سخاءكم بما يفطن له كل من تنبه للكرم واثره في النفوس ، فكلمة كريم اصبحت عادية مبتذلة ككلمة عالم واديب واستاذ وزعيم ايضاً ، فقد يطلق واحد من هذه الالقاب على كل من تجلس اليه ولا يخلو فرد ما من ان يتسم بواحد منها .

فليست العبرة بان نطلق على الشخص لقب عالم او زعيم او كريم ، ولكن العبرة في ان نشعر ، ونحن نطلق هذا اللقب عليه ، بالهيبة التي تملأ نفوسنا روعة وجلالا بين يدي علمه او كرمه او زعامته ، ونشعر بان ظواهر العلم او السيادة او السخاء في نفسه تفرض علينا ان نركع امامه او نشخص اليه او نصمت هيبة بين يديه ، ثم نشعر بعد ذلك انا مدينون لما يأتيه من عمل وان الحق في ضمائرنا يحملنا على احترامه واكباره دون ان يفرض هو علينا شيئاً من ذلك .

من هذا القبيل انتم ايها السيد ولعلكم في الصميم من هذه الاسر التي يفرض على الناس احترامها ، ما تتخلق به من كرم الطباع ومؤهلات السيادة أفلستم من عترة هاشم ؟ أوَ ليست هاشم خليقة باحتكار المكارم فيما تقوم به من عمل للحق يهرم به الكبير ويشيب عليه الصغير ؟ اولم نكن بشرا بفضل هاشم ؟ افلم يكن سيد هاشم باعث الحضارة في العالم قبل الف عام ولا يزال اسمه يتبرك به مآت الملايين من الناس منذ عشرات الاجيال ؟ وبعد أفليس هذا السيد هو مصلح العرب الاكبر وهو جدكم الاعلى آخر الامر ؟

ليس الكرم الذي يتجلى فيكم هو ما تمتازون به فحسب ولعل الكرم

اصبح ميزة مغمورة في العالم العربي ، ولكن المجالس التي تعقد في اندياتكم من وراء هذا الكرم ، والعلوم والاداب التي تبذون عليها سخاءكم هي التي تعزز الكرم فتصبح ميزة ظاهرة فيكم ونادرة في غيركم ، فان المسائل العلمية التي خضنا فيها خلال ساعات مرت بنا في منزلكم الرحب كانت برهانا كبيرا على ان بيتكم مدرسة توحي الى الزائر من غذاء الفكر والروح فوق ما توحيه موائدكم من غذاء الجسد الفاني .

ما انسى مجلسكم الموقر وفيه الافاضل السيد محسن القزويني والسيد كاظم القزويني والشيخ مهدي سميسم ، اذ يسألني الاول : عن الحكمة ، وهل الحكيم لقب قاصر على الفيلسوف ؟؟ فقلت افهم من الحكمة انها الصلة في المرء بين عقله وبين ما يصدر عنه من قول او عمل ، ومنها الإحكام اي الإتقان والاحسان ، وبها تتقوم كلمة الامام علي : « قيمة كل امرىء ما يحسن » اي يُحكم ويتقن ، وقد يعبر عن الحكمة بالاخلاص ، اذا فسرنا الاخلاص بانه الدافع للمرء ان يعمل عن عقيدة بصحة ما يستهدفه من ذلك العمل ، على شريطة ان يكون وراء العقيدة عقل يمسكها من ان تقوم على باطل .

والحكم والحكومة وما يتصرف من هذين الحرفين يجب ان يؤولا الى الحكمة ، فالحاكم ما لم ترتبط حكمه بالعقل الكامل صلة ، فليس خليقاً بهذا اللقب ، والحكومة ما لم تكن معرضاً لاخلاص الحكام وحكمة المشرعين فليست جديرة بان تهيمن على الشعب ، وليس على الشعب ان يخضع لسلطانها ويذعن لسيطرتها على الناس .

فكل من ينتظمه سلك الحكومة يجب ان تكون الحكمــة رائده والعقل مصدر هذه الحكمة والحكومة التي يفصل بها وليدة تلك الحكمة، أما ان لا يفهم الناس هذا وان الحكومة من الحكم والحكم غير الحكمة فذلك عين التمويه الذي يغشي الباطل على ايدي اناس أمعنوا في نهش الحق فحالوا بين الحكومة والحكمة حتى اصبحت الحكمة في معزل عن الحكم واصبحت الحكومة فرعاً من فروع السياسة الملتوية القـائمة على الرياء والكذب والغدر والخيانة ، وعادت الحكمة الى مقرها متزوية وراء العقل .

ومن البحوث التي اوحاها اليَّ ناديك الفخم ، وهو يضم اعيـان بلدك من علماء وادباء ووجهاء ، مصدر الشهرة في العالم ، قلت في عرض هذا البحث :

ان الذي يثبت في نفس السامع او قلب الناظر ثم يخلد فيهما الى الابد ، هو احد اثنين : اولهما بلوغ القول او الفعل في العبقرية والسمو حده الاقصى من الروعة والجلال ، وثانيهما : بلوغ القول او الفعل في السخف والضعـة حده الاقصى من التفاهة والابتذال ، يمثل لنـا الاول محمد وعلي والحسين ، اذ ضرب لنا محمد مثلا اعلى في الحكمة والاصلاح والتشريع ، وضرب الثاني مثلا اعلى في الفصاحة والشجاعة والتجرد ، وضرب لنا الثالث مثلا اعلى في التضحية بين يدي الحق ، فليس للتاريخ ان يطمس اسماء هؤلاء ، وليس في طوق الانسان وهو انسان ان ينشد مثلا اعلى في الحياة الا ويجعل واحداً من هؤلاء نصب عينيه اذ يقول او يعمل .

واما النوع الثاني مما يثبت في النفس عن طريق السخف والانحـدار ، فكثير من هؤلاء الرجال الذين يتردد ذكرهم على الالسن في معرض الظلم

والخسة والوحشية ، والجبن والغدر والخيانة ، والبخل والفسق والفهاهة .
ولعل عدم التصريح في تعداد الاسماء التي تخلد في النفوس بهذه الصفات خير للكاتب خشية ان يقع فيما ينسب معه الى العصبية والتحيز ، اذ نرى فيمن يقدسه كثير من الناس من ينتظم في سلك هـذا النوع من الصفات ، فقد وجدنا حتى الشيطان له عبدة منا ونحن نجمع على ان هذه الكلمة وعاء لكل صفة تشير الى شر .

لقد كنت كبيراً في نفسي ايها السيد الجليل وانت تفتح مضيفك عند كل وجبة ، ثم لا تدع ضيفاً نبيهاً او خاملا الا وتشركه معك وعلى مائدة واحدة ، وكنت كبيراً في عيني اذ أراك توزع الصدقات صباح مساء على العفاة من بني الانسان ، ثم رأيتك اكبر منك في هذا كله وانت تجمع بين طرفي الحياة قديمها الحسن وجديدها الاحسن .

رأيتك تعقد صباح كل خميس مجلساً خاصاً يجتمع فيه عامة قومك الادنون لذكرى جدك الحسين بن علي شهيد الحق والعدالة ، فيخطب الخطيب ، ويؤبن المعزي ، ويبكي السامع ، ويعتبر المؤبن ، ويتأسى الحزين ، وكل اولئك يرجون من وراء عملهم الزلفى الى الله والمثوبة عنده الا انت فقد شئت ان تفهم العالم بمجالسك هذه كيف يخلد الحق ويزهق الباطل .

اردت ان تري الناس عظمة الله المتجلية في نفوس الاحرار كيف تبعث هذه النفوس في كل زمن منائر تقبس منها الافكار ، وتستنير بها العقول ، وتستوحي منها الافئدة ما يعلمنا ان العظمة خلود والخلود حياة والحياة اخلاص والاخلاص تضحية في سبيل الحق ، فما لم يضح الانسان امام الحق

بدمه وماله لا يحمل عهد الاخلاص ، وما لم يخلص في عمله لا ير وجهاً للحياة ، وما لم يعرف الحياة لا يدرك سر الخلود .

ثم رأيتك بعد هذا صريحاً الى ابعد حد الصراحة اذ كنت تنتقد اقرب الناس اليك من ممثلي الشعب أن لم تسمعه في المجلس يدلي برأي اصلاحي ، او ينشد حقاً هو في ذمة الاهمال ولا يلقي تبعته على الادارة المنبثقة عن ارادة الشعب ، واذ كنت تتحدث اليَّ ، مسترسلا دونما قصد ، عن درسك الموسيقى وانت في زي ومن عشيرة وفي قوم هم ابعد الناس عن هذا الفن واحرص الناس على تحريمه والغائه من قاموس الحياة .

انت ، هذا السيد الجليل المعتم الملتحي السيد الهاشمي الصحيح النسب المتحدر من اسرة عريقة في العلم والتقوى والمجد والصلاح ، وكل ما فيك من زي وتقليد وعادة يركسك الى الوراء الف عام ، لا تجيز الموسيقى فحسب ولكنك تراها ضرورية للحياة ثم تلتمسها لنفسك بجرأة ما فوقها جرأة وصراحة ما بعدها صراحة ، ثم نسمع هؤلاء الشبان الخنع الهائمين بالتخنث والتنطع ، يتشدقون بنسبة الجمود الى هذا الصنف وانهم هم وحدهم يدركون سر الحياة في عالم الخلود ؟؟

لقد وصلت بفكرك المجدد تحت زيك الرجعي كما يزعمون ، الى ان الدين لا يحجر على الانسان غذاء روحه ، ولكن الى حد طبعاً فان الزيادة في الغذاء تفضي بالمغذو الى التخمة المؤدية بذيها الى الهلاك ، الا ترى انك تجيز لنفسك الموسيقى فانما تنشد غذاءها المعتدل لتتذوق جمال الفن في نفسك بينما هؤلاء « المجدودون » بالتجدد يجيزون لانفسهم الموسيقى ليتخموا ارواحهم

بها فيضيفوا اليها السكر والفسق وسائر انواع الملذات المزرية بانسانيتهم ثم يسخرون من الدين الذي يرمي بتحريمهم الى المحافظة على هذه الانسانية ؟؟

انت يا اخي مجدد بروحك ، وقد برهنت على تجديدك اذ قلت لك : ألا تخرج بنا الى الشاطىء لنرى وجه الله ؟؟ فقلت : انا لا نرى وجهاً لله الا في هذه الحجرة، ثم انكفأت تنحي باللوم والتقريع على حكومة اللواء أن لم تعن بالشاطىء فتغرس على جانبيه الحدائق وتعمر المنتزهات ثم تعقب على ذلك بقولك : أ آخذك الى ضفاف الفرات لاريك القذرات المكدسة عليها واسفه نفسي وقومي امامك؟؟ انا لا نفقه الحياة حكومة ولا شعباً ، فالشعب يرى ان مستودع قذراته الشاطىء حيث يشرب والبلديات على شكل مصدرها لا ترى القبيح الا حسناً »

« انا لنعلم ان الاصلاح موكول الى الاخلاص واين الاخلاص في العالم حتى نتوخاه عندنا ونحن في مؤخرة العالم ؟ قم وانظر الى جمال الفرات وجمال النخيل على ضفافه ثم تحدث اليّ عن شاطئيه الجميلين ماذا يحملان للحي الحساس الذي يفر من عناء العمل ليرفه عن نفسه بمنظر جميل وعطر ذكي حتى اذا وصل الى شاطىء الحياة رأى ما اجل سمعك ان يعيه وعينك ان تراه ، أفتحسب انا عمرنا الدار الموبوءة الى دار يصح فيها المرضى وتتحقق فيها الاحلام ؟؟»

وهكذا كنت تشير لي، ونحن نجوز غيطان الهندية الى كربلاء ، تشير لي الى وعورة الطريق ثم تقول بنفس اللهجة : أفلا يؤلم العاقل ان لا يرى طريقاً

معبدة تصل كربلاء بالنجف والكوفة والهندية والحلة وهو من اغنى الوية العراق واغزرها ثروة تتدفق على خزينة الدولة ؟؟ »

دعنا يا أخي من هذا كله فقد ملأنا ادمغتنا بانتقاد المجتمع حكومة وشعبا في العراق وسوريا ومصر ايضاً ، على انا نجد البلاد تتمشى الى الرقي مهما كان السير بطيئاً ولا بد من يوم ننتهي فيه الى الحد الذي نشرف معه على مجدنا الغابر ، فان بغداد ودمشق والقاهرة وبيروت والقدس ، كل ذلك يبشرنا بان العالم العربي نفض عن وجهه تراب الزمن العاثر ومسح عينيه مستيقظاً من نومه العميق .

أما ما احب ان اسجله لك قبل ختام رسالتي اليك فهو شعورك البالغ في الاحساس اذ تقول : لقد حال دون اتمامي دروس الموسيقى حرصي على شعور زميلتي من ان يهينها المعلم على مسمع مني اذ كانت بطيئة الفهم في تلقي دروسها »

ان هذا الاحساس يعطينا مثلا اعلى للرجل في تهذيب المرأة ، أفليست تضحية كبرى هذه التي كانت منك يا أبا هاشم ؟؟ ، ان إقدامك بهذه الجرأة على درس الموسيقى تدلنا على مبلغ حاجتك لها وتأثرك بها ، ثم ان تضحيتك بهذا الدرس العزيز عليك يدلنا على مبلغ رأفتك بالمرأة وعطفك الانساني عليها ، ولقد كنت احسبني اعطف الناس على حواء وأبلغهم تقديراً لها اذ أخرجت ديواناً من الشعر بكامله اعزز به منزلتها وارفع من ضعتها ، فاذا بي ارد العراق ثم ازور الحلة واسمع منك هذه النادرة فيزهد في عيني ديوان حواء وهو عصارة فكر اجهده الفن في اخراجه طيلة سنوات عشر .

لقد كنت في هذا انساناً كبيراً يا اخي وليس بدعاً منك ان تعطف على المرأة وتحفظ كيانها وتصون كرامتها فان جدك من قبلك رفعها من الحضيض الى القمة وهو الى ذلك يحتفظ بمكانة الرجل منها ، وفي هذا برهان جلي على انك تحدرت من صلب العربي الهاشمي من صميم قريش فحيا الله مجدك وجدك .

الشلبي

السيد عبد الهادي الشلبي من اعيان الامة العراقية المحافظين على الثقافة العربية والاخلاق الاسلامية وهو بغدادي يقطن الكاظمية ويكاد ينهد الى العقد السادس من سني حياته .

عزيزي السيد شلبي !

قليلا ما تكون النظرة الاولى التي يستلهم بها الناظر فنه مما يرى ، مطبقة على الهدف ، ولهذا قيل : « النظرة الاولى حمقا . » اما نظرتي اياك فلم تكن خاطئة مع كونها خاطفة ، سريعة ، ولقد عززتها بكثير من شهادات اخوانك فيك فكنت ذاك الذي اكبرت وصدق فيك الخَبَرَ الخُبر .

انها الجلسة قليلة المؤنة سريعة النظرات موجزة الحديث ، ولقد كان الفضل فيها للسيد جعفر حمندي اذ كان السبب في اجتماعنا بين يدي مكتبه . ولدى ان قدمني اليك وقدمك الي ذكرت اني رأيتك يوماً ما في قصر ابيك قبل ان يشتد عصبي وقبل ان احبس القلم بين اناملي ، ولم تكن انت اذ ذاك مرهف العصب الى الحد الذي ارى بك واسمع عنك .

اما الآن ، وقد رأيتك ثم سمعت عنك وكلانا رازح تحت عب. الحياة ، في طوقك انت ان تعمل وفي طوقي انا ان اقول ، واذا شعر الانسان بعروق الحياة تنبض في جسمه فقد احس بعبئها واذا احس بهذا العب. كان خليقاً بان يستقبل آلام الحياة ومع هذه الآلام يتحول احساسه الى عصب مرهف يكتنه

به الوجود ويوقع عليه لحن الفن الخالد .

من الناس ايها السيد في الناس ، من يشعر بالحياة في حدود نفسه ، فاذا جاع لا يحس بغير الحاجة الى ان يأكل ، واذا ظمىء شعر بالحاجة الى الماء ليطفىء به غلته ، وهكذا اذا برح به الحر او ارعده القر فانما يشعر بحاجته الى الظل والدفء ، ان هذا النوع من الناس لا يصدق عليه الا انه صنف من الحيوان الراقي وان حياته مجاز يعبره من حيوانيته الاخيرة الى انسانيته الاولى .

هذا النوع من الناس انما يحتاج اليه الحيوان بين يدي رقيه وتطوره ، اذ هو اشرف انواعه وعليه يعول في خروجه من حضيض حيوانيته الى الشرفة التي يطل منها على الانسانية في دور تكوينها الاول ، لان الطبقة الدنيا من الحيوان هو ما اذا شعر بحاجات النفس هلك دون ان يستطيع التفكير في سدها فعلى مسخره ان يسد خلته وعليه هو ان يتحرك تحت تأثير ارادة ذلك المسخر ، فالانسان الذي اشرت اليه هو اسمى من هذا النوع لانه لا يعتمد في شعوره بالنقص الحيواني على مسخره وانما هو يتكلفه من تلقاء نفسه .

واما الانسان فيحتاج الى نوع يصله بالعالم الذي هو اسمى منه لتكون حياة هذا النوع مجازاً يعبر الانسان عليه من انسانيته الاخيرة الى ملائكيته الاولى ، وهذا النوع يتحقق في الانسان الذي لا يقف تفكيره اذ يجوع او يظمأ عند الشعور بحاجته الى ملء جوفه وتبريد غلته ، وانما يتجاوز هذا كله الى الاحساس بجوع وظمأ غيره من ابناء جلدته ثم ينتهي به هذا التفكير الى البحث عن علة الظمأ والجوع والى السر في تسلسل هذه العلل التي تقوم بها الحياة صاعدة ومنحدرة ليتسنى لها الخلود النوعي في الوجود .

فالانسانية في حاجة الى هذا النوع من ابنائها ليتمشى بها على سنن الطبيعة في التطور ويتمشى الكون في أجرامه ازلياً ، فازليته ناشئة عن تطور اجرامه وركود هذه الاجرام على الشكل الذي يركس انواعها الى العوالم الدنيا ، انما هو انذار بالتلاشي الذي يشعر بالفناء .

هكذا ينظر الشاعر الاول في الامة الى رجالها فيدوس على النوع الذي يركسها بتطوره ، الى النوع الذي يفتح السبيل امامها لتخرج من عالمها الادنى بفضله الى عالم اسمى تشرف منه على حيـاة ترهف العصب وتصقل الروح ، يدوس الشاعر على ذاك الى هذا ليأخذ بضبعه ويرفعه عالياً في قومه ثم يدون سيرته في سجل العباقرة ، ويدعو الامة الى الاقتداء به والسير على نهجه .

أما انت يا اخي فمن هـذا النوع الذي دق احساسه ، وصفت نفسه ، وخلصت روحه من شوائب الحياة ، فما ينظر الا الى قومه ولا يشعر الا بآلامهم ثم لا يعتز الا بالقوة التي تعصمهم من الذل والهضم وتحول بينهم وبين الفقر المدقع والجهل المطبق ، في حديثك وانت تقول ، وعلى يدك وانت تفعل ، وبين عينيك وانت تفكر ، برهان جلي عـلى انك انسان ومن النوع الذي تنشط الانسانية الاخيرة فيه الى الملكوت الاول .

ايها السيد النبيل ! !

كم كنت مغتبطاً وانا استمع الى حديثك واتبين صدقك واخلاصك من عينيك وهما تشعان روحك إبراهاً عما تضمر لقومك من خير ، فما اشد احتياج الناس الى فئة تنهج نهجك وتخلص اخلاصك ، على ان الفئة الساحقة في المجتمع هم على الشاكلة التي اشرت اليها اول ما قلت ، من اجل ذلك خامر نفسي

الاغتباط اذ لقيتك ، وهزتني اريحيتك ، وملأ نفسي شخصك . فان النادر النادر من كل شيء يملأ نفس الظافر به غبطة في الحياة ، هذا اذا عثر به وهو يفتش عنه فكيف به وقد عثر عليه دونما قصد ؟؟ واجتماعي بك كان عرضاً لم يعمل كلانا له وكان من نتائجه ما احبر الك وانا في هذه المنظرة المشرفة على البحر من سماء لبنان .

إي ابا الهادي !

لقد احببت التحدث اليك واحببت ان اتبسط اليك في حديثي لاني رأيتك صادق السمع اذ تصغى ، وواعي القلب لما تفهم ، لا تصغي مجاملا ، ولا تستنطق مرائياً ، حتى اذا رأيت الاصغاء وهناً والتفهم عبثاً ، عمدت الى القول ورأيت اذ ذاك في السكوت نقصاً وفي القول كمالا ، فليس السكوت دائماً من ذهب ، والسمع دائماً اجدى من القول .

تتحدث الي عما رأيت وسمعت في رحلتك الى العالم الغربي ، وتبرهن عن تأثرك البالغ بحرارة حديثك واعتمادك التأثير بكل جوارحك على من تتحدث اليه ، ومن الخير أن كان سامعك شريكاً لك في رؤية العالم الجديد ، وتفهم الحياة فيه ، وشدة التأثر بعجائب العقل الحديث في حضارته التي تسمو كثيراً على لوحة المصور الحساسة وهو يحاول تصويرها للسامع .

ورأيتك تبني غيرتك على بلادك ، ورفقك بقومك ، واخلاصك بين يدي عملك ، على ما شاهدت في رحلتك وتحسست من وراء سمعك وبصرك الجديدين في مدن الغرب وبين نواطح السحاب التي هي اولى عجائب الدنيا ، على اني لا أرى رحلتك هذه هي السبب الاول في تأثرك بالحياة ودعوتك الى

التأنق فيها والتعالي بها ، ولو كانت رحلة كل عربي تفعل في نفسه فعل رحلتك في نفسك لكنا منذ عشرات السنين في عالم غير هذا العالم .

هذه ابناؤنا ترد الغرب زرافات في سبيل العلم او التجارة او الصناعة او السياحة ولا نرى الغالب منهم من يتحسس ثم ينقل احساسه لقومه ويبني تأثره على مشاهداته ، والاغرب من انهم لا يتحسسون ان تأثرهم يأتي معكوساً اي انهم لفرط ما ينغمسون في حياة الغرب يعودون وملء نفوسهم المقت لامتهم وبلادهم اذ كانت الحياة متقهقرة فيها عن حياة البلاد التي حجوا اليها ، حتى كأنهم لم يردوا الغرب لينقلوا الحياة منها الى الشرق ، وكأنهم لم يخلقوا شرقيين الا ليموتوا غربيين .

قد يحسب الرائي ان الغرب انما نهض واعتز بفضل العلم وحده ، ولكنه يكون مخطئاً اذ يقف عند هذا الحسبان فان من يتغلغل في الشعوب الغربية ويتحرى الاخلاق والسجايا التي تنبت في مجاهلهم وبين ادغالهم ، يدرك ان السبب في رقيهم علينا يعود الى الاخلاق اكثر مما يعود الى العلوم ، كما انا لم نسدهم ايام ازدهار العروبة بالعلم المجرد الا من وراء الاخلاق التي شرعها لنا الاسلام فلم تتقوض دعامة من بناء تلك السيادة الا بأفول كوكب من تلك الاخلاق .

تقول لي ، وانت مشبع الروح من مدنية القوم ، ما اسرع ما يؤخذ الزائر تلك البلاد بما تشتمل عليه من روائع الحضارة حتى كأنه لم يسمع بها ولم يتحدث اليه احد عنها ، فما اعظم العلم واقدس آثاره »

فتعال اتحدث اليك ابا الهادي عن اسباب تلك الحضارة المطوية في نفوس

القوم ونحن نحسبها ظاهرة من العلوم الشاخصة الينا على وجوههم وبين ايديهم ، ولعلها ظاهرة على وجوه ابنائنا الذين يردون الغرب ايحملوا الينا حضارته فما يعودون الا غربيين ثم لا نرى على وجوههم وبين ايديهم الا تقهقر الشرق والخطاطه .

هؤلاء ، اي ابناؤنا ، يحسبون ان الحضارة الغربية وليدة العلوم فقط فيتجردون للعلم ولم يحسبوا حساب الاخلاق التي يظهر بها العلم فيبني حضارته في الامة ، فهم يحملون الينا شكل المصنع مثلاً بآلاته وحركاته وكيفية تركيبه وتسييره ، فلا يحتاجون مع ذلك الا ان يطأوا ارضهم فيؤسسوا هذا المصنع ويعمل عمله فتقوم عليه حضارتهم ، واما المادة التي يتكون منها المصنع والحياة التي يقوم عليها ويتقوم بها ، فليست في حسبانه ، فالحضارة ، قبل ان تكون علماً يبدع المصنع ، يجب ان تكون صدقاً ، ووطنية ، واخلاصاً يتجلى في المادة التي يتكون منها المصنع ، والمنهج الذي يسير على المصنع ، والغاية التي يستهدفها المصنع ، وفي ذلك كله مظهر الاخلاق في الامة .

أتعلم يا اخي ان في اميركا مدارس وكنائس ومصحات ومآوى عجزة تتعهدها مؤسسات يقوم عليها جماعة الشعب وتوجهها الحكومات ؟؟ ففي مال كل تاجر او صانع او زارع او موظف حقوق مفروضة لهذه المؤسسات اذ تكاد تخفق ان حاولت العثور على فرد ما لم ينتسب الى واحدة من هذه المؤسسات ، واذا تحريت مال كل عامل تجده ينفق عشرين في المائة من غنائمه على هذه المؤسسات وذلك ما يقابل الخمس عندنا ايام كنا في مثل عزهم وكانوا في مثل ذلنا .

وحتى الاطفال يوزع آباؤهم عليهم كل صباح خرجهم اليومي من عشرة الى عشرين فلساً « سنت » فيأخذ الاب بيد الابن الى صندوق التوفير ويضع فيه واحداً من عشرة يدخره رأساً لماله العتيد يوم يصبح رجلا ، ثم يقوده الى صندوق البر والاحسان فيضع فيه كذلك واحداً من عشرة يحتسبه عند الله في سبيل توفيقه بين يدي انسانيته ، هذه الصناديق ، وهذه التربية ، وهذا العطف الانساني ، الى ما يُعنى به الادباء والحكماء من دعوتهم الشعب الى التضامن والتكاتف والاخلاص في سبيل حياة الامة وتعزيز القوة فيها ، هذا كله هو السبب الاول في سمو الحضارة وعظمة المدنية التي تقوم بها .

اما نحن فلا نريد ان نفهم أن غير العلم والمال شيء يصلنا بالحياة ولعل الحياة بعيدة عن هذين وهي فقيرة الى الاخلاق ، وعبثاً نحاول اقناع هذه الطغمة من رجالنا الذين تذوقوا حلاوة المدنية المتخومة بالفسق والدعارة والحرية الشخصية التي تبرأ من كل قيد في وجه الدين والاخلاق ، عبثاً نحاول اقناعهم بالمنطق ما دام العقل عندهم مزويا وراء الشهوات ، والعاطفة هي الميزان الذي يعرضون فيه اعمالهم .

واذا عدت بهم الى عهد العروبة الاول ، ايام كان العربي يتلفع طمره ، ويقتات على تمرة ، ثم سألتهم باذا قهر واعتز حتى اصبح ارقى الشعوب علماً ومالا يدين له ويخشاه ؟ راغوا عنك وغمغموا وختم الجهل على افواههم فلا يحيرون جواباً ولا يشيرون الى حق يتوهمونه او باطل يموهونه ، ان هؤلاء هم الداء العضال في الامة ولسنا نرى منبتاً لهذا الداء في النشء غير المدرسة الاولى التي تعنى بتثقيفه وتنبيته ، ان الداء في المعلم الاول الذي يحمل هذه السموم

من المعاهد الاجنبية التي انشئت لمحو كل اثر تركه محمد في نفوس رجاله .

هؤلاء الخونة الدساسون من معلمي المدارس الذين نتخيرهم لنشر العلوم في معاهدنا ونضع بين ايديهم فلذ اكبادنا ونقف على اهوائهم عقول ناشئتنا ، فيتصرفون بهم تصرف الراعي بالاغنام ، ويكيفونهم بما تكيفوا به ، ويكونون منهم آخر الامر جنداً مؤهلا ليحاربوا به الحق وينصروا الباطل .

هذا الشاعر فتى الجبل الذي المعت اليه قبل الان ، قطع اعواماً في سلك التعليم العراقي ينقل لي ان احد اللبنانيين الذين استخدموا معه في التربية لم يذق طعم النوم ليلة شاع نبأ انهيار باريس ثم لم يكتم هذا القلق الذي ساوره حتى كشف للشاعر عن طويته واراد ان يشاركه الالم والحزن المرير على انهيار ام المدن العظمى وناشرة « الحرية في العالم » . فماذا نقول لحكومة العراق وبماذا نخاطب رجالها المسئولين في اختيار الاساتذة لتنشىء ابنائهم واعدادهم للمستقبل ؟

هل فكرت حكومة العراق قبل كل شيء في تأليف لجنة من خيرة رجالها الغيُر على العروبة يعهد اليها باختيار المعلمين من الاقطار العربية ، وتقع عليها التبعة في كل ما يسيء الى العراق قومية وثقافة ؟؟ ومن هم هؤلاء الذين يتخيرون المعلمين من سورية او لبنان او مصر ؟؟ هم اناس لا يعولون في تخير الاساتذة على غير الشهادة التي يحملها المعلم دون ان يحققوا في السبب الذي من اجله حملوا هذه الاوراق ، ودون ان يتلمسوا الهدف الاول الذي نلجأ اليه في تثقيف ابنائنا الا وهو القومية العربية التي من اجلها نتعلم وعلى سننها ننشد الحياة .

كيف ينشأ العربي مشبع الروح بقوميته وهو يتثقف على يد عدو

العرب ؟ ومن يبكي لانهيار باريس ويسهر ليله جزعاً عليها كيف يحمل رسالة الثقافة الحرة الى ابناء قومه ؟؟ والمفروض في هذه الرسالة اخلاص الرسول في ادائها قبل اخلاصه في شرح متونها .

من هنا الداء ايها القوم ، وهذا هو البلاء الذي يحيق بنا ، اذ نعمد الى النشء الذي هو عنصر القومية الاول في مستقبل الامة ، فنكل امر تثقيفه الى اناس عبيد لا يعرفون كرامة الامة ولا تذوقوا طعم الحرية ، اولئك هم خريجوا المعاهد التي قامت عـلى اساس الاستعمار والاستعباد . فليتدبر اولو الامر امرهم ، وليتنبه الشعب العراقي المؤهل لقيادة العالم العربي الى ما يدسه الاستعمار من سموم في معاهدنا الاولى التي يصعد عليها الناشيء مرقاة الحيـاة الى العمل .

وبعد فليس لي الا ان اغتبط بصداقتك ايهـا الغيور المخلص ، والا ان اشكر الوقت الذي جمعني اليك فألهمني ، على قصره ، رسالة كنت فيهـا خفيف الكاهل بين يدي واجبي في الحياة ، ولعلي اعود اليك فاستلهم منك شيئاً جديداً ادعم به رأيي واقرر اخلاصي .

محمد ضياء الدين

ابو بدري

زعيم كربلاء واول رجل عامل للحق فيها ، ولبيته الفضل الاول في جعل هذه المدينة طليعة المدن العراقية حفظاً للجار واكراماً للنزيل ، وهو في العقد السادس من حياته .

« يجب ان نهتم لاصلاح العلماء في سبيل اصلاحنا وذلك بتأسيس جمعية تحمي علماءنا الاعلام من هذه الطغمة التي تسيطر عليهم فتنتزع الجرأة من قلوبهم وتحول دون تجديدهم في الاصلاح »

ابو بدري

من يصدقني اذا قلت : ان العالم العربي يفتقر الى العراق منذ ابيض بالامة العربية وجه العالم ، وان العراق مدينة بهذا كلــه الى كربلاء وان كربلاء تفتقر اليوم الى رجل مثل السيد محمد حسن ضياء الدين ، وهو انت ايها العبد الصالح يا ثمرة الدوحة الهاشمية الزكية عطراً ولوناً ومذاقاً .

من يصدقني اذا قلت ذلك ؟ أما ان العالم العربي ولعل العالم بأسره مدين للعراق فذلك ما لا احب الخوض فيه لانه خوض في البديهيات ، فالحضارة التي انبثقت عن العراق ليست بخافية عـلى عامة الناس فكيف بقراء وحي الرافدين وهم خلاصة الخاصة .

واما ان العراق مدين لكربلاء فيشهـد لي بذلك ان دم الحسين كان السبب في هلاك الامويين الخارجـين على العروبة بخروجهم على الاسلام وانقراض دولتهم العريقة في الشرك والكفر والفسوق ، ثم كان هذا الدم وسيلة لظهور الدولة العباسية وازدهار الحضارة العربية في عهدها ، والامـة العربية انما تفاخر من ادوارها بهذا الدور وقـد كان العراق مطلع فجره ومنبت عزه .

والعراق مدين لكربلاء اليوم في شيء غير هذا ، الا يرى القارىء معي ان روح الحسين ضجيع كربلاء يهيمن اليوم على ستين مليونا من الشيعة في مختلف اقطار الارض يهرعون باجسادهم ويهفون بارواحهم كلما خفقت بين جوانحهم قلوب تحمل دين جده وحب اهل بيته ؟ كم ينال العراق من هذه الملايين عربا وعجما اذ يهرعون الى كربلاء باجسادهم لزيارة قبر الحسين ويخفون بارواحهم حنيناً الى ذكراه ، كم ينال العراق من روح يعتز بها في محاربة الالحاد والكفر ومن مادة يطرد بها الجهل والفقر ؟

وأما أن كربلاء مدينة اليك يا ابا بدري فهذا ما احببت ان أُعنى به في هذه الرسالة التي لو حمل الجماد الحي ، لحملت اليك ، على بعد الشقة ، قلبـاً يخفق لك ، وعينا تتلمس شخصك في الآفاق ، وفماً لا يزال منذ فارقك يهتف بذكرك ويحن الى قربك .

ان كربلاء بكل ما فيها من قصور وحدائق هي قصرك فقط وحديقتك فحسب ، وان كربلاء بكل ما فيها مـن عربي وعجمي هي انت فقط ، فمن يصدقني بعد هذا انك انت بروحك وبدنك كربلاء الحية الخالدة على الدهر ، وحديقتك ، وفيها قصرك ، هما كل ما في حدائق وقصور كربلاء من جمال وجلال ؟

اي ابا بدري : ليس في كربلاء ، وهي تعج بالعلماء والاعيان ، مـن يشعر شعورك ويحس احساسك تجاه الراقد في كربلاء وعينـه ترعى العالم باسره ، انت وحدك الذي شعر بواجب كربلاء تجاه مؤلف « ابو الشهداء » وانت وحدك شعرت بواجبك في سبيل تعزيز الادب والعلوم فيما قابلت به

ادب العقاد واخلاصه من مادتك وادبك واخلاصك .

ان هديتك للاستاذ الكبير العقاد مكافأة له على « ابي الشهداء » عرفت العالم العربي اجمع ان الحسين لايزال يتمثل بانساله وانجاله بعد الف عام ونيف مرت على خلوصه من عالم الفناء الى عالم البقاء ، ان الحسين لايزال يسمع ويرى ويزن ويقيس فان لا يكن بجسده فهو موجود بروحه التي تخفق بين جنبيك ، وباخلاقه التي تفيض من عينيك .

حسب العراق ان تكون كربلاء فيها لتفخر على العالم بان فيها ريحانة رسول الله وشهيد الحق والعدالة الحسين بن علي ، وحسب كربلاء ان تهون تربتها على ستين مليونا من اقصى المغرب الى اقصى المشرق تعفر بها الجباه في السجود بين يدي الله وتتبارى بها الايدي في التماس الشفاعة من رسول الله ، وحسب الحسين الراقد في كربلاء ان تكون انت شبله وحامي عرينه والحفيظ على مجده من بعده .

حقاً لقد جلست اليك فذكرت بشخصك شخص جدك ، ودخلت بيتك فكنت كاني ادخل بيتاً يعبق في سمائه ريح آل محمد ، ثم تذوقت شرابك وطعامك في حديقتك فكنت كاني بين يدي عترة هاشم اتذوق طعامهم وشرابهم ، وانهل من معين اخلاقهم واسرح معهم في عالم تشعر به روحي ولا تحسه جوارحي .

ثم من يصدقني ايضاً ، ان كربلاء هذه وفيها مئات القصور والحدائق والبساتين ، تشتمل على عشرات الالاف من شتى اصناف الخلق عرباً وعجماً ، وتتوسطها بضع شوارع واسواق ، لم يأسر عيني فيها بيت ولا حديقة ولا

شارع اذ هي في كل ذلك احط مدن العراق حضارة عارية من كل ما يشير الى الحياة القائمة على الفن .

من يصدقني ان هذه المدينة التي لا يلبث فيهـا المدني بضع ساعات حتى يود لو يخرج من اثوابه بما يشود سماءها وارضها من تقهقر في المدنية وتأخر في الحياة ، حتى اذا دخلت حديقتك يا ابا بدري ، وجلست حيـال فسقيتك المطوية على الوان الكهرباء في قلب الماء ، ويحدق بها من جميع جهاتها سماء من الزهر تسطع نجومها المختلفة الالوان في اروع شكل هندسي يكاد يرجع بي تصوره الى حدائق لندن وباريس ؟؟

ثم تقودني الى القصر المشرف على الحديقة فاحسب اني داخل الى احـد ابهاء نيويرك مستعرضاً في سمائه المصابيح الفنية الحديثة باجمل طراز وفي ارضه من الطنافس ما يسمو كثيراً على ابهاء الملوك روعة وجلالا ، اما المقاعد وما يتصل بها ثم ما يتخللها ويشرف عليها من سجف واغشية ، وما تزدان بـه الجدران والرفارف من صور وتماثيل ، أما هذا فلا استطيع ان احده بوصف حتى يصبح السامع كأنه يرى بعيني ويشعر بقلبي .

انك في قصرك هذا وحديقتك تلك ، على ما فيك من وداعة وبعـد عن المدنية وقرب من البداوة ، انك اسمى من عرفتهم ذوقاً في استحداث ما تنتجه المدنية الحديثة ، واثقب رأياً في اختيار الاشكال الهندسيـة التي قامت عليها حديقتك وابهاؤك ، ولقد دخلت عدة منازل حديثة في كربلاء يقطنها رجال اعرقوا في المدنية الى حد الطب والمحاماة والهندسة ، فما خرجوا عن كونهم من اهالي كربلاء ، واما انت فقد سموت كثيراً عن ان تكون

واحداً منهم بذوقك وفنك ، فما كنت الا اثقف رجل عمد بطبعه الى احدث مدنية في قلب اميركا فصغرها ثم نقلها الى كربلاء وأحاطها بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » .

اما الخلق الهاشمي الذي ملأت به الاسماع والابصار ممن رآك وسمع بك واما المكارم التي تعدت بايديك حدود كربلاء الى العراق فايران فالهند فمصر فسوريا فسائر بلاد العرب ، تعدت هذه المكارم بلادك الى كل بلد ، أما هذه فلم اتحدث عنها وحدي ولا سجلها قلمي وحده ، ولكن كثيراً من الالسن والاقلام تبارت في نقلها ورقها في البلاد التي يحج اهلها الى مشهد ابي الشهداء ثم الى قصرك وحديقتك

وليس عجيباً ان يجمع الله الامة في رجل واحد ، فقد جمعها في ابيك من قبلك ، ثم جمعها في جدك من قبل ابيك ، ذرية بعضها من بعض تتوارث المكارم كابرا عن كابر وليس في هذا شيء من العجب ، ولكن العجب الذي احارُ فيه ، ويكاد الذهول يملك علي ان اقول او اكتب ، هو السر الذي يبعث فيك الذوق في الفن المسبغ على حياتك مادة وادباً ، والذي يحملك على هذه المكارم حتى لم تدع سبيلا يسلكها الى الخلود مثل سبيلك .

انك لم تدرس العلوم الحديثة كما يدرسها كثير ممن يواطنونك في العراق عامة وكربلاء خاصة ، فلماذا ان لم تكن اسباهم نظرا في تخير اسباب الرفاه المدني ، نراك في الطليعة منهم ، ؟؟ واراك لاتطمح الى الزعامة الدينية ولا الزعامة السياسية فنستطيع تفسير ما تتكبده من مشاق في بسط انسانيتك على ايدي الناس ووجوههم من سخاء يد وكرم اخلاق ، فمن اين ينبعث

هذا وذاك وقد رأينا الذوق الحديث في الناس تبعثه المدنية الحاضرة ورأينا المكارم يبعثها في النفوس حب الجاه او المال .

هذا هو السر الذي اعجب له في نفسك ولا استطيع تفسيره بغير السر الذي عجزت عن تفسيره في نفس ابن عمك حجة الاسلام مولانا ابي الحسن الاصفهاني ، اذ رأيت فيه من العظمة التي تتجاوزه الى العالم باسره ثم لم اتبين في نفسه السر الذي تنبثق عنه هذه العظمة ، ولا فقهت السبب الذي من اجله يخضع له ستون مليوناً من العالم .

على اني ارجع فاقول: ان السر هو دعوانا انا نشارك الله في تعليل الاشياء والوقوف على اسبابها ومسبباتها ، فكان على الله ان يسفهنا في دعوانا هذه وان يثبت لنا صحة قوله عز من قائل : « والله يجعل رسالته حيث يشاء » فقد تلمس هذه الرسالة في اعلم الناس ، واحذقهم ، وادهاهم واقواهم واغناهم ، فاذا بنا نعلل العظمة بالعلم والحذق والدهاء والقوة والغنى ، ثم نلمسها تارة اخرى في ابسط الناس واضعفهم وافقرهم وابعدهم عن كل ما نعلل به تلك العظمة ، فاذا بنا نقف حيارى امام سر الله في خلقه ونقر بالعجز ونعترف للقضاء والقدر بما يسمو بهما الى حد الاشراف على الكون ، وينحدر بنا الى حد العجز عن ادراك ابسط الاشياء .

وليس فيما سمعته منك ادل على انك تفرض احترامك على جليسك من حيث يشعر هو ولا تشعر انت ، ليس ادل على ذلك من قولك : يجب علينا ان نهتم باصلاح العلماء الاعلام ليتسنى لهم اصلاحنا ، وذلك لا يكون الا بتأسيس جمعية منا نحمي بها اولئك من شر الطغمة المسيطرة عليهم ، يحولون

بينهم وبين ان يتصرفوا في الحقوق المشروعة كما ينبغي ، خشية على النعيم الذي يرحون فيه وهم عبيد البطالة والقصف في منازلهم الحافلة بشتى انواع المتع في الحياة الدنيا »

انك بهذا ترتفع كثيراً في نظري يا ابا بدري ، وبهذا وحده تستلزم إكبار المفكرين فهل تسعى في اتمام حجتك هذه لتكون الرجل الكامل ؟ هل تسعى في تأليف هذه الجمعية من اقوى الرجال في الدين والاخلاق من امثالك فتجتمعوا الى الاعلام من علمائنا الروحيين وتطلعوهم على نواياكم وتحموهم من شر اولئك القابضين على زمام امورهم الدينية في سبيل دنياهم ؟

انك ان عملت لهذا وافرغت جهدك في انجازه وحملت الملأ من العرب والعجم الذين يحترمون اخلاصك ووفاءك لدينك وامتك ، على عضدك ومظاهرتك، انك ان فعلت هذا كنت اكبر شخص عرفته في شيعة اهل البيت منذ انحدر بهم الزمن حتى ساعتهم هذه .

حسن جواد

ابو باسم

السيد حسن جواد قائمقام النجف ، خريج الجامعة الاميركية في بيروت وهو بغدادي الاصل والمنشأ ، اديب وشاعر ، ولعله في العقد الرابع من سني حياته.

« الانسان ينشد الكمال حتى اذا انتهى الى المكانـة التي يظنها اياه رآه بعيدا عنها »

حسن جواد

عزيزي ابا باسم !

تتحدث الي والسيارة تنهب الحصباء بنا الى الكوفة حيث القصور الغاوية بين الاشجار الوارفة على ضفاف الفرات ، وحيث يجمعنا قصر العزيز ابي شهاب .

تتحدث الي يا ابا باسم ، وعيناك ملؤهما بريق خاطف ينمان على اريحية عزبية ملأ نفسك بها ادب غض وفن طريف ، حيث تقول : أتصدقني اني انظم الشعر دون ان احفظ قصيدة واحدة لشاعر عربي قديم او حديث ؟ ، او تصدقني اني انظم الشعر في المحافل والضوضاء يملك علي ان اسمع صوتي أو اخلو الى نفسي ؟

قلت اجل ليس للشعر ان يكون مكسوبا الا ان يخرج عن الشعر الى النظم والوزن ، وانما هو موهوب وأما حفظ الشعر ومزاولة درسه ، فيعطي ملكة الفصاحة والعروض ، ولكن الفكرة العليا التي تهبط على الشاعر فتعبث بالقلوب وتسحر العقول فذلك ما ليس للعروض او اللغة نصيب منه .

واما انك تنظم الشعر في الضوضاء فذلك ناشيء عن العادة التي يتطبع

الشاعر بها ، فقد يستلهم وهو يخلو الى نفسه ابدا فينطبع على ذلك حتى لا يستطيع ان يفكر فيما اذا فقد العزلة ، وقد يستلهم وهو في قلب المجتمع الصاخب ابدا حتى لا يطيق التفكير في الشعر وهو يعتزل الناس ، واراكم قد تعودتم على النظم في مهرجانكم المبتكر حتى انطبعتم عليه واصبح جزءاً من تفكيركم .

أما اشتراكك مع اعضاء الرابطة الادبية في مهرجانهم كلما دعتكم مناسبة ما لنظم الشعر مشتركا فيما بينكم فذلك ابداع منك اذ لم اسمع بان الادب كان صلة ما بين الحكومة والشعب عن طريق الفن ، اللهم الا اذا كان فناً آلياً يفيد الحكومة في حفظ كيان الدولة او يفيد الشعب اقتصاديا وليس ما انتم فيه واحد من هذين وانما هو ادبي قاصر على الشعر فقط .

فلم ار قبلك حاكما يعتمد ، في تشييد حكومته وتثبيت الهيبة والمحبة لها في نفوس الشعب ، زمالة تجمعه الى العصبة المهيمنة على النفوس بادبها وفنها حتى يصبح واحدا منها وحتى يكون له الفلج على كثير من اعضائها احياناً كثيرة اذ يتبارون فيما يشعرون به من حوادث المجتمع .

ان هذه لبدعة ولكنها بدعة حسنة تنم عن الروح الانسانية الاشتراكية في شخص الحاكم المفروض فيه العتو والاستعلاء على الطبقة المحكومة في الناس ، فما اسفه هؤلاء الذين يرون من الضرورة في الحكم ان لا يختلط الحاكم بالمحكوم وان يعتزل الشعب الى زملائه لتتوفر له الهيبة والاحترام في نفوس السواد من الناس ، تلك هي الانانية الصاخبة في صميم الباطل ، ولقد فات هؤلاء ان الحاكم من الناس والحكم مسلوخ من روح المجتمع ، فا لم

يختلط الحاكم بالمحكوم لا يتسع امامه افق العدالة في الحكم ، فان العرف مادة اولى في تحرير الشرائع والقوانين سماوية وارضية ، فمن اين للمشرع ان يشرع وللقاضي ان يحكم في الناس وهو بعيد عن الناس ، ثم من اين له ان يحتل قلوبهم فيصدروا عن حكمه شركاء له في احترام القانون وهو يراهم دونه ويرى نفسه في المستوى الذي لا يسوغ لهم ان يصعدوا اليه فيه ؟

لقد رأيتك شاذا في هذا تنقم بطبعك على من يستن التعالي على الناس من زملائك ، وكنت سيداً عبقريا في نهجك ولا اخال ذلك فيك الا وليد ادبك الفطري فان الادب اذا كان موهوبا كان وحي الحق يتنزل على الاديب ، وكان على هذا الحق ان يبوئه المنزلة السامية في نفوس الناس ، من هنا اصل بك الى انك كنت موهوبا في ادبك وفنك لانك آثرت ان تكون واحداً من الناس وانت تحكمهم ، على ان تكون ملاكا وانت بعيداً عنهم ، وتلك منزلة في عالم الحقيقة المنشودة للخاصة من الناس لا يؤتاها الا العباقرة من افراد الامم .

انت يا اخي حاكم محبوب ، ومصدر حبك في حكمك انك لم تر في نفسك ولا في منصبك ما يرفعك عن ابناء جنسك ، بينما نرى من هم فوقك في الرتبة لا يحرزون بعض ما تحرز من هوى الافئدة بما يشمخون ويزبئرون متعالين على الطين الذي كانوا منه ، وعلى المدر الذي انبثقوا عنه ، أفلا يطأطئون انوفهم الشامخة قليلا ليروا موطأ اقدامهم أهو من الذهب ام من التراب ؟ ان الحياة في الوجود وداعة وتواضع ، واما الكبر فهو ضرب من الجنون يؤدي بذويه الى الموت .

وانت من هؤلاء الذين يحار الفكر في تعليل عبقريتهم بين روح تبدو

وادعة وقلب هادىء وسكون شامل ، وبين فكر وقاد ورأي سديد ونظر صائب ، فقد احسب وانا اجلس اليك ، انك بسيط حتى اذا جرى بحث يكشف عن عمق في تحري الحقائق تراءى لي كل عضو فيك مركباً تركيباً مزجياً ، وقلت : ما اعجب امر الانسان !! واعجب منه سر الله القائم فيه على النقائض والاضداد .

وليست كلمتك التي صدرت بها هذه الرسالة قريبة المنال من فكر الباحث ورأي الناقد ، فقد يصل منها الفكر الجبار الى بحث مطرد رحب ، ثم يعود فيخضع للقلب الذي يهتز لها عصبه ويتصل بها احساسه ، لقد قلت : ان المثل الاعلى لا يتناهى ، فكلما حددناه واستهدفنا الحد الذي يقف عنده ، فر من ايدينا واعلن انه ابعد من ان يُحد .

ذلك ما يعطينا ان الانسان ينشد الكمال بطبعه ، وان الكمال لا يدركه وهو انسان ، اذن ففي الانسان شيء يسمو على الانسانية وينحط عن الملكوت فهو كالصلة تربطه بعالم اشرف من عالمه ، وهذه الصلة قوة خفية تجذبه الى ما فوقه وتصله بما تحته ضرورة التماسك الاثيري الذي يعمر به الكون ويتعاقب عليه الوجود ، فالمثل الاعلى يتراءى للانسان فيسعى اليه بهذه القوة الخفية حتى اذا اشرف عليه فر منه وهكذا دواليك يعدو الطامح وراءه وهو يقفز امامه حتى يستحيل في ذات الله التي يتقوم بها المثل الكامل لكل حي .

اما تلك القوة الخفية التي تصل الانسان بما فوقه فقد نفسرها بالعقل الذي يوجه الفكر نحو العلم ويوجه العواطف نحو الفن ، والعلم والفن كاشفان عن

سر الخالق في الكون ، ووظيفة ذلك العقل لا تقف عند هذا الحد بل تتجاوزه الى كبت العواطف وزجر الفكر ان يهبطا بالانسان الى مستوى الحيوان او الجماد الذي هو دون مستواه ، فالعقل يوجه الارادة في الانسان لان تصعد به الى عالم اسمى منه ، ويزجرها عن ان تنحدر به الى عالم اسفل منه لتبوئه المكانة الوسطى في الحياة ، فكان العقل صلة تربطه بالملكوت ، والنفس المعبر عنها بالهوى او بالشيطان صلة تربطه بالحيوان ليكون في بقائه عرضة للتجاذب من عالمين يكتنفانه .

ولعل الصلة التي تربطه بما هو دونه ليست قائمة فيه ولكنها منبثقة عنه وقائمة بما هو دونه من العوالم كالعقل الذي انبثق من عالم فوقه وانحدر اليه ثم استقر فيه ، اذن ففي كل عالم جوهر يتقوم به وهو يصعد . وهذا الجوهر تحدر اليه من عالم هو فوقه ليبقى على اتصال به ضرورة التمازج الكوني ويتمثل هذا الجوهر بالعقل في الانسان والرغبة في الحيوان ، فالعقل يجذب الاول الى فوق ليصله بالملكوت مثلا ، والرغبة تجذب الثاني الى فوق لتصله بالانسان وهكذا نرى في كل عالم سفلي جوهراً قائماً فيه يربطه بالعالم الذي هو فوقه حتى يكون اسمى عوالم الكون مرتبطا بادنى عوالمه وبذلك تتحقق فكرة وحدة الوجود في الكون .

ولعلي اخطىء اذ اجعل الصلة بين الملكوت والانسان هي العقل ، وان هذا العقل ينبثق من الملكوت ، واذ أجعل الصلة بين الحيوان والانسان هي الرغبة وان هذه الرغبة تنبثق من الانسان ، فقد يكون العقل وليد الانسان وتكون الصلة التي تربطه بما هو فوقه هي غير العقل كما قد تكون الرغبة

وليدة الحيوان وتكون الصلة التي تربطه بالانسان هي غير الرغبة وقد تكون الصلة التي تربط الادنى بالاعلى منبثقة من الادنى وقائمة في الاعلى ، وقد نذهب الى ابعد من ذلك فنقول : ربما كان ما نحسبه فوق هو دون وما نحسبه دوناً هو فوق، وقد تكون هذه المراتب متحدة في الشكل ومختلفة في اللون و قد تكون مختلفة في الشكل واللون ومتحدة بالمادة التي ينبثق عنها هذا الشكل وذلك اللون فيصح معنا اذ ذاك ان نقول :

ان كل ما نعلله ونحلله ، هو وليد ما اصطلحنا عليه وقررناه في نفوسنا كما تخيلناه اولا، فنحن اذ نعلل ونحلل ننظر الى الاشياء بعين التحليل والتعليل فنحكم على منظور تلك العين بما تتصف به وتتربى عليه منذ الازل ، فانا اذ ربيت في نفسي ان الشجر يصعد في الفضاء فيخضر في الربيع ويصفر في الخريف ويعرى في الشتاء، اراه كذلك فرؤيتي اياه كذلك منبثقة عن الوانه واشكاله المخزونة في نفسي، لا انها منبثقة في نفسي عن كونه كذلك في الخارج

هكذا قد نصل الى تعليل الاشياء في نفوسنا ثم نطبقها على الواقع ، فاذا عللناها في الواقع ثم طبقناها على عالمنا المخزون في كياننا الشخصي كنا مثبتين ان الخارج اصل للداخل ومرآة له، والمفروض ان الداخل مرآة للخارج واصل له ، من اجل هذا يرى كثير من الحكماء ان دراسة الحياة يجب ان تبدأ بدراسة الفن ، ومعرفة كنه الحقائق تنبثق عن عرفان النفس لذاتها ، والحكيم الاول يقول « اعرف نفسك اولا »

عزيزي حسن !

ان لك في هذا البحث سبباً يكاد يأخذ باطرافه ، ولقد يعجبني فيك

اذاك واحد من قليل بين اناس يحترمون الادب ، وقد تذوقوا طعم الحكم ، واراني رغم اعترافي بان الحكم يجب ان يبنى على الادب ، أكاد اجزم بان الحاكم عدو الاديب وقــد يستغرب القارئ. هذه الجملة بعد ان قرأ كثيراً من رسائلي الى الحكام ونسبتي كثيراً من فنون الادب اليهم ، فكيف أوفق بين هذا وذاك ؟؟

ان الحكم اذ يتوجه على الصنف لا يجب ان يتناول اجزاءه فرداً فرداً، ولكنه ينطبق على الاغلب وليس للشاذ قياس ، فالادب ، بمعناه الحق ، هو تهذيب حياة او خلقها مهذبة ، فاين تجد هذا المعنى حكامنا اليوم ؟ وفي اية حكومة تجد حياة مهذبة او فكراً يحاول خلق حيــاة سامية التهذيب ؟؟ لعلك تكون معي في الحكم على فقد هذه الحياة من الجزيرة العربية كلها اذا عللنا فقدها للقوة بعسفها في الحكم وجورها في القضاء، وهذان العسف والجور ابعد الاشياء عن الادب اذ هما عنصر اول تتقوم به حياة السفلة من الناس .

اية ساعة كانت؟واي مصدر كنا لالهام ووحي تلك الساعةالتي قطعناهافي منزلك الحافل بالادب والوطنية وكرم النفس ونبل الاخلاق ؟ عصبة كانت كلها كالسلسلة المفرغة الحلق في عالم ينتظمها بكماله من عالم واديب وشاعر؟ ما هي تلك الساعــة في ذلك البهو الرحب من ذلك الحي الجميل في النجف الجديــدة ؟.وما هي تلك الابحاث التي اخلدت اليها في كثير من ذكرياتي السامية وشعوري بما اقول واكتب في كثيرمن مناظر الطبيعةوتحت سماء الوحي؟

ثق يا ابا باسم ان ايامك ولياليك واحاديثك كانت جوهرا محضــاً في هذا الادب المجسد الذي احببه تحت سماء لبنان وابعث به الى الرافدين صلة

تربط سوريا بالعراق وتمزج روح الغربي بروح الشرقي من هذه الجزيرة المحبوبة لي ولك .

وثق ان هذه النواة التي اوحت الي هذه الرسالة لم تكن منبعثة عن كونك حاكماً ، ولا شاعراً ، ولا مفكراً ، لان كثيراً من الحكام والشعراء والمفكرين جلسوا الي وتحدثت اليهم ومارست حياتهم فلم استلهم منهم ما يبعثني على فكرة استبقها او كلمة اخطها في كتاب ، وانما النواة التي بعثت في نفسي الخلود بما استلهم هي روحك السابغة على حكمك وشعرك وتفكيرك ، وهي الروح التي كانت تبدو لي من فمك الباسم وعينيك الوادعتين في الشارع والبيت وعلى منصة الحكم ، واحدة لا تتغير ولا تتبدل .

ذلك ما لم المسه في غيرك ممن جمعوا الادب والعلم الى ميزة الحكم ومزاولة السلطان ، اذ تراهم بين اظهرنا اودع من نخالط فاذا ركبوا الكرسي زهوا بها واحسوا بانها تتعالى من تحتهم حتى يحكوا بقرونهم السماء ولما يزالوا على الارض يبحثون عن الخبز والخل .

*

ولا احب ان أنسى قبل فراغي من هذه الرسالة اليك ، قولك لي : لم انظم بيتاً من الشعر قبل دخولي النجف ، إنها لكلمة كبيرة جداً واعتراف بالواقع ، وان تربة النجف وافقها ومحيطها والارواح المحدقة بها ، كل ذلك مطبوع بشعور الطبيعة والمجتمع الخليط من شتى العقول والافكار والثقافات لقد طبخت النجف هذه الانواع من الاغذية الروحية وقدمتها ألواناً مختلفة

على موائد الادب فكان حقا على الزائر مثلك ان يتأثر بها فيشعر وعلى الزائر مثلي ان يتأثر بها فيكتب ، وسأوفي النجف حقه تحت هذه السماء في مكان آخر من هذا الكتاب .

السهيلي

الامير حسن السهيلي زعيم بني تميم واحد اعضاء المجلس التشريعي العراقي ، والبارزين في ميدان العمل القومي ويكاد ينهد الى العقد السادس من سني حياته

عزيزي ابا عبد الوهاب !

ان نشاطك المستمر في تثبيت شخصيتك من نفوس قومك هو الذي حداني لان ازورك وادرس حياتك واتفهم الصلة بينها وبين امتك ، ولقد انفذت هذه الخطة وفسحت لي مجالا رحبا في منزلك يوما ما ، وكنتُ عزيزا عليك اذ طرقت الباب وتبارى الخدم في اكرامي ثم كانت لنا جلسة ساعة او اكثر كنتَ خلالها موضع احترام زائرك وفي صميم الشخصيات التي درسها.

انك يا اخي حركة دائمة في العمل ، وان لك في كل مشروع يدا تغذيه بفكرك وعملك وتضحياتك ولو ان هذه الاخيرة لا تتناسب وشخصك ومنصبك وثروتك البالغة — اقول هذا وانا مقتنع من انك حر وتحب الصراحة لقد سمعت انك ان دعوت حاكما او وجيها او زعيما انفقت في سبيل اكرامه الآف الدنانير، وفي هذا بلاغ لمن يتحرى مكارم العرب ويتحدى اكارمهم ، ويقيني ان الولائم التي يقيمها امثالك على شرف الاعيان من رجالنا او من ضيوفنا ، هي الاسباب الوطيدة التي نرقى عليها الى حيث نعز ونسمو

على ان هذه الولائم تعود علينا باسوأ ما نتحاماه من الشرور اذا لم نستغلها

لغرض قومي او علمي او ادبي ، فقد نقيم وليمة لحاكم ويكون الغرض الذي نستهدفه من ورائها اصلاحا اجتماعيا بخطبة نلقيها على المأدبة ونأتي فيها على النقائص التي تعوز بلادنا من السياسة او الثقافة او الاقتصاد ، فيتنبه الحاكم للسبب الذي من اجله كان احتفاؤنا به ، ومن اجله عززنا مكانته ورفعناه على نوعه بالاجلال والاكبار .

وقد نقيم مأدبة لاجنبي مسيطر علينا ونفهمه من خلال الخطب التي نلقيها في تكريمه ، الغرض الذي من اجله كرمناه ويتناول هذا الغرض خدمة الامة بطلب حرية او استقلال او مساعدة دولية ، لنكون اسمى في نظره من اناس يقيمون الولائم وينشدون من ورائها تعزيز شخصية او تثبيت منصب ، او تعزيز مكانة ، فالاجنبي كان وما يزال يزن الشعوب بميزان قومياتها وشخصياتها ، فهو يحترم من يعمل لقوميته ولو بعد حين ويحتقر من يعمل لشخصه ولو بعد حين .

وقد نقيم مأدبة لعالم او اديب ونفهمه الغرض الذي من اجله كرمناه ، ويكون هذا الغرض قاصراً على تعزيز العلم والادب لنعزز في نفس العالم والاديب خدمتها للعلوم والاداب ، ولنبعث النشاط في نفوس هواة العلم والادب من ناشئتنا فيعملوا على اقتباس الحياة عن طريق العلوم والفنون ، دون ان نلحظ من هو هذا العالم ، ومن يكون ذلك الفنان ، اي سواء كان عربيا او اعجميا ، وكان فقيراً او غنيا ، فليس للعلوم وطن ولا نصاب مادي

ولقد بلغني انك واحد من هؤلاء الذين يقيمون المآدب للاجانب اولرجال الحكم ، وانت منهم ، في سبيل امتك وبلادك ، وقد تنفق الاف الدنانير

على مائدة واحدة ، ولكنك تلحظ وانت تبذل هذا انك تشتري به العزة لقومك والخلود لنفسك ، لانك لم تحتج الى منصب بعد منصبك فتشتريه ، ولا الى جاه اوسع من جاهك فتصبو اليه ، ثم لم يعوزك مال فوق مالك فتنهالك في سبيله

اعتقد انك ، وانت زعيم بني تميم ، ابعد الناس عن الولائم التي تقام لتملق الحكام او الزهو بين يدي الاجانب او التطبيل والترمير في الصحف ، ان هـذا من شأن اناس لم يتحلوا بالخلق العربي ، فالعربي كان ولايزال يبسط موائده لاطعام الجائع او تكريم الانسانية في شخص من يطعم ، والعقل الذي درسته في شخصك خـلال جلسات كنت فيها الى جنبك ، هو عقل رجل ، يقول بعد تفكير ، واذا قال حمل السامع على احترام رأيه من وراء قوله ، ورجل هذه قيمته ليس بالخليق ان ينسب الى السفه .

اذكر انك كنت مقتنعاً اذ تبسطت معك بحديث المؤسسات التي تعوز الامة العربية عامة والشعب العراقي خاصة ، ثم هي اكثر اعوازاً لقومك الادنين كيلا يبقوا عرجاً في مؤخرة الشعب ، فانا انما نجتهد في توسيع خطى ابنائنـا ليصلوا الى الرعيل ويكون منهم من شخص اليه وهو في طليعة الامة ، لقد نصحت اليك بانك من علية القوم وانك ، اذ تحاول عملا ، لا يعوزك في سبيله جاه ولا منصب ولا مال ولا رجال ، فقد تكون انت المسؤول الاول عن هذا النقص الذي ينال قومك في دينهم ودنيـاهم ، انك ابن السهيل ، وان لديك من القوة ما تستطيع ان تدعم به اي معهد قام على العلم والاخلاق او ان تنشىء اي معهد شئت بشيء يسير ممـا تبذله في شتى نواحي الحياة

المحدقة بك .

نعم اذكر انك كنت مقتنعاً اذ عمدت الى نشرة تتضمن منهاج مؤسسة سياسية اجتماعية قمت بانشائها مع زملائك من اعيان العشائر الذين يتقوم بهم مجلس التشريع في الامة العراقية، تلك هي مؤسسة «الكتلة النيابية القومية» يترأسها الشيخ عبد العزيز السعدون احد زعماء المنتفك ، وتتولى انت منصب الناموس فيها ، نعم لقد عمدت الى هـذه النشرة وعرضتها بين يدي قائلا :

«اظن ان في هذا شيئاً مما يرضي رغباتك في الاصلاح ، ولا تعتقد يا استاذ انا غافلون عما يسود الامة من قلق واعواز ، ولكننا نتمشى الهوينا في العمل وها قد بدت طلائع اعمالنا التي نرجو الثمرة المنشودة للامـة من ورائها ، واراني شاكراً لك نصحك وساقوم ، مـا استطعت ، بما يحقق املك في شخصي انشالله»

صديقي الزعيم التميمي !!

ان الساعات التي قطعتها معك امام تلك الشرفة الجميلة المطلة من قصرك على شاطىء دجلة ، وانت تداعبني بفكاهاتك النادرة واحاديثك العربية الطريفة ، ان تلك الساعات قد اثبتها في صحيفة الخاطر ورسمتها على لوحـة الشعور الحساسة ، وهذه الرسالة التي احبرها اليك بعد شهور مرت بنـا على تلك الجلسات هي من ظواهر هذه الذكرى الجميلة التي تعود بي اليك كلما ذكرت الجمال الضافي على القصور وضفاف الانهر .

فلقد وهبك الله ، الى جاهك ومالك وزعامتك ، جمال الذوق في شكلك وجلال الفكر في عقلك ، ثم لم تبخل عليك الطبيعة بحسن الهندام وتخير الزي

الصالح لشخصك حتى تبدو كاملا في زينتك وزيك ، وحتى لا ترى العين في ظاهرك شيئاً تود ان لا تراه ، فلعلك لا تحتاج مع هـذا كله الى من يسدي النصيحة لك في ان تلبسَ او تجلس او تتحدث على شكل اجمل من الشكل الذي رأيتك تلبس وتجلس وتتحدث به ٠

وأروع من ذلك كله انك مؤنس الجليس بالفكاهة المطبوعة والحديث الطريف ، فقد كنت افتقر الى حديثك في كثير من الاوقات التي ترهقني وانا اجوز الشوارع او ارتاد المحافل في بغداد لما يثقل طبعي من صخب المدينة وضجيجها وتضاؤل الاسباب التي تهيء لي ما ارفه به عن نفسي في محيط جاف على طبعي وانا غريب ولبناني ، وكنت اتهيب ان افر اليك من هذا الصخب اذ لا احب ان اطرق بيتاً اتثاقل فيه من نفسي وان كان ذلك البيت محجـة الادباء والاعيان ممن لا يقل نصيبي عن انصبـائهم في الرقي اليه والتمتع به فكاهة وحديثاً ٠

ولقد بقي في نفسي شيء احببت ان لا اختم رسالتي قبل ان اخوض معك فيه : ليست العبرة في ان نؤسس الاحزاب او الكتل او الجمعيات ، ولكن العبرة في شيئين اولهما ان نعمل في احزابنا وثانيهما ان نخلص في ذلك العمل ، ولقد مارست كثيراً هذا الفن ، فن التأسيس للهيآت والاحزاب في اميركا وفي لبنان فرأيت ان اشق الاعمال في الحياة عمل يرجع في كنهه الى اصلاح المجتمع لان الحزب مهما تعددت اعضاؤه فهو يعود الى عضو بارز واحد يوجـه بقية الاعضاء ويخلص في العمل فيكوّن العنصر الهام ويعضده بقية الاعضاء ، لاني كما اثبت في مطلع هذا الكتاب ، أرى ان الوحدانية طبع خلق مع الانسان

منذ كان ، والاحزاب كالمجتمع لا يقوم الا على توحيد الغاية والقائد كما نرى في الانسان كيف ينقاد بجوارحه الى عضو واحد فيه ويتقوم به ، الا وهو الرأس .

والرجل قد يؤتى العقل الذي يصلح به امة ، وقد يؤتى العقل الذي لا يستطيع ان يصلح به حتى نفسه ، لذلك نقع في المشاكل الاجتماعية التي نتردى معها في هوة الانحدار الى الوحشية ونحن في عصر النور ، ذلك انا لم نكل الاعمال في الحياة الى الرجال الذين يتزنون مع اعمالهم بالحكمة ، فقد نكل الى مصلح القرية اصلاح المدينة او بالعكس ، وقد نعهد الى من لايقوى على اصلاح نفسه باصلاح شعب بكامله ، فنفسد ونحن ندعي الاصلاح .

من اجل هذا احب ان تصلوا الى ان عملكم هذا في مؤسستكم عظيم جداً ويجب ان تستعدوا للشقاء في سبيله وان تتحروا انشطكم في العمل واقدركم عليه تفكيراً وتدبيراً ثم تكلوا اليه امر التكوين والتقويم والتعزيز وتكونوا ظهراء له يستعين بكم ويذلل الصعاب التي تعترض سبلكم في وجه الاصلاح الذي تنشدونه من وراء هذا العمل .

فليس على المرء في ان يمشي وراء من وهبته الطبيعة قوة فوق قوته عار ، ولكن العار ان يدعو من هو فوقه لان يمشي وراءه ثم يجهل الطريق فيسترشده وهو امامه . نعم ليس العار على ان اقلد افضل مني ولكن العار علي في ان اتعالى على من هو فوقي ثم ازعم اني اصلح منه للحياة .

فانظروا في مؤسستكم هذه الى ابعدكم في العمل والى احصفكم رأياً فيه ، ثم الى اكثركم صبراً على الجهاد واقواكم على احتماله ، فقلدوه امركم

وامشوا وراءه وعززوه ولا تروا في ذلك عاراً عليكم فان الرجل الذي ليس فوقه رجل في العالم مفقود . فليس منا الا الرئيس والمرؤوس في آن واحد ، فكل مرؤس اذا التفت الى من هو دونه كان رئيساً ، وكل رئيس اذا التفت الى من هو فوقه كان مرؤساً .

والعمل لا يمكن ان يقوم على جماعات لا تقودها افراد ، فلقد تنوعت اساليب الانانيين الذين رأوا الاثرة في الملوك وحصر السيادة في اعقابهم فخلقوا الجمهوريات ولكنهم مع ذلك لم يخرجوا عن الملكية اذ قلدوا امورهم في النهاية الى واحد منهم يدعونه رئيساً . تلك هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا .

وبعد فهل تقبل مني تحيات شاكر مخلص لك يعتذر الى الله في ان لم يستطع ان يوفي اخوانه المخلصين حقهم وقد اولوه من الخدمة ايام كان ضيفهم ما يتضاءل بين يديه كل شكر باللسان والقلب ؟

لعلنا نعود فنجتمع ثانية ونحقق مطالب اخرى يكون فيها الخير للبلاد والعباد وليس ذلك على الهمم الوثابة والافكار الحرة والايمان الصادق ببعيد .

ليالى النجف

مهرجان الادب الحي للرابطة الادبية

فكرة جميلة تنزلت على الرابطة الادبية من سماء الغري فكانت انشودة يرددها فتيان عبقر في عالم الخلود ، وليست هذه اول البدع التي يوحي بها آله الفن للعباقرة من ابنائه الراكعين بين يديه ، فالنجف كانت ولا تزال مهبط الوحي في الشعر الذي هو اسمى ركن تتقوم به الحياة في عالم الفنون

ما ازال شديد الايمان بان وادي السلام هو اخصب بقاع الارض انباتا للشعر وتجريزافيه فقد اعد مآت الشعراء الذين غمرهم جهل المحيط المحدق بالنجف فلم يتعد ذكرهم وادبهم حدود هذا البلد الا نادراً ، فالشعر في العالم العربي يكاد يكون قاصرا على العراق ، اذ نرى الشعر فيه اسمى عبقرية واكثر انتاجا من غيره ، ويكاد يكون الشعر في العراق قاصرا على النجف اذ هو فيه اسمى واغزر منه في بقية الاقطار العراقية

واست ابعد كثيرا عن الحق ان رأيت ان الشاعر الشيعي حيثما وجد من العالم يعود الفضل في شاعريته الى هذه البقعة المقدسة بقعة الغري ، اذ ليس للشيعي ثقافة تنبثق من غير فجر النجف ففي ايران والافغان وتركستان والهند والصين شعراء عباقرة في لغات مختلفة قد انبثقت عبقريتهم من النجف لان

دعاة الثقافة منهم دينية كانت او ادبية انما هم رسل النجف الى تلك الاقطار

وفي العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين شعراء عباقرة في اللغة العربية ومن الشيعة قد انبثقت عبقريتهم من النجف اذ كانوا صادرين عن هذه الجامعة او عما هو صادر عنها ، وفي هذه الطائفة من الناس من لا ينكر عليهم العالم اجمع سمو الفن القائم فيهم واستطيع ان اثبت في هذه الديباجة من ادب الغري ما يحمه على صحة دعواي ، ففي بغداد يقطن من خريجي هذه المدرسة الشبيبيان رضا والباقر ، والشرقي علي ، والجواهري مهدي ، والازري عبد الحسين ، ومحي الدين عبد الرزاق ، والوائلي ابراهيم ، وبحر العلوم صالح

وفي السماوة حميد ، وفي البصرة عباس شبر ، وفي البحرين عبد الحسين الحلي ، وفي الناصرية محمد جواد حيدر ، وفي الشام احمد الصافي ، وفي اللاذقية بدوي الجبل ، وفي جبل عامل العلماء حسن المحمود وعبد الحسين صادق وحسن الصادق وسليمان الظاهر والادباء علي شمس الدين وعبد اللطيف شرارة وعبد الحسين عبد الله وموسى الزين شرارة وابراهيم فران وهاشم الامين وحسن الامين وفتى الجبل ومن لم اذكر فوق من ذكرت عددا من الاحياء والاموات ، كل اولئك خريجو مدرسة النجف اما مباشرة واما بصلة ما تربطهم به .

اما الشعراء المقيمون في النجف فحسبي ان آتي منهم على نخبة الرابطة الادبية الذين حلقوا فيها وكانت الفكرة الاخيرة التي رموا بها الى تأسيس هذا « المهرجان » طريقا جديدا في الانتاج والشيوع ، لقد زرت النجف هذه السنة فتحدث الى اخواني عن فكرتهم هذه واحبوا ان اشهد احد مجالسهم القائمة

عليها وقد كان ذلك لاول ليلة نزلت فيهـا ضيفا على ابي الائمة الاطهار بطل
الاسلام الامام علي بن ابي طالب ٠

في منزل الخضري

كانت ليلة تطوي صفحات التاريخ في غيابة ذلك الثوي المتواضع ثم تنشرها غراء على ايدي بضعة عشر نفرا من اعيـان الادب والفن العربي في عاصمة اهل البيت .

فما احب ان اسجل لصاحب المنزل ما افاض علينا من سخائه اذ ليس وحي الرافدين سجل طعام او شراب ولكنه سجل وحي والهام ، ولقد كان يتدفق علينا من لطف الشيخ عبد الغني الخضري ونكاته وروحه المرحة الحائرة على شفتيه وبين عينيه حتى ليكاد يخرس لسانه فما يجيب او يسأل بغير التهلل والابتسام ، لقد كان يتدفق علينا من ذلك كله ما نسينا معه الطعام على طيبه والشراب على لذته ، فليس الطعام والشراب قاصرين على هذا النوع من اللحم والبر ، والماء صرفا او مضافا

كانت تلك الليلة مسرحا لافكار الشعراء من اعضاء الرابطة وهم العمدة التي قام عـلى قلوبها مهرجان الادب الحي ، وكان هدفهم تلك الليلة عيد

التتويج الملكي فظلوا بضع ساعات يتعاقبون القريض في وصف الملك والتاج وكان مطلع القصيدة من ابداع ابي باسم ثم قفى عـلى اثره زملاؤه فلم ينهد عقرب الساعة الى العاشرة حتى كانت القصيدة جاهزة للنشر وتناولها ابو هاشم صاحب الغري وبعـد ايام كانت بين ايدي القراء ترتلها الافواه وتلهج بها الالسن .

وليس في طوق وحي الرافدين ان يعلن التفوق البارز في ادب الغري ولا في طوق صفحاته ان تضم القليـل مما ينتج ادباؤه في كل اسبوع تعقد خلاله امثال هذه الجلسات لاعضاء المهرجان ، وليس الطريف في هذه الفكرة انها بدعة في مادتها ، او ان القائمين بها اول من ابدعوا الاشتراك في نظم قصيدة واحدة ، فقد سبقهم الى ذلك في عصور مختلفة شعراء كانوا يجتمعون ويشتركون في النظم ، ولكن الطريف هو تنظيم هذه الفكرة بشكل جديد واشراك عدة شعراء فيها كمؤسسة لها قانونها وعملها المنظم ، ثم نشر انتاجها في الصحف تباعا .

على ان من الغبن الفاحش ان لا يضم وحي الرافدين شيئا من آثار هذه المؤسسة الطريفة ، وساقتصر فيها على قطع نظمت في جلستين كانتا عامرتين بالادب السامي والفن العبقري وكنت من شهودهما وعـلي كان الفرض في اقتراح الموضوع الذي ينتظم القصيد فيها ، وقبل الشروع في نقل هذه الآثار لا بد لي من ختام افي به حق السيد الخضري الذي لم يشأ ان يجعل الاجتماع في منزله قاصرا على اللطف والسخاء بل تجاوزه الى قصيـدة حيا بها « وحي الرافدين » معارضا قصيدة السيد الحبوبي عميد جمعية الرابطة الادبية في الموضوع نفسه ، اما قصيدة الخضري فأغفلها لانها قاصرة على مدح المؤلف وليس من

خطتي ان اعلن مدحي بلسان غيري، ولو عرضت بعض ابياتها لما خامر القاري. شك في انه يتصبب ويشيد في غير ثناء. فاسمعه يقول :

هوى لك ما بين الضلوع مخيم — وشوق بجبات القلوب مبرّح
محياك نصب المقلتين ممثل — به لا تزال الذكريات تلوّح
سلوا الشهب عما بي من الوجد والاسى — ستخبركم تلك النجوم وتفصح
معذبكم طول الليالي مسهد — وفي قلبه زند الصبابة يقدح

أفي هذا الشعر ما يشعر القاري، غير الهيام بوحي الرافدين وصاحبه، لا يا ابا الهادي لا احب ان اشيع بقلمي انك تتصبب علي وتشبب بي وانت نجفي .. أفهمت ???

واما قصيدة الحبوبي فأعرضها لقراء الرافدين لما فيها من الصراحة والادب الطريف :

مؤلف « وحي الرافدين » تحيةً — تضوع كعرف الرافدين وتنفح
وشوقاً الى ايامك الغر بيننا — تقضت كومض البرق ساعة يلمح
نعمنا بطيب الوصل حيناً وشاقنا — بقربك للآداب ممسى ومصبح
فكانت يد بيضاء للدهر عندنا — مدى الدهر تطرى بالجميل وتمدح
ومرت ليال وجه فضلك بيننا — كـ(حواء) او كالشمس او هو أوضح
تقول فنصغي منصتين لشاعر — يعبر عن اسمى شعور ويفصح
وتملي على السمار حولك في الدجى — حديثاً به تحيى السرور وتمنح

*

تُحدث عن « باريس » عن جامعاتها — عن العلم فيها يستفيض ويطفح

عن الادب الفينان عن ندواته ... عن الفكر في آفاقه كيف يسبح
عن الغيد ترتاد المراقص تارة ... وطوراً على الشطآن تلهو وتمرح
احاديث للارواح عند استماعها ... على جنبات الافق مأوى ومسرح
تسيح بنا من امة نحو امة ... تراها وفي ابياتنا ليس نبرح
فلا طال يوم البين الا كما انطوى ... بقربك يوم – مثل خلقك – أسجح
فذي العين ناد لا تراك ترينه ... اذا هي امست من به تتصفح
تمضي ويبقى من اذا سار بيننا ... يداه جناحا طائر حين يذبح
اذا حل حل الجمع دب وان مشى ... مشى منه بين الناس ثور مجنح[1]
فليتك تدنو بعد طول تباعد ... لتعرف نيران الهوى كيف تلفح

*

تصباك وادي الرافدين فزرته ... وواديك في ذات العرائش أفيح
لبثت به تسعين يوماً نظنها ... رؤى تتوالى أو خواطر تسنح
وفارقته بعد ائتلاف فلوه ... حنين الى اللقيا وشوق مبرح
تذكره حلو ابتسامك ان غدت ... مع الفجر ازهار الربى تتفتح

*

والفت للذكرى الجميلة باسمه ... كتاباً ، نوادينا به تتملح
فكم قائل هذا أديب منافق ... وكم قائل : هذا أديب مصرح
وكم قائل ما لا يقال تحاشياً ... لقول به منك العواطف تجرح
عفا الله عنهم مخطئين حقائقاً ... اشرت لها ، والله يعفو ويصفح

(١) ليت السيد الجبوري صرح لنا باسم الثور المجنح في شعره ليتحاماه المغتر به.

رأيتك تعزو لي التحيز بالذي تصرح احياناً به وتلمح
وتنسب فيما قلت لي عصبية لنفسي منأى عن ذويها ومنزح
ظننت – وبعض الظن اثم – بانني اعادي سوى قومي فوافيت تنصح
وفاتك اني اكبر العلم والألى من الناس هم ارسى عقولا وارجح
«شكسبير» عندي كـ«المعري» رتبة فلست لهذا دون ذاك أجنح

في منزل الشيخ علي الخالدي

اما الجلسة الثانية فكانت في منزل الشيخ علي الخالدي احد اعضاء الرابطة والركن القويم في بناء « مهرجان الادب الحي » ولقد كانت ليلة وضاءة، عهد الي فيها ان اقترح فاقترحت «عروبة لبنان» موضوعاً للنظم فدوت القاعة بالهتاف والتصفيق من اعضاء المهرجان اذ ليست عروبة لبنان منشودة للبنان وحده فان في الرافدين نفوساً شخصت الى سماء لبنان وتضن كثيراً على نعيمه ان يتجه الى غير العروبة لذلك تبارى شعراء الغرى في اسداء التحية للبنان باسم عروبته وفيما يلي القطع الشعرية الرائعة التي نظمت خلال بضع ساعات في دار صديقنا الحميم الاستاذ الخالدي :

من القصيدة التي نالت الجائزة الاولى في المسابقة الشعرية التي اشترك فيها جماعة من شعراء النجف وادبائها وذلك في ١٥ ، ٣ ، ٩٤٥

«لبنان» يا مستقرَّ العلم والادب ودرة التاج زانت مفرق العرب

سموتَ حتى شككنا في الدجى أترى مسرحَ المقاصير ، ام مجموعة الشهب

ان طلت ذكراً وتاريخاً نرى لهما ... ما للكواكب من مجد ومن رتب
فـان كف المعـالي افردت لها ... أولى الصحائف من تاريخها الذهبي
وافـاك محدودبا يحبو الزمان كما ... قد مر يدرج قبلاً فيك وهو صبي

*

«لبنان» يا حامي الفصحى وحارسها ... بما كتبت ، وما ألفت من كتب
لا تكترث بادعاء ليس يدعمه ... من الخصوم سوى البهتان والكذب
كأمسك اليـوم آثاراً مخلدة ... شاب الزمـانُ ولم تهرم ولم تشب
إن قلت اضحى لما قلتُ العراق هوىً ... كالقدس أو مصر أو صنعاء أو حلب

محمود الحبوبي

من القصيدة التي نالت الجائزة الثانية في المسابقة الادبية التي اشترك فيها جماعة من شعراء النجف وادبائها البارزين وكان ذلك في ١٥ ، ٣ ، ٩٤٥

دم العروبـة غـذى جسم لبنان ... وانبت الفضل فيـه مجـد غسان
والضـاد قد غرست فيه وشائجها ... فالأرز بالضاد أضحى عـالي الشان
كلاهما منـذ بدء الدهر ما افترقا ... فالضاد والارز في لبنـان صنوان
هـذي العروبة بالايمان قد بعثت ... فجددت مجـد قحطان وعدنان
عنوانهـا اليوم لبنان وهل عرفت ... بان لبنـان فيها خـير عنوان
تلك الجنـان الـتي باحت محاسنها ... بسر ما اكتنزت من سحر رضوان
يكفي من الغيـد فيها كل فاتنة ... قد صوّر الحسن فيهـا أي فنـان
يا بنت لبـنان مدّي للعلاء يـداً ... فمجد لبنان تعليه يـد البـاني
هـذي الوفود وقد جاءت تبشرنا ... بوحـدة العرب من قاص ومن دان

أنعم بها وحدة كبرى مقدسة … قد زاد من شأنها سلطان لبنان

حسن الجواد … قائمقام النجف

– لبنان ذا المرأى الجميل … ومنارة المجد الاثيل

ومنى النفوس الظامئا … ت الى النمير السلسبيل

أجبين صبحك يسحر الا … لباب ام ذهب الاصيل

*

كيف الاحبة والرفا … ق ذوو العلاء المستطيل

المطمئو الارواح أثما … ر القرائح والعقول

الناشرو الأداب بين … الناس جيلا بعد جيل

الحارسو شرف العرو … بة من مناوءة الدخيل

خلق أرق من الشما … ل ومن مروقة الشمول

نشتاقهم شوق البلا … بل للخمائل والحقول

علي الخالدي

قالوا – وقد طويت اضلاعهم حنقاً … على الضغائن – من زور وبهتان

لبنان . ماذا بلبنان وجيرته … الا ملاعب غادات وولدان

ووارفات من الاغصان تحسبها … أهداب جفن مريض اللحظ وسنان

وفاتنات من الحور التي درجت … بين الجنائن في اكناف رضوان

لكن نيسان ابدى كذب زعمهم … بثورة صرحت عن مجد لبنان

تلك التي حمت استقلال دولته … فوطدتها وصدت كل عدوان

عبد الرسول الجشي

سلوا بلبنان ابناء واخوانا ... لمن سقوا بالدماء الحمر لبنانا

إنا وللعرب في لبنان مفخرة ... نأسى للبنان إما بات أسوانا

نودّ نلقاه معتزاً به عرب ... قد فرقتهم يد الاحداث اوطانا

سروره من زمان قد يُسر به ... سرورنا ، ورزاياه رزايانا

فكل قلب اليه شيّق طرب ... يمسي ويصبح من نجواه جذلانا

ثغر الجزيرة لبنان فان بسمت ... لنا ففي بسمات منه تلقانا

نهفو لواديه ووديانا زهت والى ... شطآنه الراقصات الماء شطآنا

تبسمت كجنان الخلد وارفة ... ظلالها وزهت حوراً وولدانا

جرت مع الطل أرواحاً وقد نفحت ... مع الرياحين أكماماً واردانا

دمٌ الى بعضه يهفو فهل عجب ... أن شاق لبنان اخواناً وخلانا

يشكو اختلافات أديان وليس بنا ... داء سواهن طالت منه شكوانا

هادي محبي الخفاجي

في منزل شيخ العراقيين .

الشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء

لا يكفي المرء ان يكون عالما او شاعرا او اديباً او زعيما ، ليكون خليقاً بتسجيل اسمه في عالم الخلود فلست اعرض في هذه الرسالة التي اوحتها الي ذكرى اجتماعنا في منزلك يا ابا هاشم ليالي كانت مشرقات بوجوه الاحبة ، لست اعرض فيها لشيء مما قمت به امام نزيلك وبين يدي زائريه من اعيان وشعراء وادباء النجف ، بين كرم نفس وسخاء يد ولكني اريد ان اعرض لشيء واحد لم يفطن له غيري في ذاتك ذلك هو :

ان قليلا من الناس من يرى اليوم ان الجمع بين الادب والكرم هو من اشرف الخلال التي يتحلى بها الانسان فما اشبهك وانت في النجف بالشيخ عارف الزين وهو في صيداء ، فالادب الذي تحليتما به واحد ، والكرم الذي حلى هذا الادب فيكما واحد ، ووراء هذين شيء آخر اسمى منهما ، هو ان الكرم فيكما طبع فطرتما عليه ، فلا منّ ولا استكثار ولا شيء من

اعجاب يخالجكما فيما تبذلان بين يدي الضيف مهما سما او اتضع .

فانتما يا اخي فرسا رهان وهاتان مجلتا كما في صيدا . والنجف همـا نبراس الفضيلة في طائفتنا ، لا يشوب ادبهما فسق ، ولا يشوه علمها الحساد ، ولا يغشى سماءهما المشرقة بالعظات والعبر ظـلام تتفيه الامة في طليعة جيشها الزاحف الى النور ، فالعرفان هي مدرستنا الاولى التي غذتنا بلبانها الصرف الذي لا يشوبه غش و والغري نطالع فيها اليوم مدرسة جديدة حافلة بالعلم والادب في حديقة عامرة بالاخلاق التي نحن في امس الحاجات اليها اليوم .

والنجف حريصة على ان تلد مثلك ممن يجمعون الخلال السامية ، فانت صحفي تخدم باخلاص ثم لا تبالي ما تجني عليك صحيفتك من عوز اذ علمت انك منذ سنين لم تتقاض مشتركا ولم تقطع عمن لم يلب طلبك ، وانت سخي جواد تفتح بابك في وجه كل اديب يرد النجف ثم لا يرى في طبعك ما ينغص عليه هذا السخاء ، وانت بعد ذلك كله عضو عامل في الرابطة الادبية ومهرجان ادبها الحي ، فما ترقب ان تكون فوق ذلك وهكذا نرى زميلك ابا اديب في صيدا . يتلقى بصدره الرحب وخلقه الكريم وادبـه الفياض كل اديب يزور جبل عامل او يخرج منه .

والنجف في العراق كصيدا . في جبل عامل ثم العرفان في صيدا . كالغري في النجف نجد هذه مرآة لرابطة الادب في النجف وتلك مرآة لرابطة الادب في عاملة .

فما اجمل لياليك يا ابا هاشم وما اروع تلك الحفلات التي كنا نقصدهـا ونتعاطى فيها كل شهي من ثمار الادب والعلم ، ومـا اروع ليلة « حواء »

فيها أتذكر ؟ او نعود الى الغري ونحي تلك الليالي وتعود مشرقة بوجوه الحبوبي والجعفري واليعقوبي والخالدي والخضري والصراف والبلاغي والهاشمي وسميسم والصغير والعكام والجشي وغيرهم من الاخوان الذين اراهم معي حيثما كنت وايما حللت ؟

أنعود يا ابا هاشم وتعود تلك الليالي الخوالي ويلتئم مرة اخرى شمل اناس لم يجمعهم غير الادب ولم يؤاخ بينهم الا الفن، ولم تمازج ارواحهم الا ليكونوا عصبة يكافحون الجهل ويناضلون في سبيل العلم والادب ؟

ان الادب لكفيل بان نعود ، وان الاخلاص المتجلي في الغري وهي تخدم العلم والاخلاق ، وفي الرابطة الادبية وهي تخدم الآداب والفنون ، وفي الاندية النجفية وهي تخدم العروبة والسجايا الهاشمية ، ان الاخلاص في كل ذلك لزعيم بان يلتئم الشمل وينتظم العقد مرة ثانية تحت سماء الغري ، وفي ظلال النخيل وبين يدي صاحب القبة الغراء مولانا ابي الحسن .

فالى اللقاء يا ابا هاشم !

في منزل ابي شهاب رئيس بلدية النجف :

السيد احمد نجم

لقد جاء دورك يا ابا شهاب ، أتراني القي التبعة على الحجة الاكبر السيد ابي الحسن اكثر مما القيها عليك ؟ وليس معنى ذلك انك من هـذا الصنف الروحاني ، ولكنك في اسرتك الشريفة العريقة في المجد النجفي ، وفي منصبك المحافظ على المدينة (رئيس بلدية) وفي شهـامتك التي لمستها تتوثب بين جنبيك ، اراك في كل هذا مسؤلا عن النجف عمرانا ونظافـة واستقراراً ، اكثر من كل انسان يقطن هذه المدينة دينياً كان او مدنياً .

لا تحسب ان منصبك هين في جنب ما هو مسؤول عنه من عمل ، ان في استطاعتك وانت في النجف ، ان تعمل عمل امين العاصمـة في بغداد ، لان اصلاح النجف من حيث تنظيم الشوارع ونظافتها وتطهير المنازل من الاقذار والحياض المتعفنة منوط بمنصبك انت وحـدك ، ولم اقصر يوم زرتك في مكتبك وتحدثت اليك عن واجبك وانت مسؤل امام الله في بلد هي عاصمة

ستين مليونا ، على حقارتها ، فقد يزورها الغربي والشرقي من عالمي الارض قديمها وجديدها من اميركا حتى بلاد الصين ، ويأخذون عنها صورا يتراءى للعالم اجمع ميزان قومك علوا وانحداراً .

وتحدثت اليك ايضاً ان السفير الاميركي زارها يوم كنت بينكم وانه كان يمر في ازقتها وهو حائر الاعين في كل ما يقع عليه بصره من تشويش في البناء وتعريج في الازقة وظلمة في الشوارع وقذارة في الزوايا والمنعطفات ، ولقد قرأنا على وجهه وان لم يفصح عوامل التذمر والازدراء وكاد ان يفصح على لسان العلامة الزنجاني بما نعتذر عنه من نقد وتلميح ، أفيرضيك وانت رئيس البلد مجدا ومنصباً ان تحمل النجف هذه الصورة التي ملأت نفس الزائر علما بامة تعد عشرات الملايين في العالم ثم هي تزعم صلتها الوثيقة باهل بيت محمد ومحمد يقول : ليس منا من غش او قذر او نجش » .

وتحدثت اليك : انا نحن المسؤلون عن كل ما يحدق بالطائفة من خطر ديني او مدني ، واذا قلت نحن فانما اعني الفئة التي تحسست الحضارة الحديثة واشرفت على الحياة من نافذة المدنيـة ولم تتورع في طريقها الى الكشف والتبصر ، فليس المسؤل هذ العالم او الطالب الذي يقطع العشرين او الثلاثين من سني حياته بين السرداب والسطح ، ولقد اكثرنا من نقده وتقريعه فلو كان مؤهلا لان يتحسس ما تحسسنا او ان يقوم بما نستطيع القيام به لما قصر ولكنه قاصر بطبعه ولم يخلق لغير الدرس على الشكل الذي اعرفه وتعرفه انت .

الا ترى ان المؤسسة الجعفرية التي وصلت الى الذروة وستصل الى القمة بفضل الهمم الوثابة التي تهيمن عليها من اعيان قومك ، الا ترى انها مدينة لهذه

الفئة التي احشر نفسي واحشرك معي في عـدادها وان لم يكن لنا شرف العمل معهم ، ولكن ارواحنا بين ايديهم وقلوبنا معهم ، ومن احب قوماً اشركه الله في عملهم ، هؤلاء هم مسؤلون كما نُسأل عما لا ينبغي ان يحمل تبعته علماؤنا الاعلام ، لما شجر بينهم من تنازع ، واستعصاء هذا الداء علينا وعليهم انفسهم فلا يطيقون استئصاله حتى يقيض الله لهم من يحمـل السيف والقلم معاً وذلك ليس بكائن حتى يعود المصلـح الهاشمي الاول او يبعث الله لنا خليفته المهدي المنتظر .

ولا انسى انك تمحلت بالاعذار ، وكنت حريصـاً في تبرئة نفسك مما القيت على عاتقك ، وان أعذارك كانت قاصرة على وقوف العلماء وغيرهم في وجهك اذا اردت ان تنقض امرا او ان تبرم امرا ، واراني غـير شجاع في قبول عذرك ، فقـد رأيت قبلك ابا عامر لطفي عـلي ، ورأيت قبـله الاستاذ صالح جبر ، وقبلهما الاستاذين احمـد زكي الخياط والسيد جعفر حمندي ، وكلهم قد رقى منصبا عمرانيا من قائمقـام الى متصرف حتى اتصلوا بالوزارات وكانوا في جميع ادوارهم يعملون ما تعتذر انت منه ، وليس ذلك ناشئا عن سلطة اوسع من سلطتك او سلطان اقوى مـن سلطانك ولكن اعتقد انهم كانوا اشجـع منك لا اكثر اخلاصـاً ، لاني رأيت اخلاصك لا يشوبه شك او ريب ، وانما ينقصك الجرأة مادة وادباً .

ان اكرامك لي في دارك العامرة على شاطيء الفرات بكوفة الجند امام ذلك السماط العربي الفخم الذي التف حوله آنذاك من اعيـان وعلماء وادباء النجف والكوفة جم غفير ، وفي الاحتفال الذي سبق هـذا السماط في بهو

المنزل ، وما دار فيه من اطراء وثناء وادب وفن ، ان هذا الاكرام يكون كافياً في ان اقتصر من رسالتي هذه على مدحك ومبادلتك الثناء المسهب ، ولكن صراحتي وجرأتي واخلاصي لادبي يربني كل اكرام تفضل به علي اخ من اخواني عبثا اذا لم اؤد رسالتي على اتمها بين يدي الله الذي خلقني واكرمني قبل ان يخلقني ويكرمني احد سواه .

ان مأدبتك تلك واكرامك ذاك يكاد ينهد الى مصاف المآدب العليا التي اقيمت لي في النجف وغيره ولذلك يكون شكري اك على قدر اكرامك لي ، ولكن هذا لا يحول دون اسدائي اك النصيحة التي يسديها الاخ لاخيه والصديق لصديقه .

واعود فاقول : انك من كرام قومك مجدا وحسبا ومنصبا ، وانك في عهد يؤاتيك ان تعمل ويعضدك في العمل رجال هم فوقك في المنصب والناس يحدقون بك من سراة قومك ، وانت بعد ذلك كله على شيء غير يسير من فهم الحقائق وفهم الواجب وفهم الانسانية ، وان المرء لم يخلق ليأكل ويشرب وينام ، ولكنه انسان ومسؤول عن انسانيته لينتظمه السلك الذي ينتظم من سبقه من حفظة الحق ومضيعيه ، والأمنة على الناموس الاعلى والخونة فيه .

فاعمل يا اخي فان لله عينا ترعى العامل ويدا تكلأه وجناحاً من الرحمة يحنو عليه ، فاني رأيت النجف اكثر من كل بلد عوزا وفقرا للعمل المنوط بك وبامثالك ، واري انك المسؤول الاول بين يدي الله يوم الحساب الاكبر ، فعسى ان اعود اليك واراني حرا في السير على الطريق واجتياز الشوارع دون ان احتاج الى اربع اعين تريني ما يسد الطريق علي من كذا و كذا ..

ولا بد لي قبل ان اختم هذه الرسالة اليك من ان اسجل شكري لمهرجان الأدب الحي المنعقد في منزلك آخر ليلة غادرت النجف في صبيحتها ، فقد شعرت اني كنت عزيزا جدا بينكم و كنت مغتبطاً بما ختمتم به الجلسة من شعر كان وليد اقتراحي عليكم (في المهاجر) واراني آسفاً جداً أن لم يحضرني ساعة تحبير هذه الرسالة الا ابيات للسيد الحبوبي احد اركان المهرجان المذكور :

طلب المعالي — والطموح شعارُهُ — ... فاذا الكواكب في السما سمارهُ

هجر البلاد وقال : يانفس اتركي ... ذكراً يدوم مع الزمان فخاره

ويعيش حراً نائياً عن موطنٍ ... عاشت عبيداً فوقه احراره

يسعى الى آماله بعزائمٍ ... لا البعدُ يثنيها ، ولا اخطاره

ماذا يريدُ ، لقد تسامى مطلباً ... حذرته وهي بأفقها اقماره

خاض البحار بمثلها من همه ... لتقرّ في « الدنيا الجديدة » داره

وطوى الشعوب قريبها وبعيدها ... لتسير بعد غدٍ بها آثاره

ما ضرّه أن لا تشع كواكبٌ ... تهدى الأنام وبعضها افكاره

ومضى يقول لمن يحاول صدّهُ ... عن غاية شخصت لها ابصاره

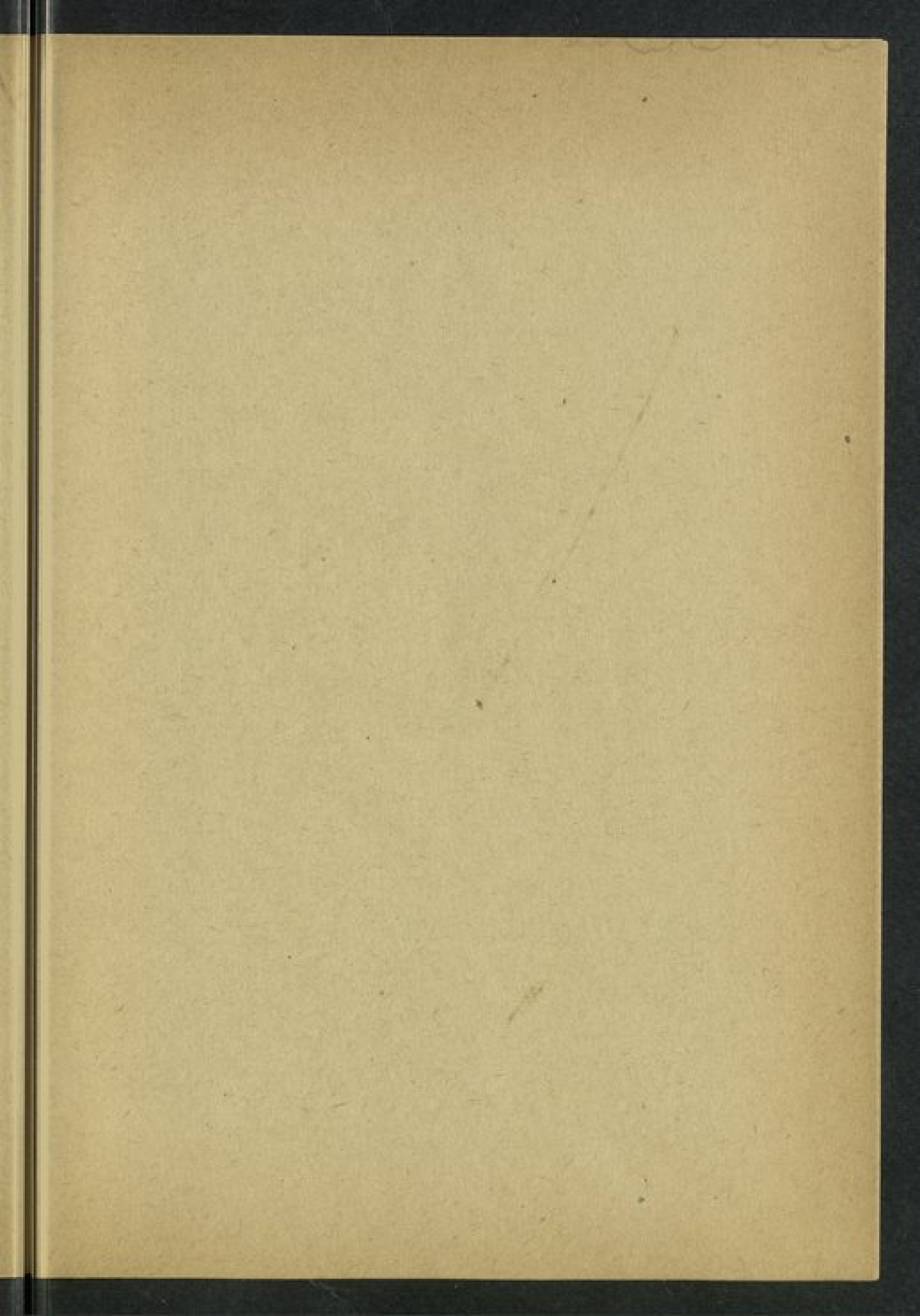
دعني اغامر فالمنى محظورة ... الا على من لا يقر قراره

دعني واخباري تجدُني غداً ... إن لم تجد خاملاً اخباره

أنا — يا أخي العربيَّ — طائرُ أيكةٍ ... لم تحمه ببلاده اوكاره

حُصّت جناحاهُ بأيدي قومه ... قبل العدو ، وقلّمت اظفاره

النجف — محمود الحبوبي



ليالى الاعظمية

في منزل نائب لواء الحلة في المجلس التشريعي العراقي

الزعيم السيد جعفر القزويني

ما اشوقني الى ان اعود اليك يا ابا موسى لا لشيء مما يزعم الناس انه صلة بين الانسان والانسان كالطعام والشراب ، ولا لان منزلك يعد في طليعة القصور الحافلة بارباب الفخامة او المعالي او السعادة ، ولا لانك من هؤلاء الذين يجلسون على الكرسي الفخم في المجلس التشريعي .

احب ان اعود اليك لا لشيء من هذا كله ولكن لان بيتك احفل البيوت باهل العلم والادب ، ولانه افخم النوادي القائمة على تعزيز الآداب والفنون ، أفلست هاشمياً ؟ او ليست الهاشمية مهبط الوحي ؟ او ليس الوحي مصدر العلم والادب والفن ؟ اذن فبيتك شريعة ينهل منها الوارد والصادر ، فلا بدع ان كانت ليلتنا في ناديك من اروع الليالي التي تشرق بوجوه اهل البدع الرائعة في الادب .

لقد ضمتني عشرات المجالس في عشرات الليالي عند من يفتح بابه للمجاملة

الكاذبة فتتهافت عليه عبيد الالقاب وعشاق المناصب ، فلا اسمع الا كلمات تلهج بها السن احكمت درس النفاق حتى كأن لغتها الخاصة لا تستطيع ان تلهج بغيره ، كلمات : السعادة ، الفخامة ، المعالي ، باشا ، بك ، وغير ذلك من الالقاب الفارغة ، فما اكاد اصدق اني انجو بروحي من نهاق المتملق وعنجهية المتملق له ، ولدى ان اغادر المكان الموبوء استقبل النسيم وافتح لرئتي أن تأخذا منه بمقدار ما يخفف عنها وطأة الحمى الخبيثة الناشئة عن سوء الهضم .

اما ناديك يا ابا موسى ، فلا تملق ولا رياء ولا مجاملة ولا عنفصة ولا عنجهية ولا خيلاء ، ثم لا قيد يحول دون ان تتحرر ، ولا حياء في دين او ادب ، يقول جليسك حراً ويجلس حراً ويأكل او يشرب حراً ، واذا شاء ان يتنادر او يفكه لم يقف في سبيله خوف او مصانعة او حياء ، جليسك حر ، وضيفك حر لانك انت حر والحر لا يجالس ولا يستزير ثم لا يستضيف الا حراً

كانت ليلتنا في مجلسك حافلة بشعر « فلان » قبل كل فن او ادب فقد كان الشبيبيان ، حفظ الله مهجتهما ، يستغربان كثيراً ان يكون رئيس حكومتنا بالامس هو المعني بكلمة « فلان » حتى اثبتّ لهما مناصبته العداء لكل عبقري وكيف يعمل ليل نهار على ان لا يذكر اسم الهاشميين اذا قيل سوريا الكبرى او وحدة العرب ، وكيف يعمل على هدم من يرى نفسه تطمح المنصب الهاشمي ؟؟ فهو وزملاؤه في حيرة اقضت مضاجعهم بين سوريا والحجاز ، وبين دمشق وبيروت يتهامسون ويتآمرون حتى اصبح الشبيبي الرضا شوكة في عينه اذ يقول :

بغداد اشتاق الشآم وها انا ... الى الكرخ من بغداد جم التشوق
هما وطن فرد وقد مزقوهما ... رمى الله بالتشتيت شمل الممزق

واذ يقول :

شر العصور، وفي العصور تفاوت، ... عصر به تتقدم الاوغاد
انظر الى الاعجاز كيف تصدرت ... وعمائم السادات كيف تداس

وحتى اصبح الشبيبي الباقر شجا في لهاته اذ يقول :

لا يصبح الحكم شعبيا نلوذ به ... حتى ترد الى الشعب الحكومات
رأيتهن دويلات ممزقة ... أتستقل غداً هذي الدويلات
اين المساواة في الدنيا انلمسها ... هيهات تلمس في الدنيا المساواة
كفى انعزالك يا لبنان عن وطن ... فيه امانيك بل فيه الامانات
تآمروا فاستباحتنا مكائدهم ... ومن مكائدهم تلك الامارات
عجبت كيف يعيش الظلم في افق ... تحدرت من اعاليه النبوآت
أسمع ببغداد اخوانا وعائلة ... تجب نداءك اسياف ورايات

من يقول هذا القول لا يعجب « فلانا » لان الوحدة تقضي عليه ويكون عاديا كسائر الناس او يجلس كغيره على كرسي في مجالس التشريع واما ما تمنيه نفسه من ان تشخص اليه الاعين او تومي. اليه الايدي فذلك وقف على المخلصين وما اقلهم في الامة ان تعديت البيت الهاشمي

اما ابو كمال واسرة الساعة فقد كان السكر الطبيعي يعبث بشمائلهم وهم يسمعون عبث الشاعر بمجالس التمثيل التي ينتزى على منابرها قرود لا تعرف للعروبة وجها

هكذا كان المجلس في ثويك يا ابا موسى ، وهكـذا يجب ان تحفل الاندية ليحن اليها الاديب والعالم والفنان ، فبمثل هـذه المجالس المتوالية ، وهي عميمة في مدن العراق اليوم ، بمثل هذه وبما يدور في ابهائها من ادب وعلم تتمشى الامة الى الدور الذي تشفعه بجد طريف ، وعلى مثل هذه الدواوين الحافلة بالادباء يقوم كيـان الامة ناهضا الى حيث تستهدف السيادة في العالم العربي ٠

فلكل عين من اعيان الامة العراقية ديوان ، ولكل ديوان يوم خاص في الاسبوع يلتئم فيه شمل الفئة الخاصة من علماء وادباء ولكل مجلس من هذه المجالس ميزة من تفكير او تحبير او تحرير ، والهدف الاول لهـذه المجالس هو استئصال الجهـل الغامر في مجالس كانت تعقد للبطـالة والتسلية كمجالسنا اليوم في بيروت ، فما دخلت مجلسا الا كان قاصراً عـلى الرسميات والتقاليد الغربية والشراب الآخذ بالعقول والاحاديث العارية ممـا يشرف بنا على التفكير الجدي فيما نحن فيه وفيما سنؤول اليه ٠

ان هذه الدواوين هي في الحقيقة مدارس ولم يفتني في الجزء الاول ان آتي على شيء منها ولكنها اذ انتظمت وتعززت واستهدف اهلها توجيه الامة نحو الآداب والفنون كانت ابلغ اثرا في المجتمع من المعاهد اليومية والحفلات التي تعقد للخطابة والدعاية ٠

افلا ترى يا ابا موسى ، ان مجلسك هذا ومجلس الدكتور شريف عسيران ومجلس ابي تيمور ومجلس الدكتور سليم نعيمي هي مـدارس شعبية تعطي دروسها للمجتمع مباشرة ؟ أوَما نقلت الصحف صورها الى المجتمع فكانت

« الساعة » والنداء » والعالم العربي ، الواحها الحساسة ؟ وهذا وحي الرافدين أليس مرآة للعالم العربي يرى من خلالها ظل هذه المجالس طافحة بالآداب او العلوم ؟ أفتكون الجامعة غير هذه؟ أو تكون الحضارة من غير تلك المجالس وهي تسبغ على الامة عصارة ادمغة المفكرين من رجالها الاحرار ؟

فدواوين النجف ، ودواوين بغداد ودواوين الاعظمية ودواوين الكاظمية يتصل بنا ، ونحن في لبنان ، ما تنتجه من روائع البدع في الفنون والآداب ، تلك الصحف النجفية : الغري والهاتف ، وصحف بغداد : عالم الغد والزهراء والساعة وفي كل من هؤلاء ما يبشر بان في العراق نهضة سوف تحلق به فيزداد بعدا في عالم الرقي ويجرنا وراءه بعد ان كنا في طليعة الجيش الذي يتأثره هو :

واسمح لي يا ابا موسى قبل ان اختم هذه الرسالة بان اعترف ان للنجف يدا بيضاء على الادب اليوم بما يردنا على صفحات الغري من نتاج هذه المجالس التي تعقدها رابطة الادب تحت اسم « مهرجان الادب الحي » ولعل مجلة العروبة ستعنى قريباً بتشهير هذه المجالس والنداء عليها وايصال هذا الصوت الى العالم العربي ثم يتجاوزه الى عالم الغرب ، ارجو ان يكون فيما تقدمت به اليك تعزيز لمجالسك وان تكون كلها برينة لما يعلي قومك ويرفع شعارك ويعز امتك .

في منزل الدكتور سليم نعيمي

محرر جديدة العالم العربي وخريج جامعة باريس ومعنا الاساتذة :

عبد الرحمن البزاز	خريج لندن
حامد مصطفى	خريج باريس
بهاء عوني	خريج باريس
نهاد عبد المجيد	خريج بيروت
سعدي خليل	خريج بيروت
محمد علي الجبار	خريج بيروت
امين احمد	خريج دار العلوم
نعمان العاني	خريج دار المعلمين
محمد علي فارس	خريج دار المعلمين

لعل اروع ليلة تفتحت فيها علي ابواب السماء حتى كدت ابصر ما لا تراه العين واسمع ما لا تعيه الاذن واحس ما لا تشعر به الجوارح ، هي تلك الليلة التي جلسنا قبيل مغيب الشمس فيها على جناح قصرك المكلوء بعين الله، على تواضعه ، ويا لله للشمس ينعكس خيالها في دجلة فيتكسر ويكاد بريقه يخطف الابصار

شرفة نطل منها على النهر في اجمل ساعاته واروعها من اصيل ايام الربيع فتعود بنا الذكريات الى ايام الرشيد والمأمون ثم لا ينقصنا شيء مما تمتعوا به ، هذه الحور والولدان بين ايدينا من ثمراتك تحمل الينا الشراب ، على صغرها، وهذا الواحي يحمل الينا الحان مصر وبيروت وبغداد ، فيغنينا عن القيان ، وهذه الندامى تحمل الينا الثقافة الغنية بالاداب والعلوم والفنون من لندن وبرلين وباريس ونيويورك وبيروت وبغداد ، فماذا ينقصنا لنكون من سمار المأمون او الرشيد وماذا ينقص مجلسنا ، والمكان واحد ثم الزمان واحد ، وهل المكان مياه جارية وقصور شامخة وحدائق غناء فقط ، أو هل الزمان شمس تشرق وتغيب ونهار يذهب وليل يجيء فقط ؟ ؟ كلا ! ان المكان

والزمان هما انا وانت يا سليم وهذه الفلذ التي لفظتهامن كبدك فجاءت تمرح بين ايدينا ونحن نشرف على الحياة من شرفات بيتك .

أفما كان القصر وما فيه من مقاعد ومناضد ، وهـذه الرياض وما فيها من خمائل ملتفة وادواح باسقة ، أفليس كل هذا من عمل الانسان ؟؟ ولم لا تكون هذه الشمس وهذا القمر وتلك الكواكب التي تحدث الليل والنهار من عمل انسان ينحدر الينا بالفكر ويصعد عنا بالازلية ثم يتعالى علينا بانه اقرب الى القوة العليا المنبثقة عن مبدع الكون الاول وهو الله ؟؟؟

أتسائل واياك عن الجمال اذ ذاك ، لما بعثه في نفوسنا ذلك المشهد الرائع من اثر سيبقى خالداً في هذه النفوس ما حيينا ثم يتحول في اعقابنا الى فكرة يدركون بها سر الجمال على الشكل الذي ادركناه ، وهذه الفكرة هي التي تنتقل مع النطف متغلغلة في المادة تتحول من كون الى كون ويتحول بهـا الخلق من عالم الى عالم ، ويتطور العالم بها من فن الى فن ثم يتحور الفن بهامن نظام الى نظام ، الا ترضى عن حصري كل ما يزخر بـه الكون في حيز النظام يا سليم ؟؟

الجمال الذي نتغنى به على هـذه الضفاف وبين يدي ذلك النخل الباسق وهذه الغيط الفيحاء وفي تلك الحلقة التي انتظمتنا تحت سمائك من اقطار شتى تجمعنا روح واحدة ويهيمن علينا مبدأ واحد ؟؟ وما هو هذا الجمال ؟؟ وهل هو الا نظام يشتمل على سلسلةافكارنا القائمة في اجسامنا وهي ترينا الجمال وفق ما تراه هي في عالم يتصرف بها كما تتصرف هي فينا؟؟ وهل النظام بعد ذلك كله الا قيد نكبل به نفوسنا ونستعبد له جوارحنا ثم نزعم ان الجمال في الحرية

ونحصر الحرية في انها على النقيض من كل ما يشعر بالعبودية ؟؟

كم يتقهقر القائلون بان الجمال في الحرية والحرية عدم القيد ، يريدون بذلك ان المرأة « مثلا » اجمل ما نراها وهي حرة لا يحول دون ما تفعل بطبعها قيد تتقي به النقمة في المجتمع ، حتى اذا مشت بها التقاليد الى ما تقول او تفعل مجها الطبع وناءت بها الروح ، على اني ارى في ذلك بعض الحق لا الحق كله ، وقد يكون الحق في عكسه ، اي انا قد نرى المرأة اقبح ما تكون وهي حرة فيما تقول او تفعل حتى اذا قيدها المجتمع بتقاليده خفت على الروح واستساغها الطبع

قد نضع في معرض الاستفهام امرأة تسكن فتسمج حتى اذا تحركت ، ناطقة او مشيرة ، كان الجمال وقفاً على حركاتها ، واخرى تتحرك فتبدو اسمج ما ترى العين وتحس الروح حتى اذا سكنت كان في سكونها خفة على الروح وقرب من القلب ، ذلك لماذا ؟؟

وقد نعرض كذلك امرأة تامة العرية من اللباس فتبدو اجمل ما ترى العين حتى اذا قيدها المجتمع بثوب من ابداعه بدت ثقيلة الظل نابية المظهر ، واخرى اثقل واسمج وهي في عريها ، حتى اذا ادرعت ما اسبغه الفن عليها من قيد في زينة اوزي ، اخذت منها العين بما يأسر القلب ويهز النفس ، ذلك لماذا ؟؟

لا ارى للحرية التي نتغنى بها ونتفانى عليها معنى جامعاً احكم وضعه اديب او سياسي ، وانما يطلقون هذا اللفظ ويريدون منه ما يقابل القيد والاستعباد ، فيريدون بالرجل الحر من لم يتقيد في اعماله واقواله بما سنه المجتمع او القانون ، وبالعمل الحر والقول الحر ما يصدر عنه وهو متلبس بتلك

الصفة ، وهو خلاف الحقيقة فيما نلمس ونحس اذ نرى كثيرا من الاحرار من ندرك العبودية في انتاجهم وان صدر عنهم تحت تأثير الفكر المقيد والضغط المستحكم ٠

فالحرية التي نحلم بها ليست نقيض العبودية والاسترقاق والا امـدنا الى الوحشية اذ الحر في اساس اللغة ضد العبد و كلاهما مفقود في العالم فليس منا من تحرر حتى من الاخلاق والقوانين التي هي قيود ولا من تقيد حتى بالتقاليد المسفة والعادات الدنيا ٠

هذه الحرية مفقودة في انسان اليوم والا لما كان مدنياً بطبعه ، والمدنية وليدة القيود الاجتماعية التي يسنها الحكيم في سبيل التمدين ليخرج بهـا الانسان من ظلمة التوحش الى نور المدنية والعمران ،فالعبودية اذن هي طبيعة فينا تأصلت مما نتواضع عليه في سبيل حياتنا الاجتماعيـة حتى اصبحت جزءاً منا واصبحت هي الجمال بعينه ٠

فاذا كتبنا – مثلا – ونحن ملاحدة لا يؤثر علينا دين، وشذاذ لا يربطنا مجتمع ، ومردة لا يمسكنا قانون ، فلمن نكتب والمجتمع خاضع لكل ذلك حتى اصبح خضوعه جزءاً منه ومتأصلا فيه ؟ والفتـاة التي تحررت من قيود المجتمع والدين ، لمن تخرج عـارية الجسد لا يمسكها حياء ولا خوف، لم ترفع شعرها المواسك ولا دققت حاجبيها او عنمت اناملهـا يد الفن ؟ لمن تخرج وكل ذلك يسمو بها في نظر العالم والاديب والفنان ؟ أفي هذا كله حرية لها وتكاد تذوق الموت وهي تمط حاجبيها وترجل اهـدابها وتدلك وجهها وتضغط خصرها ونهديها ؟

الدين والمجتمع والقانون قيود للفرد سلختة عن طبيعته وقربته من العالم العلوي عالم الوحدة والسمو ، اذ هي « اي القيود » وحي هذا العالم والحرية التي ينبغي ان تكون مظهراً للجمال ، هي اعتدال هـذه القيود في تهذيب الانسان لا نابية عنه ولا موغلة فيه .

فالتقاليد الاجتماعية قد تحول دون المرأة واسترسالها حرة فيما تقول او تفعل فتبدو سمجة ثقيلة الظل حتى اذا تحررت من هذه التقاليد فقالت حرة وفعلت حرة خفت على الروح وسمت في النفس ذلك لأنها جميلة بطبعها والحرية كشفت عن حالها فكانت احدى ظواهر الطبيعة .

ورب فتاة قبيحة بطبعها خففت القيود والتقاليد شيئاً من هذا القبح فيها اذ استترت وراءها فهي في ثوب جميل الزي قيدها به المجتمع قد احكمت تقليد الحسناء في حركتها وسكونها ، فبدت كالحسناء وان لم تكنها ، حتى اذا تحررت من هذه القيود مجها طبعك ونفرت منها نفسك فكانت الحرية كاشفة عن قبحها لأنها احدى ظواهر الطبيعة فيها .

فالحرية ليست مظهرا فيك للجمال ، حتى تكون مطبوعاً على الجمال فتكشف الحرية فيك عنه والقيد ليس مظهراً للقبح فيك حتى تكون مطبوعاً على القبح ، فيأتي القيد كاشفاً عنه ، الا اذا اعتبرنا ان الجمال وليد الراحة في النفس ، وهذه الراحة لا تتوفر الا مع الحرية ، والعبودية اشد ما تعانيه النفس في الحياة ، فيصبح معنا اذ ذاك ان نعتبر الحرية مظهرا للجمال النفسي ، وذلك خلاف ما نتواضع عليه من ان الجمال هو مـا ترتاح له النفس بما تشعر عن طريق الحواس .

فما تراه العين او تعيه الأذن او تلمسه اليد مما تواضعنا عليه انه جميل وانه سام حتى اصبح هذا التواضع جزءاً من حياتنا متأصلا في نفوسنا ، ذلك هو الجمال ولن يتوفر هذا كله في الحرية وحدها .

قد ازعج الناظر اليّ وانا اطأ الارض برجل كبيرة لا تخلو من قبح ، وربما اسبغت قبحها على ما يليها ، فاذا البستها حذاء ضيقاً جملها ، او خفف من قبحها على الاقل ، ولكني وانا البس هذا الحذاء لا استطيع المشي كما احب لا استطيع القرار ، بل لا استطيع التفكير ، حتى افك شريطه ، حتى انزعه من رجلي ، حتى ازويه ثم لا اراه ، ولا اجمل من أراني ويراني غيري ، وانا أحكم ربط الياقة في عنقي وطبعي يأباها ، حتى كأن بينها وبين الحذاء الضيق نسبا في مضايقتي ، فما اجدني حرا فيما اقول وافعل حتى انزعها من عنقي فهل في هذا القيد وذاك قبح وفي التفلت منه جمال ؟ يكاد يكون الجمال وقفاً على الفن ، ويكاد يكون الفن قيدا ، منه ما اصبح غريزة في الانسان ومنه ما لا يزال يلقن كالعلوم ، فاذا رأيت امرأة جميلة بطبعها روحاً وبدنا ، فقل ان هذا الجمال هبة ورثتها من امهات مرت بهن آلاف العصور يحذقن فن التجميل حتى اصبح طبعاً في بناتهن وانتهى الى هذه .

واذا رأيت امرأة قبيحة تفتن في خلق محاسنها فقل انها امرأة بدأت فن التجميل وسينتهي طبعا في بناتها بعد الاف السنين من الأجيال ، حتى يصبح الفن الذي هو احد قيود المجتمع طبيعة فيهن

فالحرية التي تكشف عن جمال المرأة اذن ، هي احد قيود الفن المتأصل في نفسها ، وانا اسميناه حرية لانه لم يتقيد بما سنه مجتمعنا الحالي من خلق او

دين ، ولكنه وليد مجتمع اخفى عليه تعاقب الاجيال البعيدة عنا

انا مجبر بطبعي الاخير ان لا اتناول الطعام بيدي دونما آلة كما يقتضيه طبعي الاول ، وانا مجبر ان ارتدي للسوق والمكتب والمحفل بين الناس ثوبا خلاف الثوب الذي ارتديه في منزلي وبين اهلي

انا مجبر بطبعي المكسوب على ان اسكن منزلاً يحفظ كرامتي في قومي يشتمل من الاثاث والأمتعة على ما قد اكون في غنى عنه لولا قيود المجتمع

وقد اكون مضطراً بطبعي لان اتحدث غير حر واشير غير حر ، وامشي غير حر ، واجلس غير حر ، ثم اراني مغتبطاً بحياتي الكاذبة ، لأن فيها اقرار المجتمع على ما يحب وانا فرد منه ، ولان في التحرر منها قبحاً يمقته المجتمع ولا ارضاه لنفسي

انا مضطر بطبعي الكسبي لان اجم شعري على كل رأس اسبوع وان احلق لحيتي يوما فيوما ، وان استحم صباح كل يوم ، وارى نفسي ميالة بطبعها الاول الى التفلت من هذه القيود ، ولكنها ، وهي حرة منهن ، بغيضة الي هينة علي ، حتى لأرى القبح وقفاً على لحيتي المخشوشنة وشعري المرسل وبدني المطين بالاوساخ

أفليست هذه كلها قيودا للنفس والجمال وقف عليها ، ثم اليس التفلت منها راحة للبدن وحرية للروح بطبعها الاول ، والقبح وقف على هذه الحرية ؟؟

فالجمال اذن وقف على المدنية ، والمدنيـة وقف على الفن والعلم ، وهما سلاسل استعباد مفرغة الحلق صاغها العقل الاجتماعي فقيد بها الانسان ليسحبه من ظلمة التوحش في طبيعته الاولى الى نور المدنيـة التي تربي في نفسه طبعاً

يسمو به عن الحيوان الى عالم الملكوت فالحرية بمعناها الحق كاشفة عن طبيعة الانسان فهي اذن مظهر الطبيعة فيه لا تقابل القبح ولا ترادف الجمال . . .

عزيزي الدكتور

ربما اثقلت عليك هذا الاستطراد ولكنه لذيذ يتلاءم والروح التي الهمتنا حب الجمال والافتتان به في منزلك على وجوه الشباب الاعظمي المثقف في ليلة كسف وجه القمر كواكب السماء فيها ولفعنا نحن وجه القمر بالشحوب اذ نفكر او نقول او نشير ، وما هو هذا القمر ؟؟ هل هو الا بدعة كانت وليدة فكر يسع السماء ؟؟ وهذا الذي نقوله فيشيع في عالم الفكر هو بدعة ايضاً تشع اشعاع القمر ولكن من افق اوسع ، ذلك هو افق العقل الذي هو مصدر الحس .

ما اريد ان امعن في اطراء تلك الليلة ولا اطراء مأدبتك الفياضة بالسخاء العربي ، ولكني اريد ان افطن دائماً الى ما يلده امثال هذا المجلس ، عشرات القلوب تزخر بالفن بين يدي الجمال المرح ، وعشرات الادمغة تعب من روح ذلك الجمال ثم تصوغه علماً ينير السبل ويملأ الآفاق ، ولعلي لم اوفق الى ذكرى بقية الاسماء ، وان كنت مخطئاً في هذه فقد كان علي ان انقش اسماءهم جميعاً على قلبي ، ولكن الايام التي تتنكر للاديب وهو يستعرض الحياة فيها ، تقف حائلا ظلماً دون ان يكون وفياً لاخوانه اذ ليس له عدة في حياته غير هذا الوفاء ، والايام حريصة على ان تسلبه حتى هذه الخلة . . .

ماذا تلد هذه الليالي يا سليم في نفس الشاعر الحساس ، أفتذكر كيف كنا نموج ، والشاعر يردد قوله :

انا لا اهوى الاصباغ ولا

طرفا بالاثمد مكتحلا

اهوى خديك اذا حملا

وردا يسقيه من عيني ومن كبدي دمع ودمُ

اهوى شفتيك اشمهما

وردا وامصهما عنما

واذا موهت عقيقهما

ايقنت بان وراءهما قلباً كشفاهك يُتّهمِ

اعهدك لا تنسى تلك الساعات ثم لا ينسى الدهر وطئتنا بها على كاهله ، فقد احمته بصائرنا تلك الليلة ونحن نجول في عالم لا يعرف الدهر سبيلا الى افنائه والسيطرة عليه .

نحن العالم يا سليم ... آه !! ولكن هل يقوم الواحد منا بما يجب تجاه اخيه؟ هذا سؤال لا يزال يحز في نفسي ، ولقد يعجبني في هذا المكان كلمة قالها العلامة الزنجاني لا يشعر بها الا مثلي ممن سبروا غور العالم في رحلاتهم الى المشرق والمغرب ، وعرفوا كيف تنهض امم وتنحط امم ؟

يقول هذا العلامة المغمور في قومه المشهور في غيرهم ، اذ رأيت اسمه علما خفاقاً في العالم العربي الا في بلده ، يقول لي وانا في منزله :

« ان الناس يخلقون من لفظة نعم نعم نعم رجلا ، ونحن نخلق من كلمة : لا لا لا رجلا ، فكل من نسأله من قومنا : هل تعلم فيجيب : لا وهل تجرأ فيجيب : لا ، وهل تعمل فيجيب : لا ، هو عندنا رجل والعكس

عند غيرنا »

أسمعت يا سليم ؟ ان الرجل عندنا من يقول : لا ابداً ، وعند غيرنا هو من يقول : نعم ! وانت اكبر من ان يشار لك الى البيان المنطوي في كلمة نعم من الاعتداد بالنفس وتوطينها على الايجاب وتنزيهها على السلب الذي ليس وراءه حياة ، فهل تسمح لي ان اثور ثورة بريئة على اسرتنا الادبية اذ لايقول احدهم نعم حين تسأله عن عمله وجرأته ويكاد لا يعرف الا كلمة : نعم فيما اذا سألته عن علمه ؟

كلنا يدعي العلم ولكن ينزه نفسه عن العمل ، والادب كان ولا يبرح عملا قبل ان يكون علما ، فقد تطمئن الى ادب الطير وهو يسبح الله على الافنان قبيل الشمس وانت لما تزل تغط في نومك ، أفكان نومي ادبا عن علم ، وتغريد هذا العصفور ادبا عن جهل يا سيدي ؟

نحن لا ننفع اذ لسنا نفقه الحياة لنكون ادباء ، فان مجلسنا عندك لو انعقد في اميركا او اوروبا لكان فيه غلة عام للشاعر او الكاتب ، فقد يأخذ الاديب عنه صورة لمقال او قصة ويقدمه لصحيفة تدفع اجره الف دينار ، فهل تعجب لقولي ؟ وهل تستكثر الدنانير الالف على قصة تصور شمائلنا تلك الليلة ، او كلمة تكشف عن ادبنا وعبقريته تحت سمائها ؟

لا ! لا تعجب وتعال اتحدث اليك ! ان مدير جريدة اكسبرس اللندنية عندما ظهر كتاب الفيلسوف « برنارد شو » المسمى « بالزنجية » عام ١٩٣٢ وانتقده احد ادباء السكسون اللامعين ، بعث مدير الجريدة الى مؤلفه بحوالة الف جنيه ليرد على الناقد بكلمة يصدر صحيفته بها ، فكان جواب برنارد شو

أن شق الحوالة ورماها ثم قال للرسول : أيريدون مني ان اخلق اديبا بالف جنيه ؟ يالرخص الادب ! »

فكانت كلمته هذه اجدى على الجريدة من المقال ، ولعلك تقول من اين لنا كبرنارد شو وكصحيفة اكسبرس انحقق قولك ، فاجيبك ان برنارد شو ومدير اكسبرس والشعب السكسوني هم بشر ونحن مثلهم بشر فهل تريد ان تكون كبرنارد شو وان تكون صحيفتك كالاكسبرس ؟ قل نعم نعم نعم تصبح انت اياه وصحيفتك تصبح تلك ، فانك وانت اديب لاتقول نعم حتى تخلق من ارادتك الحديدية عزماً جبارا يقول معك نعم نعم نعم .

هكذا نحن يا اخي مخلوقون بنعم : رجالا وبلا : اصناماً تتحرك فقل معي نعم اصبح انا وانت رجلين وتثأثرنا امة نسود بها امة السكسون ، اما وانت تخالفني اذ أقول نعم فتقول الف لا ، فليس بدعا ان ابقى حيث انا وتبقى حيث انت والصلة بيني وبينك : لا ، واذا كانت الصلات في الامة سلبية فهل يكون التمدن فيها ايجابياً ؟

وهل بعد ذلك كله كانت دعوتك لي وللشباب الجابية مخلوقة من : نعم نعم نعم ، فكان منها ما شاع وما يشيع على قلمي ولساني وقلمك ولسانك ثم كان منها هذا البحث الطريف الذي جمعني واياك تحت سما. واحدة هل كان ذاك وليد نعم ام وليد لا ؟

بلى ! انه وليد نعم فلنكثر من قول نعم لا على ان تكون دعوات الى ولائم فقط .

في منزل الاستاذ :

عبد المجيد محمود

محرر « عالم الغد » وهو بغدادي ذو ثقافة عالية يكاد ينهد الى العقد الخامس من سني حياته

اخي ابا الحارث !

لقد ترك حوارك اياي اثراً في نفسي لم يتركني استقر حتى عمدت الى تحبير هذه الرسالة اليك كاشفاً عما كنت ارمي اليه من وراء انكاري عليك رأيك القائل بتفضيل العصامي على العظامي .

ما شئت ان احط من قدر العصاميين اذ انكرت عليك ذلك ، وكوني واحداً منهم ، ان صح ظني ، لا يقف حائــلا دون ان اقول حراً أو افكر حراً ، فقد رأيت عكس ما ترى وسابقي كذلك وها انا أبره على صحة هذه النظرية بما يقتضيه المنطق ، مع الاحتفاظ بكون التفضيل وارداً على تساوي الشخصين العصامي والعظامي في المكانة الاجتماعية والثقافية .

يجب ان نحرر قبل كل شيء ما يمسك كليهما ويبقي عليه في حيز الفضيلة من الخلال المطوية في عالم النفس ، فالعصامي يمسكه عن ان يتردى في الرذيلة حرصه على أن يحرز مكانة العظامي في المجتمع ليؤسس مجداً يصبح ابناؤه عظاميين به من بعده ، واما ما يمسك العظامي فهو حرصه على مجده الذي يعتبره امانة في عنقه ووديعة بين يديه لآبائه واجــداده ، ومنافسة العصامي له في

المكانة التي يراها حقاً مكتسباً ، والهيبة الراسخة في نفوس المجتمع الذي يكبره لمجده ويرى فيه سرا من هـذا المجد يؤهله للسيادة في قومه ، ثم ما يتربى في نفسه مادة وادبا مما ينحدر اليه بدافع الوراثة من ابائه .

فقد اثبت لنا العلم الحديث ان للوراثة اثراً في الدم خلقا وخُلقاً ، ويذهب بعض علماء النفس الى ان الوراثة اقوى من الوسط والبيئة على تكوين المرء وتلوينه ، وقد اجرى بعضهم عدة تجارب في تربيـة الانسان مجتمعاً ومعتزلاً فثبت له ان الروح والدم وراثة ، اما الطبيعـة والمجتمع فيصقلان الروح او يصدئانه وينقيان الدم او ينقانه ، بهذا نعود الى اكبار ما يقول حكماؤنا الاول : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام وشرارهم في الجاهلية شرارهم في الاسلام » .

فالروح الخبيثة لا تتأثر بالبيئة ولا المجتمع تأثيراً يحيلهـا من الخبث الى الطيب ولكن المجتمع الصالح والتربة الزكية تلطفان من كثافة روحه حتى يتراءى لنا انه صالح وبعبارة افصح إن ما يحدق بالخبيث من الطيب يلجئه الى ان يتنكر تحته ويستتر به اقتداء بالصالح ، فاذا لهزه الخبث اسرع الى الابراء عن طوية نفسه وعاد الى اصله ، أما ان يتطور حتى يصبح بعد مآت القرون طيباً فليس هذا مما نحن فيه ، لان التطور الى حد الاستحالة قد يستغرق الاف الاجيال وموضوعنا دون ذلك .

بقي علينا ان نبحث ما يدفع كليهما الى الرذيلة ، اما العصامي فقد يهون عليه ضعته بعد سموه ، تجرده من المجـد الذي يعصمه ، وفقره من الثروة المعنوية التي يتمتع بها في نفوس قومه من وراء هذا المجد ، فهو كالازعر من

الحيوانات الذي لا ذيل له يُمسك به ان جمح، او كالاصلم من العبيد الذي لا اذن له يُلزم بها إن أبق .

فالعصامي انما يتقيد بالقانون وهو عاطل من السلطان حتى اذا بلـغ سدة الملك وهيمن على الامة وتراءت له متع الحياة من وراء سلطانه وليس له من مجده او دينه عاصم فما الذي يحول بينه وبين ان يجعل الغلبة لهواه عـلى عقله فيمرح في الحياة كما يحب ؟؟ أفما رأينا العصاميين في التاريخ كلهم او جلهم يعمد الى هتك الفضيلة اذ يتمكن منها ؟؟ .

ولو لم يكن للعظاميين فضل على العصاميين الا ان كل امة تتغنى بامجادها لكان في ذلك برهان على ان حاجة المجتمع الى العظاميين امس من حاجته الى العصاميـين ، واذا فتشت في العصر الحاضر ، وهو عصر النور والعمل ، وجدت ان ارقى الامم لا تزال تلحظ الامجاد بعين الاكبار فكلمات « كونت ولورد وبرنس » لا تزال ترن في آذان الغربيين الذين يرون العمل والعلم فوق كل اعتبار ، وكلمات امير وسيد وشيخ لا تزال عند العرب تحتل المكان الاسمى في النفوس ، وكلمات « آغا وباشا وبك وراجا ومهراجا » لا تزال عند الاعجام من فرس وترك وهنود تعمل عملها في استعباد العامة من الناس بالرغم عما يراه الدين الاسلامي من قيمة للمرء قاصرة على العمل الصالح اذ يقول في معرض النقمة على العصبيات : لا عصبية في الاسلام ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، أدخل جنتي من اطاعني ولو كان عبداً حبشياً ، وادخـل ناري من عصاني ولو كان سيداً قرشياً » .

لم يستطع الدين ولا العقل ولا العلم تحويل المجتمع عما نهجه بطبعه من

تقديس العظمة في كل شي. ولو كان جماداً ، وعظيم الناس محترم في نفسه واعقابه ما دامت انساله تتعهد تلك العظمة و تغذيها بالاعمال التي كان بها خالق مجدهم عظيما .

اما الحكمة في انكار الدين على الانسان « أن يعضّ بهن ابيه » اي ان يتشدق بمجد آبائه واجداده ، فناظرة الى رفع مستوى العصامي كيلا تتأصل في نفسه العبودية للعظامي فيتأصل في نفس العظامي استعباد للعصامي ويصبح في مفهوم البشر ان الرقي قاصر على طبقة من الناس ، والمفروض ان العالم سواسية من حيث الجوهر وانما يتطور هذا الجوهر وفق النظام الطبيعي الى اجل ، فالدين يلحظ من وراء النقمة على الاعتصام بالمجد أن تتساوى النفوس في كسب الفضائل وان الفضيلة ليست وقفاً على احد ، فيتنافس المجموع البشري في تحري الفضيلة وترقية الانسانية في كيانه ، اذ لو قر في نفسه ان الفضيلة وقف على العظامي لتقهقر وركد تيار العمل في روعه فتتقهقر الانسانية معه ، وربما ركد تيار العظمة في نفس العظامي حيث يجد تعاليه على غيره محرزا فلم ير من الضرورة ان يتحمل العناء في سبيل العمل الذي صعد بآبائه الى ذروة المجد اذ يرى هذا المجد الموروث يخدمه وليس في الامة من يزاحمه عليه او يفكر في سلبه منه ، وتلك احدى فضائل الدين على البشر ، ولكن اين العمل بها ؟ فالمدنية الراهنة تتفق مع الدين في ذلك والعقل يتحد معها وكلنا يشعر بصدق هذه النظرية ولكننا رغم ذلك كله لانزال نعبد هذه الهياكل التي تتحرك .

نحن العصاميين بين مثقف بطبعه او بكسبه ، ننقم على الامة ان تتأثر

بالمجد فتخضع الماجد مهما انحدر عن آبائه في الخسة او الجهل ، حتى اذا مر بنا هذا الماجد العظامي خضعنا له وركعنا بين يديه ، واذا زارنا او زرناه كانت زيارتنا له او زيارته لنا مدعاة فخر واعتزاز ، اذن فالنفوس البشرية مفطورة على تقديس الهياكل في مظان العظمة ، والدين مهما حاول تحوير العرف فلن يؤثر فيه ما لم يكن السلطان في الامة عامراً بالدين ،وما لم تكن انظمة الدول قائمة على الناموس الالهي المشروع باسم الدين ، فقد رأينا ايام اعتزاز الدين بالسلطان ان بيت المتبتل الفقيه محجة الملوك بينما نجد اليوم ان بيت الخسيس من ذوي السلطان محجة العلماء والفقهاء .

ثم ان الدين انما ينكر على المرء ان يعتمد عظاميته في حياته واما ان يكون حسيبا بنفسه بله حسبه بآبائه فذلك ما يقره الدين ويحض عليه ، ولهذا خصت النبوة بقريش الذين هم اشرف العرب ، وبهاشم التي هي اسمى فروع قريش رعاية لما قر في الاذهان من تقديس العظامية ثم كان من الحكمة في الرسالة ان نزلت على رجل احرز ، فضلا عن مجده ، صلاح الذات منذ فقه الحياة كيلا يعاب في نسبه او حسبه ولذا لم يروا فيه ما يصمه غير اليتم والفقر لان اليتم فقر من الابوة وهذا يرجع الى تأثرهم بالعظامية ايضا ، واما الفقر فهو نقص المال والمال عندهم يكاد يضاهي المجد .

وبعد فماذا نحذر من العظامي الراقي اذا تقلد منصب السيادة دون العصامي ؟ انما نخشى منه ان يتكل على عظاميته فلا يستمر في العمل السامي به ويتقاعد ، وأما ان يتهافت بين يدي شهواته فان له دون ذلك عاصما من حسبه ونسبه كما قدمنا ، فيظهر جلياً مما تقدم ان الرجلين عصاميا وعظاميا ،

اذا كانا في منزلة واحدة من الثقافة والرقي الذاتي فالصالح لان يلي امر الامة انما هو العظامي ويليه في مناصب الحكم العصامي ليؤسس من حسبه بنفسه عظامية لعقبه من بعده ، فيكون تخليه عن المناصب الاولى للعظاميين تضحية منه في سبيل أنساله المقبلةليكونوا الرجال الاول في دولة المستقبل ، كما ضحى آباء العظاميين بتخليهم عن المناصب الاول في الماضي اذ كانوا عصاميين ، في سبيل انسالهم الذين اعقبوهم فكانوا اوائل في مناصب الامة اليوم .

عزيزي ابا الحارث :

ليت لي ملك امري في ان اقيم ما اشاء وارحل متى اشاء ليتسنى لي ان اقيم اكثر مما اقمت في بغداد وانا جارك لازورك كل اسبوع يوم تفتح ابوابك « للقبول » فاستمتع بنظراتك وبسماتك ونبراتك اضعاف ما استمتع ببريق الكواكب وخفوق الزهر ولحن الطير ، ولأتذوق طعم حديثك العذب وروعة فكرك الطريف ونبالة خلقك المفطور على السماحة والانصاف .

فما اروع تلك الساعات التي جلست فيها الى جماعاتك الوافدة عليك مع الشمس ايام الجمع وفيهم الاخ الحبيب احمد سوسة ، واروع منها جمال الحديث وجلاله بين يدي فئة قام على تثقيفها العلم الحديث وهذبها مجد العروبة الفياض على اسرتها بالاشراق وعلى ألسنتها بالفصاحة وبين ايديها بالسخاء ، ان لتلك المجالس مشفوعة بهذه الغرر من الوان الادب والعلم ، لأثراً في نفس الزائر لا يأتي عليه الزمن مهما جد فكيف به وهو عريق في القدم ؟

عفواً يا ابا الحارث !

فما شئت ان اسم العلم بالتلوين اذا نسبت الالوان اليه والى الادب على

السواء في هذه الرسالة وفي الحديث الذي مر بنا عندك ونحن نخوض في ذكر « حواء » ولقد ابرهت عن نظريتي اذ ذاك فكانت مانعة لدى البعض اذ لم اوت الوقت الذي يخولني توضيح هذه النظرية ، وانك لتعلم ان المفكر، وهو يكتب ، اقدر على ابراز معانيه منه وهو يقول .

لقد وضع اللون تحت الحس، واذا كان اختلاف الالوان يصقل الاعين فتبصر كان للون ميزة الجمال في التمثيل . وان العين لتأخذ مما تبصر والاذن تأخذ مما تسمع ألوان الوجود فتطويانها في سماء النفس ثم تنشرانها على الوجود لوناً جديداً تأخذ منه الطبيعة بعد النشر أضعاف ما تعطيه من الوانها قبل الطي .

ولعل العين التي تبصر الوان الوجود لم يبصر معها القلب النابض بالحب ، ولو أمد القلب العين لرأت لون الزهر في صفحة الماء ولون الماء في قلب الطبيعة المكنون في النفس .

والعين هي الآلة التي تتحسس بها الروح الوان الحياة وأشكالها فتبعث في هذه الروح ملكة الفن القائم على اللون والشكل ، فاختلاف الاشكال والالوان المرئية للعين يطبع الروح على الحركة ، وان لا تجمد فيما ترسم على لوح الحياة من قول وتفكير وعمل ، وانتظام هذه الاشكال في سلك الفن يطبع الروح على السمو فيما تخزن من غلة العين ، ثم ان تطور هذا الفن المرئي للعين مما تبصر يطبع الروح على الابداع فيما تعطي ، وكذلك القول في الاذن .

فالعين والاذن اولى الوسائل التي يتذرع بها المرء الى تأسيس مملكة الفكر ، فسمو هذه المملكة وخلودها معكوس عما تشعه العين وتلقفه الاذن من لوني الطبيعة الصامت والناطق ، فالفكر وليد ما ترى العين وتسمع الاذن،

ولن يكون هذا الفكر بديعاً فيما يؤسس حتى يكون ما تعي الروح من رأي العين وسمع الاذن بديع الشكل واللون .

على ان العين والاذن انما هما الصلة بين الفكر والطبيعة ، فما لم تتجاذب الطبيعة والروح من نافذتي العين والاذن فليس لهاتين قوة على خلق الروح بديعة من وراء ما يخزنان في النفس من لون الوجود الظاهر وشكله ، اما السر الذي يوجه الفكر للانتاج بالاذن والعين فذلك ما يختص به المبدع الاول .

لعل في هذا استطرادا جميلا يخرج بنا قليلاً عن موضوع الرسائل ، ولكنه لذيذ يا ابا الحارث فاسمع :

اذا كان اللون مظهرا للجمال استعير للفن الذي هو قوام الادب واما العلوم فلا تتصف بالجمال ولكنها توسم بالجلال والعظمة لانها وليدة العقل والعقل مظهر للقوة التي لا نحس بالجوارح ، اما الفنون فوليدة العواطف التي هي وليدة الروح والروح مظهر للطبيعة المحسوسة بالعين والاذن ، فالجمال وقف على المرئي والمسموع والجلال يختص بما يدركه العقل والفكر ، لهذا كانت الالوان ، وهي مرئية ، من خصائص الفن القائم على المحسوس او الخيال المنتزع مما نحس .

فما هو الوجه في استعارتها للعلم اذن ؟ انه يرجع الى الفن القائم في ذات العلم ، لان العلم العاري من الفن جاف لا ينعم به الفكر ، افليس القالب الذي يبرز به العلم ، قائماً على الفن ؟ كما ان الفكرة التي يبرز بها الفن قائمة على العلم فالعلم والفن متلازمان لا يستغني احدهما عن الآخر ، ولكن ما نطلق عليه انه فن نشعر بالعلم فيه كما نشعر بالملح في الطعام الذي لا يتقوم به ،

وكذلك ما نطلق عليه انه علم انما نشعر بالفن فيه شعورنا بالملح في الطعام ثم لا يخرج الطعام به او بدونه عن كونه طعاما ، ولكنه يتصف معه او دونه بالكمال او النقص .

فاذا ثبت لدينا ان العلم لا يستغني عن الفن صح لنا ان ننسب اللون الى العلوم على اعتبار ان الفن جزء من كيانها فاللون في الحقيقة انما نسبغه على الفن القائم في العلم مهما تضاءل لانه جزء منه ، وفي مقابل ذلك يصح لنا ان ننسب الجلال او العظمة الى الفنون على اعتبار ان العلم جزء من كيانها فالعظمة في الحق انما نصف بها العلم القائم في الفن مهما تضاءل لانه جزء منه .

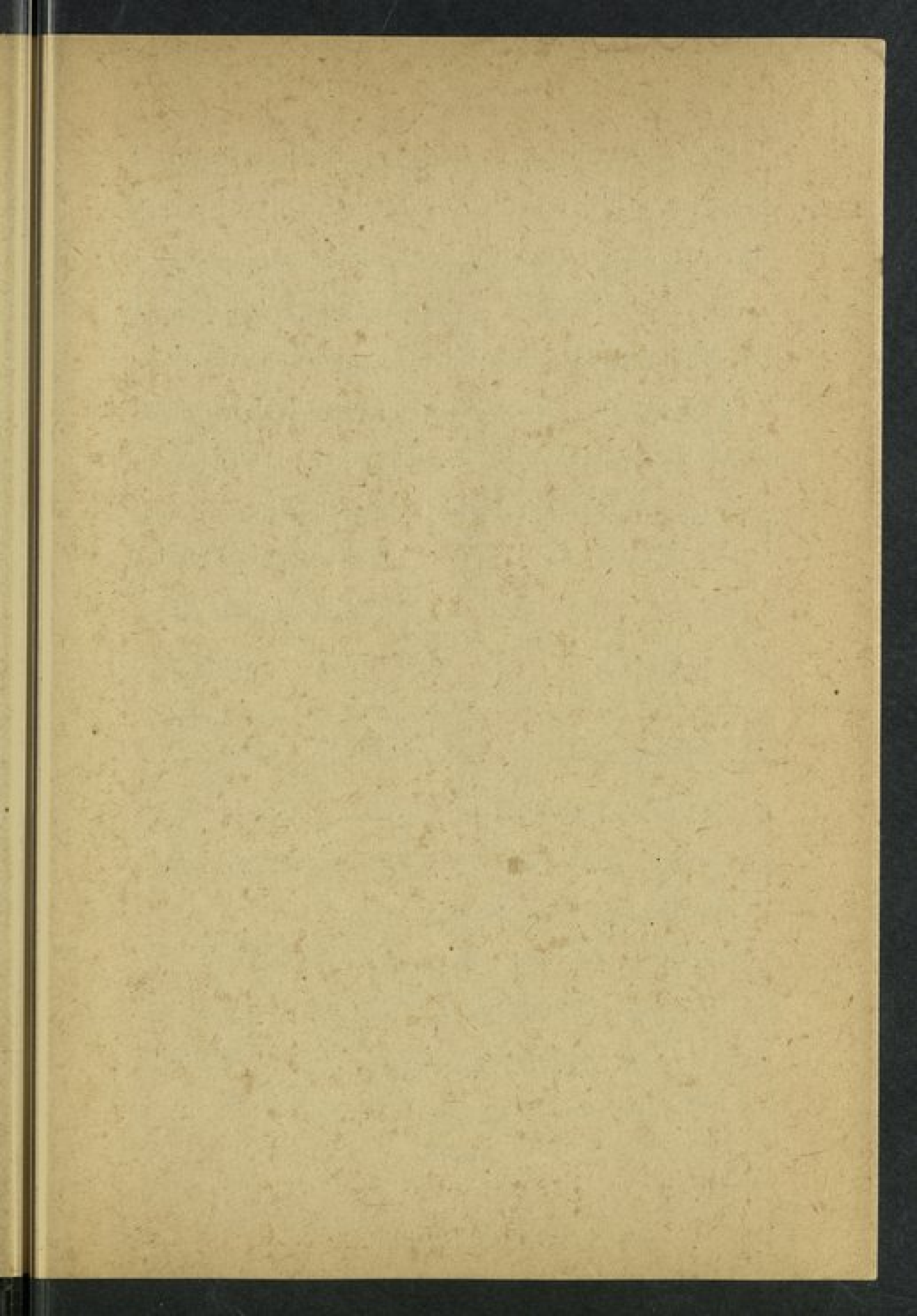
وبعد فهل تسمح لي ان آخذك في شيء قد لا يكون له حسبان في نفسك يا ابا الحارث؟ انك صحافي وان صحيفتك «عالم الغد» تستدعي اهتمامك بها لما لها من القيمة في نفوس الشباب المثقف ، فهلا خصصت فصلا من فصولها بادب الدواوين ؟ افلا ترسل بعض زملائك في التحرير يلتقطون من دواوين الادباء والعلماء في بغداد امثال الاساتذة الراوي وبطي والشبيبي والشرقي وغيرهم ، شذرات من الفنون والعلوم ابان يدور حوار في ادب او علم بين المجتمعين فنمثل الادب السالوني في الغرب الناهج على سنن آبائنا الاول في ادب الامالي الذي كان قائما على الدواوين ؟

ان في دواوين الادباء والعلماء قديما وحديثا لثروة قيمة للتأليف والنشر في العلوم والآداب فما بالنا ، وقد فطن لها الاولون منا والآخرون من غيرنا وجهلناها او تناسينا اثرها في المجتمع وبين ايدينا من امهات الكتب القيمة القديمة ما يملي علينا عظمة تلك الثروة وخلودها في بطون التاريخ ؟

انك ان قمت بهذه المهمة وعهدت الى احد زملائك في التحرير بالطواف على الدواوين كل اسبوع واستخراج قسم صالح من ثمرات الافكار التي تنبغ في المجالس ، انك ان فعلت ذلك تسد الى امتك والى التاريخ يدا مضافة الى اياديك البيض في عالم الثقافة .

وبعد فهل تشعر معي بالحنين الى الايام القليلة والساعات الكثيرة التي جمعتنا وكنا فيها نجول خلسة على مسمع من الدهر ومرأى غير آبهين لما يخبئه لنا من لوعة هذا الفراق الحافل بالحنين ؟ اني لجد مشتاق الى مجلسك وحديثك وخزن كثير من نظراتك في الفكر الحديث لادخره كنزا تتقوم به رسائلي الى الفئة الحية الخالدة في العالم .

فالى اللقاء يا ابا الحارث ؟



في منزل السيد عبد العزيز

البغدادي

زعيم صناعي واقتصادي يشغل معامل للدخان في بغداد

عزيزي ابا رؤوف

ان السبب الذي حداني لان أحبر اليك هذه الرسالة هو غير الاسباب التي من أجلها حبرت رسائل اخوانك ، على انك واحد منهم بما كان منك في ليالي الاعظمية وبغداد ، يوم كنت ضيفك ، فقد تجلى الفن باجلى مظاهره عندك اذ كانت اسرة الساعة واسطة العقد وكان هذا العاجز مشغولا بك عنهم ، والشاعر بحر العلوم كان مشغولا بالشيوعية عنهم وعني وعنك .

ما اكبرك في نفسي واعزك عليها اذ تقول : والله ما شغلنا الهم بهؤلاء ، « تعني قومك » إلا لانهم خليقون بالعمل الانساني، فقد أهملهم العالم أجمع حتى اعداهم فاهملوا انفسهم ولم يبق فيهم من يتحسس آلامهم واثامهم »

انت كبير يا أخي اذ تقول ذلك واكبر منك حين تمن في بحثك الاقتصادي الذي تربطه بهذه الانسانية ، ولقد رأيت مآت العمال الذين تغدق عليم من عطفك وحنانك فوق ما تغدقه عليهم من مال ، ولقد كنت مصداق الحديث الشريف القائل : « الناس كلهم عيال الله فاحبهم اليه أنفعهم لعياله » فانت من هؤلاء الذين يصعدون بالزلفى الى الله عن طريق المحبة والحنان

والنفع الانساني ، أفلا تكون بذلك كبيراً في نفسي وكل نفس حرة مخلصة يا ابا رؤوف ؟

اما اندفاعك وانت تتكلم ، حتى كأني انظر الى قلبك يتفجر دماً ودموعاً على الانسانية الشهيدة في كل متجر ينشأ ، وفي كل مجلس يعقد ، وفي كل حكم يفصل فيه من كل بقاع الارض ، اما هذا الاندفاع الحافل بالبلاغة من عينيك ويديك بله لسانك ، فلا اكتمك انك كنت به من اخيك الحوماني في المنظر الاعلى ، نحن في امس الحاجات الى رجال يجعلون للصراحة من نفوسهم المكانة السامية وللصدق من قلوبهم المكان الاسمى .

انت رجل نافع يا اخي فعلى كل منا ان يحمل قلبك فيعمل به واذا لم يطق عملك الجبار بقلبه فليكتب بهذا القلب ما يراه منك او ليقل على الاقل فيدعو الناس الى تأثرك والاقتداء بك والسير على نهجك ، اما انا فقد أخذت على عاتقي المهمة الثانية وجعلت الك هذه الرسالة لتكون شاهداً لي عند الله وعند الناس اني قدرت عملك واذعته على الملأ واشعته في قلوب المخلصين ، ثم دعوت رجالنا الاغنياء الى المنزلة التي اشرفت انت منها على الحياة عزيزاً محترماً .

على أني اردت ان انبهك الى امر فلم يتسع لي الزمن آنذاك :

لقد رأيتك يا ابا رؤوف تعنى العناية كلها بتنظيم عملك الاقتصادي ، ولكنك لم تعن هذه العناية بتنظيم البر والاحسان الذي تتقدم به الى ابناء جلدتك صلة بينك وبين الله ، فانت محسن في عملك الدنيوي ، ومحسن في

عمالك الاخروي ، ولكن احسانك الاول منظم واما احسانك الثاني فهو في حيز الفوضى .

لقد اجهدت نفسك كما تقول ثلاثين سنة في تنظيم مصانعك الاقتصادية حتى اطمأننت الى رضاك عنها في العقبى، ولقد زرت هذه المصانع معك وكنت مطمئنا الى اطمئنانك لإحكام العمل واتقانه والى انك مصيب في كل جزئياته القائمة في قلب كليه العام ، ثم عدنا الى ثويك فتحدثت الي وتحدث غيرك بما تحدثت به عن اعمالك في سبيل الانسانية فوجدتك انسانا ولكن انسانا يحسن الصداقة والبر على غير نظام يدعم به نظامه الاقتصادي .

فالاحسان يختلف يا ابا رؤوف باختلاف المحسن ، فان كان هذا المحسن من امثالي في المادة كان الامر اهون من ان يحتاج الى بحث فهو يبر الانسانية ببضعة قروش كل يوم فالفوضى والنظام فيه على حد سواء ، وان كان من امثالك تبر الانسانية باضعاف ما ينفقه غيرك على اسرة كاملة خلال عام كامل كانت الفوضى آثمة وكان النظام مسؤلا عنه ، لاني اعتقد ان الخمس والزكاة انما هي صدقات منظمة تدفع للامام او وليه لتنفق في وجوه البر ضمن دستور لا تتعدى حدوده ، فقد يقتات بها بائس او تدفع بها ظلامة ، او يشاد بها مصح ، او يقام معهد علمي ، او يسد بها ثغر من ثغور الدولة .

فالصدقات اذا نظمت كانت حكومة في قلب حكومة يتقوم بها شعب وتقوم عليها امة ، وهذا الشعب الارمني بين اظهرنا وكذلك الشعب اليهودي لا يتسنى لك مهما فتشت ان تجد منهما متسولا ولا محترفا مهنة وضيعة لان صدقاتهم منظمة بشكل مؤسسات تحمي الضعيف من قوة الظالم والفقير من

عدوان الدهر ، فكل انسان منهم اخفق في حياته ليس عليه الا ان يقدم اسمه الى المؤسسة ، فتنعقد اعضاؤها للنظر في ظلامته فان كانت قبل الحاكم الظالم أغيثت برد ظلامته على يد محامي تلك المؤسسة وان كانت بين يدي الدهر انقذته المؤسسة من برائنه بعمل تنوطه به او مهنة تحمله عليها فلا يلبث ان يصبح غنياً عن الناس وربما اصبح واحدا من اعضاء هذه المؤسسة آخر الامر .

فليس من الصعب عليك ان تتميز من هؤلاء الناس وتنضم الى اقرانك من ذوي العطف الانساني وتؤلفوا جمعية باسم « جمعية البر والاحسان » تعمل على انقاذ الامة من هذا العضو الاشل الذي تنؤ به تحت وطء الزمن ، فان الفقير والغني عضوان يتقوم بهما جسم الامة على السواء فاذا كانا قويين كانت الامة في اوجها واذا اختلفا قوة وضعفا كانت الامة بهما عرجاء او شلاء ، وجمعيتكم هذه تضمن للامة سلامتها من الشلل والعرج ، فكل فقير تحيله الى عمل مهيأ ، وكل مظلوم تقيم له من مالها ورجالها مدافعاً ومحامياً .

عزيزي ابا رؤف !!

لقد كنت مسروراً في دارك العليا ، ونحن نخوض هذه الابحاث ، اقتصادية وانسانية ، وكنت اكثر سروراً في دارك السفلى على الشاطي الاعظمي حيث كان « قبوالك للسمر » وكان فيمن سمر معنا تلك الليلة الشاب المثقف كمال ابرهيم وهو من خيرة من رأيت وحاورت من شباب الاعظمية اذ يقول لي ونحن نخوض بحثاً سياسياً : ما احوجنا الى صحيفة تعالج القضايا العربية على ضوء الحقيقة الحرة ، فقلت له ويجب ان تكون « العروبة » تلك الصحيفة وستكون

انشاء الله ، قال : ارى ان تكون يومية فقلت اذا كانت تبحث في علم السياسة فان العالم العربي لا يحتمل صحيفة كبرى كالتايمس التي تطبع الملايين من الاوراق صباح كل يوم ، اما نحن ففي حاجة الى صحف يومية تعنى بالاخبار السريعة سياسة واجتماعاً ثم يعوزنا بعدها صحيفة اسبوعية تبحث في علم السياسة وتحليل الحوادث .

وقد رأيت الاهرام في مصر وهي كبرى صحفنا اليومية ، لا تحسن البحث في هذه الناحية لانه بحث يستلزم نفقات لا تحتملها ادارة الاهرام على ضخامة ميزانيتها اذ لا تطبع اكثر من خمسين الفاً ، وهذه الكمية لا تقوم بتكاليف ادارتها الواسعة مهما انحدر شأنها في مستواها الراهن ، وان استخدام نفر يعنى بتحليل السياسة زمانية ومكانية ، يجب ان نلحظ معه سمو المنزلة التي يتبوأها هؤلاء النفر في اوساط العالم ليكون تحليلهم في المنظر الاعلى من نفوس المجتمع وعلى فرض توفر هؤلاء النفر في العالم العربي فكم يحتاجون الى نفقات باهظة تخولهم الدرس والبحث السياسي العالمي في حلهم وترحالهم ، وتطور الحوادث السريعة في العالم تحت مرأى منا ومسمع؟؟ فنفر هكذا يجب ان يكون لا تقوم بنفقاته ادارة تتسع لخمسين الفاً من القراء فقط ولكنه يفتقر الى ادارة تتسع لملايين القراء ، وهذه مفقودة من صحافتنا اليوم مهما علا شأنها .

ايها العامل الصالح !!

اجدني مرتاحاً الى البحث معك واجدني حريصاً على الخوض بين يديك في هذه الابحاث الانسانية فهل تسامحني اذا قرعتك في شي. كنت تتذمر

منه ؟؟ اني رأيتك تشكو مرارة الصبر في وجه النكبات التي اعترضتك وانت في سبيلك ، وهذا يجب ان لا يصدر عن قلب كقلبك جبار يصمد للحوادث، أفما تغلبت على الدهر؟ أو َمابلغت ما كنت ترجوه من وراء عملك الدائب ؟؟ اذن فما عليك الا ان تتجمل بنشوة الظفر التي ترتاح معها الى العز والطمأنينة كلما ذكرت ما قاسيت قبلها من اهوال .

تقول لي : لقد طويت رداء شبابي تحت وطء العناء الشديد في سبيل الحياة فما ظفرت بما كنت آمل الا وانا كما تراني مقوس الظهر كليل البصر » ولقد عجبت ان يكون منك ما اسمع ،وارى كما ترى ان السعادة ليست بغضارة الشباب، والشقاء ليس قاصراً على الهرم فرب سعيد وهو يحبو الى قبره وشقي وهو انضر شباباً من الزهر المطلول . أفلا تدلني على السن التي بلغها مصلح العرب الاعظم محمد واقرانه من ابطال العالم عندما ظفروا بالسعادة ؟؟

واذا كانت الرسل لا تنهض بالدعوة الى الحق الا في حدود الاربعين ، فكم تحتاج من الازمنة الى توطئة هذه الدعوة ؟؟ فالسعادة يا اخي ليست قاصرة على متع الحياة الدنيا التي يتوخاها الانسان ايام شبابه ، ولكنها متع خالدة تنعم بها الروح ولا يشعر الجسد من ورائها بغير الآلام ، أفلا تعد من المتع التي هيأها لك الحق هذه السطور التي ابعث بها اليك من لبنان حاملة ذكرك الطيب الى كل قلب عبقري في العالم دون ان اتلقى منك قبل تحبيرها غير ساعات ملأت نفسي فيها اعجاباً بدماثة خلقك وصلاح عملك وغيرتك على الانسانية بين يدي الحق ؟؟

انك ان كنت ترغب في حبي لك واكباري عملك وتحرص على تسجيلي آثارك القيمة في كتاب لا يفنى ، فاقبل مني هذه الكلمة العريشة :

ان الرجل الحي الخـالد هو من يعمل ويخلص في عمله ثم لا ينشد من وراء عمله اجراً ولا يشعر في نفسه زهواً بين يدي ذلك العمل ...

ليالى الكاظمية

في منازل اسرة « الساعة »

الجريدة الحديثة الغراء التي انشأها الاستاذ السيد صدرالدين شرف الدين في بغداد ويقوم هو على تحريرها بمساعدة الاساتذة :

السيد حسين مروه .

السيد سلمان الصفواني .

السيد محمد رضا شرف الدين .

السيد مهدي القزاز .

الشيخ احمد مغنيه .

شرف الدين ، مروة ، صفواني ..

وهذا من الادب المنبثق عن النجف ايضاً ، أفلا يحق للنجف ان تملأ العالم فخراً في ان اسرتها المنثورة في الآفاق هنا وهناك ، هم في طليعة العالم العربي نبوغاً وعبقرية وشيوعاً ؟ ففي جبل عامل كما في البحرين اعلام علم وادب وفن . ومن هؤلاء الاعلام انتم ايها النفر الحي الخالد .

اي ابا علي الرضى .

يا شاعر الشمائل وشاعر النفس الحساسة في عالم الاريحية الهاشمية ، لقد كانت ليالينا في منزلك مشرقة الافق بوجوه لم يفتها النور وهي في ظلام دامس من بؤس الحياة وشقائها ، ليالٍ لا ينساها الاديب الحر او ينسى نفسه كلما ذكرت عينيك تشعان تحت سمائها قلت : ما اروع الادب في العين بريقاً ، وفي اليد سخاء ، وفي الشمائل عطراً !!

وانت أبا مصطفى .

كلما حاولت الغوص الى اعماق نفسك لأتبين مصدر هذه الدرر الغوالي التي ينفحنا بها قلمك ، بعد علي القرار وشق على قلمي ان يصور ما يتصوره

فكري بين يدي عبقريتك ، أفكنت غير هاشمي ؟ اذن فالمعدن صلب على غيرك والبحر متلاطم العباب لا يصدر عنه الوارد الا بما يشير الى المصدر ويحول دون التحليل .

وأما أنت يا ابا نزار :

فالمروءة تقضي عليك بان تكون سهلاً ممتنعاً ، وان تكون مصبوغ الوجه بدم الحياء ، وان تكون بعد ذلك كله دمث الاخلاق سخي النفس كريم السجايا . واما أدبك فيتم عليه ثبات مبدئك ، ورسوخ عقيدتك ، وانصافك عدوك حتى من نفسك ، ثم تضحيتك بكثير مما يعوزك في سبيل كرامتك .

وانت أبا رامز !!

كان على يديك من لآلىء البحرين ما توشح به حواشي « الساعة » وما يتراءى للعين وتعيه الاذن في زاويتك التي تسبق فصول الساعة الى روع القارىء ، فالنكتة النادرة والفكاهة الغضة ، والادب الطريف يكاد يأخذ بلب السامع والقارىء اذ يمعن في تصفح ما تحبره في ليلك ثم تعزه للناس غرة على جبين الفجر .

أنتم يا هؤلاء ؟

ولا تنسوا ان من صميم اسرتكم مغنية والقزاز وشرارة الصغير والكبير احياناً ، ولعل منكم الصوري صاحب الحضارة اذ يتخذ مكتب الساعة مصلاه ظهيرة كل يوم فيتبارى مع ابي محمود ايهما ارشق واخف في اداء هذا الفرض الحبيب الى قلب كل مؤمن .

انتم يا هؤلاء ذخيرة الفن وعـدة الادب ورمز السعادة في الحياة ، أفلم اكن بائسا الى حد الشقاء تحت سماء العراق اللافحة بالهجير ، وفي جوها الحافل بالضوضاء وصخب المدنية الثقيل وطؤه على كاهل الاديب، افلم اكن كذلك لو لم يغشني مجلسكم هذا في ردهة الساعة غداة كل يوم واصيله ؟

افلا يسعد من كان جليسكم وكنتم حلقة تحدقون به وتهيمنون بارواحكم عليه ؟ وهل في عالم الارض والسماء اقرب الى الحياة من عصبة ينتظم سلك الفن فيها العالم والاديب والشاعر ثم لا يقف الفن بهم عند حدود الادب والشعر حتى يفيض على افواههم سحرا ، وبين اعينهم نجـابة ، وفي قلوبهم ايمانا ، وعلى ايديهم كرما ؟ هل في عالمي الارض والسماء اقرب زلفى الى الله من هؤلاء ؟ ومن هم اولاء ، هـل هم الا انتم يا اخوان الصفاء في القرن العشرين ؟

انتم اخوان صفاء حقا ان لم تكونوا « اخوان الصفاء » ولعلكم او لعل بعضكم يغبطني وانا في لبنان ، على اني اجد الحسد يسبق الغبطة الى نفسي اذ أتصور مجلسكم الفياض بالنكتة ، والفكاهة وليس بين قلوبكم فراغ يملأه حقد او حسد او تنافر ، ماذا عليكم ، وقد جمع اخوان الصفاء قبلكم افق لا يشرف غيرهم منه على الحياة ، افق تشرق عليهم فيه شمس ينيرها العلم ويتسع لها مجال التفكير الحر في عالم العقل .

ماذا عليكم ، وقد جمع اخوانكم من قبلكم ذلك الافق ، ان يجمعكم اليوم افق ارحب صدرا واوسع نورا من افق اخوان الصفاء ، اذ كان التنكر للعلم والتمسك بالخرافة يومذاك اشد منه اليوم ، وكان الفكر الحر اذ ذاك

اضيق دائرة بالعلوم والفنون منه اليوم ، فكان من الطبيعي ان تتسع الحرية لفكر الاديب والعالم في القرن العشرين اكثر مما تتسع له في القرون الوسطى

ولئن جمعت اخوانكم من قبل فكرة الاشراق في الوجود ، وان للعقول شمسا تستنير بها في عالم الروح كما للاجساد شمس تستنير بها في عالم المادة ، وان تلك الشمس تنير الكون باسره وتهيمن عليه ، ولعلها هي الازلي الاول بينما نجد هذه الشمس تنير افقاً يشغل حيزاً ضئيلا يتقوم بالكون المكاثر بذلك النير الازلي ، وان حركة الاجرام الدنيا وحرارتها المنبثقتين عن حركة الشمس المادية ، صادرتان عن اشعاع خفي يتصل بالفكر القائم على حركة وحرارة الاجرام العليا الصادرتين عن حركة الشمس الروحية ...

... اجل لئن جمعتكم هذه الفكرة فقد جمعتكم انتم الى هذه الفكرة فكرة اسمى وابعد في الخلود .. تلك الفكرة هي استهداف المثل الاعلى القائم على الاخلاص فيما نقول ونفعل بين يدي الحق المنشود في ضمائرنا والجمال القائم في نفوسنا وان يجد الباحث مهما نقب في عالم العقل اسمى حياة من توخي الحقائق على ضوء الحرية في التفكير من وراء الاخلاص ، بهذا خلد الحكماء من مشرعين وفلاسفة وبهذا وحده كانوا سعداء في الحياة .

لقد اثبت الواقع ، يا اخوان ، ان العلم مهما اكتشف من اسرار الطبيعة ومهما خفف من ويلات الانسان ورفع به الى مستوى الكمال ، لقد اثبت الواقع ان الحكمة لا تزال بعيدة عن هذا الانسان ، اذ الغاية التي يستهدفها العقل الفاضل في الحياة تبعد عن الانسان كلما بعد عن الجهل ما دام العلم قائما

على الجشع والانانية ، والجهل ممتصا بالمودة والرحمة ، ففي يقيني ان انكار الذات في سبيل الغير هي الغاية الاولى للحياة التي نشخص اليها بفطرتنا لنساعد بالتضامن نظام الكون القائم على التسلسل في تكوين او تكوّن هذه الاجرام الصادرة عنه .

فالحكمة يضيق نطاق العقل الجزئي عن ان يحيط بها نرى هذا التفاعل في تيار الكون الازلي القائم على الروح الكلي العام ، نراه يلد الاجرام دقيقة وجليلة تحت ناموس طبيعي كلي يسنه ويوحي الينا ان نؤمن به ونحرص عليه ونستهدف المثل الاعلى في الخضوع له والركوع بين يديه ، افلا نؤمن بان الحكماء الذين لا تزال انظمتهم وشرائعهم شغل العقل الشاغل منذ الاف القرون ، افلا نؤمن بانهم اسمى تفكيرا منا ؟؟ ثم نرى كثيرا من الاحكام التي تنتظمها نواميسهم وشرائعهم مقيدة بالتعبد الذي يفرض علينا العمل فرضا لا قيمة للعقل في تحليله واكتناه الغاية من ورائه

هذه هي الحياة يا اخواني ، اجتماع تتآلف معه القلوب وتمازج الارواح وتتداعى الضغائن ، فلا يرى المجتمعون الا افواها تبتسم ، واكفا تتصافح ، واعينا تتناجى ، وكل ذلك يرمز الى ان الحياة إلفة ومحبة اذ بهاتين تتضامن القوى الجزئية وبتضامن هذه القوى تتقوم القوة العليا التي هي مصدر تلك القوى ، وعلى هذه القوة الكلية يقوم العالم .

من هنا ندرك السر في تعليل الحياة بالحب واكتناه الحب بما يبعث السعادة في الحياة . أفلا تشعرون معي ان الطبيعة تمهد لبقائها بالمحبة التي تفطر النفوس على الهيام بها والبحث عنها ؟ وان المحبة هي الوسيلة التي يتذرع بها

النظام الطبيعي الى القوة العليا القائمة في قلب الطبيعة وعليها يبنى كيان الحياة وبهذا الكيان يتقوم الازل ؟

فما اروع هذه الليالي وتلك الغدايا والاصائل التي يختلف بعضكم فيها الى البعض الآخر ، والتي تعقدون بها المحافل ، في منـازلكم تارة ، وفي مكتب الساعة طوراً وعلى ضفاف دجلة احياناً ، ما اروع تلك الجلسات التي يضن بها الدهر على كثير من الناس غيركم ثم لا تشعرون بجلالها وروعتها حتى يغادر كل منكم هذه المجالس مغـادرتي اياها ، وتبعث الذكرى في نفسه الحنين اليها .

لعلكم لا تشعرون بهذه الهزة التي تعتريني وانا جالس امام هذا المكتب المتواضع في نادي الحسين بن علي وبين يدي هذه الحديقة الخاليـة من عمل الفن والقاصرة على ما نسقته الطبيعة من اشجار ورياحين ، لعلكم لا تشعرون بهذا الحنين الذي تتبخر على جمره نفسي فألفظهـا دموعاً تتحجر دراري في الافق او تفيض ندى على الاعشاب حولي .

انتم لا تشعرون بهذا لانكم جماعة والجماعة قوة مهما تضاءلت افرادها واما انا فواحد والواحد ضعف مهما تضخمت اجزاؤه ، فالقوة تبعث السرور في النفس على ان الضعف يبعث فيها الالم ، أفلا تشعرون بالآلام تتراءى بين السطور التي يحملها اليكم ، وحي الرافدين ؟ بينما اشعر بالآمال التي تمـلأ صحفكم والتي كنت اجلوها على وجوهكم واجتليها من شمائلكم ايام :

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا ‍ ‍ ‍ بأن نغص فقـال الدهر آمينـا

وليت ايامكم هذه ولياليكم تلك قاصرة على الادب الذاتي الذي

يقف عند الحديث والفكاهة في التنادر والسمر ، ولكنه يتجاوز ذواتكم الى الامة التي انتم مسئولون عنها قبل كل فرد من ابنائها ، أفليست أقلامكم مشحوذة للنضال في سبيل الحق ؟ أو ليس عملكم الذي تنشدون من ورائه بلغة العيش وسمو المنزلة في المجتمع ، هو في صميم تفكيركم الحر وتسجيلكم هذه الافكار التي تستهدفون بها اصلاح المجتمع ؟ ؟

اذن ، فانتم قادة الفكر في الامة ، وعلى اقلامكم يعول الشعب في تحرره ونهوضه ، واليكم تشخص الامة في وجه ما يدهمها من عدوان ، فلا تحسبوا ان الادب ألهية تقف بالاديب عند الطرافة فيما يتصور او يصور ، ولكنه وحي يتنزل على الاديب ثم يتحول الى مهنة يخدم بها المجتمع الذي هو فرد منه ، كمهنة الطبيب والمعلم والقاضي وغيرهم من بناة الامة ، ولعل الاديب مسؤول اول اذ تؤهله الطبيعة لان يرشد قبل المجتمع ، واما غيره من ذوي المهن الحرة فيؤهله المجتمع قبل الطبيعة .

على ان الامم الراقية اليوم يرجعون في تأجيل ذوي المهن الى الطبيعة قبل ان ينتظموا في سلك الدراسة التي تفضي بهم الى تلك المهن ، فيتخيرون لكل مهنة من يميل اليها بطبعه وهو تلميذ ليتلقاها من استاذه كانه يستلهمها وحياً من الطبيعة ، وفي هذا ما يبرهن لنا على ان الادب الذي هو طبع قبل ان يكون تطبعاً ، يفضل غيره من المهن اذ يعمد الاديب الى استخدامه بين يدي عالمه الانساني .

فليست اسرتكم اسرة ادب وحسب ، ولكنكم الى ذلك ، بناة امة وقادة شعوب . هذا اذا لم نعتبر الادب في حدود البناء والقيادة ، لان

كثيراً من فقهاء الحياة يقصرون الادب على الحلية والعرض ويستخفون به في معرض الجوهر من كيان الحياة، اما الفكر الصحيح من بناة الحضارة الجديدة فيجعلون الادب في طليعة العوامل التي تتقوم بها المدنية وينسبون الاستخفاف به الى السخف ممن جهله او عري منه ٠

وليس لي في ختام هذه الكلمة ، مناص من ان اعترف بحقيقـة تمس الادب في صميمه ، ولعل وحي الرافدين من اجدر المؤلفات الحديثة في تدوين هذه الحقيقة والنداء عليها في سجل الخلود ، لان مؤلفه ينشد الحقيقة في بحثه ويخلص في الكشف عنها والدعوة اليها ٠

اما هذه الحقيقة فهي الخدمة الصحيحة التي يسديهـا آل شرف الدين للعروبة والاسلام في الآونة الاخيرة التي تلت ثورة العروبة على هذا الصنف من الناس وكانت هذه الاسرة هدف تلك الثورة الهوجاء ، فلا انكر اني جرت على هذه الاسرة بما نقمت ، كما اعترف انها لم تقم اذ ذاك بمـا يجب عليها تجاه المجتمع فنقدي كان صحيحاً الى حد وجائراً الى حـد ، اذ كانت منزلة عميد هذه الاسرة في جبل عامل آنذاك اسمى من منزلته اليوم وكان عمله دون عمله الآن ٠

لقد كان العلامة شرف الدين ، حفظ الله مهجته قاصرا في عمله، ايام كان يهمين بسلطانه على الجبل كله ، كان قاصرا على بضع مؤلفات لا ترجح منزلته في ميزان الحق ، اما اليوم فهو يخدم الدين والعلم والسياسة والادب في كثير من اعماله ، فهو مؤسس النادي الجعفري الذي يشتمل عـلى الوف ممن يتلقون وعظه وارشاده من عـلى منبره اكثر ايام السنة ، وهو مؤسس المدرسة

الجعفرية للبنين التي تخرج على رأس كل سنة طائفة من شبابنا المثقف بالعلوم والاخلاق والتي ضربت الرقم القياسي في مدارس لبنان اجمع ، وهو مؤسس المدرسة الجعفرية للبنات حتى اضطر لان يتخلى لهن عن منزله الخاص به ويسكن منزلا لا يتفق وكرامته في شعبه ، وهو مؤسس الميتم الجعفري الحديث الذي نرجوان يصل بنا الى حياة كنا ولا نزال في امس الحاجات اليها .

وهذه اشباله في جبل عامل وعلى رأسهم الشاب المهذب السيد جعفر مدير المدرسة الجعفرية وصاحب مجلة المعهد الحديثة ، وفي العراق وعلى رأسهم الصديق الحبيب ابو مصطفى مؤسس جريدة الساعة وصاحب الآيات البينات في روائع قلمه التي يطالعنا بها غداة كل يوم وفيها سمات من طابع الحق القائم على ادمغة اجداده المشرعين ، واقلام آبائه في العلوم والآداب .

ان اسرتكم اليوم يا اخي هي الاسرة التي نبني عليها بيت مجدنا ، ولعلها الدعامة الاولى لهذا البيت ، ولعلنا نزداد بكم عزا ومنعة ، أفلستم ، من صلب هاشم ؟ او ليست هاشم هي الاسرة التي لا يزال العالم باسره يتمتع بالمدنية المنبثقة عن فجرها الضاحك ايام كان العالم مظلم الافق عابس الوجه تحت ظلام الوحشية في الانسان الجاهل ؟

فانهض يا اخي ، ان الحمل ثقيل ، وان بني هاشم اخلق الناس بان يتحسسوا منه ويتحملوا عبئه ، فهم حملة الكتاب وحفظة الدين وهم ورثة الانبياء وعليهم تقع التبعة اولا ثم على الامة باسرها آخر الامر .

في منزل :

عبد النبي الدهوي

السيد عبد الرزاق شكاره

الاستاذ طاهر القيسي

الاستاذ علي رأفت

الاستاذ خليل اسماعيل

السيد حسن السهيل

حقاً لقد كانت ساعات ثلاث ضج فيها ندي ابي عبد العزيز بالحوار العلمي الفلسفي ، ويكاد هـذا الحوار يجول في دائرة العمل الذي يضطلع بعبئه السيدان شكاره رئيس بلدية المدينـة والاستاذ طاهر القيسي محافظ لواء كربلاء ، ولكم كنت حريصاً على ان اجتمع بهذين العاملين ولم استطع ان اتغلب على الوقت القاهر الذي يحول بيني وبينهما حتى كان منزل ابي عبد العزيز جامعة لنا ، وهنا يتجلى فضل السخاء في الولائم …

كان الحديث بيني وبينك ايها الطاهر القيسي اذ لمست منك حب الادب واهله وشعرت ، حين قدمني اليك صاحب المنزل ، انك كنت تتوقع مثل هذا التعارف ، لذلك بدأت الحديث معك لانك كنت في طريقك الى كربلاء مقر عملك الجديد ، وكنت انا عائداً منها في طريقي الى لبنان ، فالالم الذي ربته في نفسي ايام ثلاثة كنت فيها ضيفاً على هذه المدينـة ، تضاعف حتى كدت الفظ معه كبدي مدادا على طرسي ، ولكني اذ رأيتك وقرأت على جبينك الصلت وديباجتك الحية ، آية رائعة من الخلق العربي تبشرنا بالعمل الصالح مكلوءاً من نشاطك وجهادك ، تحسست اذ ذاك من الالم الضاغط

صدري فاذا به يتجزويستحيل الى امل عذب .

لو لم تكن عزيزاً على الحق لما كنت قوياً ولو لم تكن قوياً لما عهد اليك الحق بولاية مصر يستلزم اصلاحه القوة الخارقة في رجال الامة الابرار ، فكربلاء القديمة بكل ما تشتمل عليه من دين وتمدين ، وكربلاء المتردية في اعمق هوة من العمران المتداعي ، وكربلاء التي هي محجة ستين مليوناً من العالم عربياً وعجمياً ، وكربلاء ذات التاريخ الابلج ومهبط ارواح الشهداء القديسيين ، ومأوى رفاة سيد شباب اهل الجنة وريحانة الرسول ، هذه المدينة الحافلة بالامجاد تستدعي اليوم اقوى الولاة قلباً وقالباً ليقوم على اصلاحها ، وها قد رأيت يقيني قويا في ان تكون ذاك الرجل الذي يخلف في اصلاحه العمراني من تقدمه من الولاة امثال صالح جبر ، وجعفر حمندي ، وزكي الخياط ولطفي علي .

كربلاء يا اخي مفتقرة الى حاكم يحسن التصرف في اصلاحها ، فشوارعها تستغيث ، وبيوتها تستغيث ، وطرقها المتصلة بها تستغيث ، وحتى الحدائق والبساتين الغاصة بالمستنقعات تستغيث بمن ينظم الشوارع وينظف البيوت ويعبد الطرق وينسق الحدائق ويجفف البساتين .

ان كربلاء ، لو انصف العراق ، مرآته الاولى دون بغداد لان من يحج الى كربلاء لا يتعرف على بغداد ولا يقصدها ، واذا مر بها فمكره غير مختار ان الهندي والفارسي والافغاني والصيني والتركي والروسي وحتى الاميركي والسكسوني اذا وردوا العراق فليزوروا آثارها فقط لا ليقتبسوا من مدنيتها ، وهل في العراق اثر اقدم واروع وادعى لرغبة الزائر من آثار كربلاء والنجف

إذن فعلى العراق ان يحمل همه في صقل هذه المرآة ليرى الزائر في وجهها الشعب العراقي ويتحسس من قيمته الاجتماعية في حفظ التاريخ ، وهمــه هذا منوط بك يا طاهر لانك انت اليوم رسول البرلمان العراقي لاصلاح كربلاء والنجف وتأهيلها لاظهار العراق بمظهر العز والكرامة امام الاجنبي الزائر ·

واما انت ، عبد الرزاق ! فقد راعني منك اشراق الطلعة التي توحي الى الشاعر كثيراً من معاني الحياة ، سبحان الله ، أكل من ينتمي الى هــذه الاسرة الماجدة من آل شكارة، العريقة في هاشميتها ، يعتنق الصباحة في وجهه والفصاحة على لسانه والسماحة بين يديه ؟

لقد رأيتك صبوحا فصيحاً سمحاً اذ طلعت علينا في ثوي ابي عبد العزيز فاذهلتنا عما كنا فيه من حوار ، وقلتُ : هــذا يكون السيد عبد الرزاق شكارة ، اما كونك شكارة فلان طلعتــك تحكي طلعة السيد ضياء والسيد جعفر شكاره ، واما انك السيد عبد الرزاق فلعلمي بان دارك قريبة من دار السيد الدهوي صاحب الوليمة · ولقد صدقت فراستي اذ صافحتني وجرى التعارف بيننا وابديت اسفك على ان لم يسبق تعارفنا هذا الزمن ·

ولقــد كان النقاش حاداً في المجلس اذ وجهت حديثي للاستاذ القيسي حول اصلاح كربلاء والنجف والشكل الذي ينبغي ان تقوم عليه هندسة البناء والشوارع واذ عارضني السيد الدهوي بقوله : هبنا بنينا مدينة على هذا الشكل فمن اين لنا اناس يحسنون السكنى بها ؟ أفلا ترى ان المدينة تعود بهم الى ما كانت عليه من الانحطاط ؟؟ » فاجبته : عــلى المصلح ان يتخير المثل العليا في الحياة وليس عليه ان يضمن بقاءها لان المفروض في المثل العليا ان

تبقى وتخلد ، فاذا تسرب في الحيـاة فساد كان ناشئاً عن تقهقرنا في الاصلاح وتنكرنا للمثل العليا .

واوضح من ذلك : انه يجب علينا ان نطبع العقل على المدنية السامية ليرقى اليها لا ان نكيف المدنية بمـا يتفق والعقل ، فنعمد الى الاصلاح في العراق ، مثلا ، فنجعل هندسة الشوارع في بغداد ارقى منها في الموصل لان عقل البغدادي ارقى من عقل الموصلي ، فقـد رأيت ، وانا اطوف اميركا الشمالية ، ان الهندسة التي تتقوم بها شوارع نيويورك هي عـين الهندسة التي يتقوم الشارع الرئيسي بها من كل قرية مهما حقرت ، حتى ان بعض مراسلي الصحف الاوربية مر ببلدة واحدة من الولايات المتحدة ودرس النظم العمرانية من شكلها ثم طبقه في رسائله الى صحيفته على كل بلد .

واذا عمدنا الى كل بلد فطبعناه بعمرانه على عقول اهله كنا نعمل عـلى تجميد هذه العقول وحلنا بذلك دون التطور المفروض في المدنية من عال الى اعلى ، فعلينا اذن ان نسن القانون اسمى ما يفرضه العقل السامي ثم نحكم على المجتمع ان يتقيد به ونعاقب عـلى الخروج عنه والتنظيم العمراني مأخوذ في مفهوم الدستور الشامل للامة ثم ان تعهد هذا التنظيم بالاصلاح هو من صلب القانون ، فليس لنا ان نسن تنظيم الشوارع والنظافة في البيوت ثم نغفل عمن يحدث خللا في بناء داره او اغفال النظافة فيهـا ، ضرورة ان من اعقب ولدا او غرس شجرا كان عليه قبل التصميم على هذا العمل ان يقرر في نفسه حفظ الولد والشجر من الخلل ، كيلا يكون سفيها فيما يعمل .

لقد كنت انت اول من وافق على هـذا الحكم اذ قلت : نعم يجب

علينا ان نطبق المجتمع على المدنية التي توجبها الحضارة السامية لا ان نتمشى بالمدنية على حكم العقل الراهن في المجتمع اذ ربما كان هـذا العقل في حاجة ملحة للتمدين » ثم انبرى للمصادقة على قولك الاستاذ علي رأفت واما السيد اسماعيل فكان الى جانب الدهوي اذ قال : وكيف لنا بالمجتمع الذى يسكن لندن ان عمدنا الى خلق لندن في وطننا ؟؟ فاجابه السيد رأفت : ان هذا مما يقف بنا ويحول دون تقدمنا في الحياة ، فما الذي يمنعنا من ان نسكن قصور لندن والتوجيه الثقافي بين اظهرنا ؟ أفكان سكان لنـدن بشراً ونحن لم نكن بشرا ؟؟ إنهم وايانا من هذا النوع نوع الانسان ولكنهم سبقونا الى الحضارة اليوم كما سبقناهم بالامس وها قـد عاد الزمن الى سيرته فاعاد لنا حضارتنا فما يمنعنا من ان نكون واياهم في مجتمع واحـد من الحضارة والرقي ??? .

ذلك هو النقاش الطريف الذي دار حول اصلاح المجتمع بين هذه الفئة الصالحة من رجال العراق في منزل اخي العزيز السيد عبد النبي الدهوي ، فعسى ان تكون مجالس الامة قاصرة على التفكير الحافل بالعلوم والفنون لتتحول مجالسنا الى مدارس وعسى ان نوفق برسل اجتماعيين يحجون رسائلهم مما يدور في المحافل والاندية ليسدوا بهـا الى الشعب يدا بيضاء تنير امامهم السبيل الى الحياة .

في منزل السيد محمد صادق :

الصدر

عضو محكمة التمييز الجعفرية في بغداد

اول ما يطالعك ، وانت تجوز الردهـة الى الثوي ، مشجب تتدلى منه العصي ومن ورائها مرآة تريك نفسك قبل ان تفجأ برعشة النـادي لتكون على بصيرة من امرك وانك مطمئن الى شكلك المهذب .

كأن هذه العصي نذير لك ان لا تدخل غير حذر اذ دخل قبلك من يجب ان تتجمل قبل دخولك عليه ، وان ما يلزمك لتفقد شخصك هو هذه المرآة فتعهد كيانك بها ، فوضع المشجب على الباب والمرآة في قلبه لهذه الحكمة.

كنت اذ أقف امام تلك المرآة فاتعهد زينتي وزيي بما يعوزهما من كمال، كنت اسمع دوي السامرين في الثوي كانما اجوز اليهم ساباط مدينة كالقاهرة ودهليز قصر كقصر سافوواي ، وكنت ، وانا مطمئن الى اني واحـد من السمار ، استشعر الرهبة عندما اطل على الجلوس وهم ثابتون في مقاعـدهم الفخمة والثوي محتشد بهم على طول مداه وجلالة روعته .

واول ما يأخذ عيني بالرهبة صدر المجلس وقد تميز فيه واستقل عليـه سيد مل. شخصه هيبة ووقار وبين عينيه لمحات من عظمة النبوة وعلى فمـه بسمات من فجر الرسالة ، ذلك هو السيد علي الصدر نجل الامام المقدس السيد

حسن صدر الدين صاحب « الشيعة وفنون الاسلام » .

كان يطالعني من هذا المجلس وجوه غر المح فيها ابداً مــا رأيت ، سمات تُشرق عينيّ بالابتسام ، وجوها يطفح عليها الادب ، ويجول في قسماتها الفن ، فمن آل الصدر بين هاد ومهدي الى آل يس فآل الدجيلي فاسرة الساعة الغراء وكل من هؤلاء محبب الى النفس قريب من القلب ، ويكاد الجدل والحوار يقيمنا ويقعدنا كأنا في عكاظ اقيمت معرضاً للفنون او مربدا للعلوم .

تلك هي لياليك يا ابا جعفر افتعذرني ان قلت لك لم اجد مثلك شخصاً جمع بين جمال الخلق وجمال الخلق الى جمال المكان وجمال الكائن ؟ نعم ان مكانك لجميل بجلاله وان زوارك لأجمل منه بما ينطوي فيهم من ادب وعلم، وانك انت لأجمل من كل ذلك اذ كنت السبب في تزاوج هذه البدع من انواع الجمال وحشدها كونا يتدافع في افق واحد ..

ما اروع الكاظمية بلياليها وأروع ما في هــذه الليالي روائع الادب الفياض من هذه الدواوين وفي الطليعة منها ديوانك اذ يجمع بين طرفي الشباب والشيوخ ادباء وحكماء وسياسيين ، بينما نجد غيره من الدواوين قاصرا على فئة واحدة من الناس .

عزيزي ابا جعفر .

لقد رأيتك تحب الكمال في كل شي وتفتش به اينما عــثرت عليه لذلك كنت على منصته او قريباً منه ،ولو كان في حوزتك لكنت كاملا ولكنك لا تدعي العصمة وهل يظفر بالكمال غير معصوم ، فليس منا من يحب النقص او يتنكر للكمال ، ولكن المذاهب شتى في نشدان الكمال وتحامي النقص

اما انت فقد نشدت الكمال في شيئين اولهما تأنقك في اختيار الموضوع السامي لقلمك الا وهو « علي بن ابي طالب » وثانيهما حرصك على ان تظهر في الناس بالمظهر الذي يغبطك عليه كل متأنق ينشد الجمال شكلا وعقلا .

دفعك الى الاول وفاؤك لمجدك واخلاصك للحق الذي يستهدفه قلم الكاتب الحر ، وفكر الشاعر الملهم ، ورأي الحكيم المصلح ، ودفعك الى الثاني انا اصبحنا في زمن لا يفقه اهله معنى الرجولة الا فيمن يكذب عليهم انه غني عنهم وساخر منهم ، فالمجتمع كالمرأة انما يستعبده القوي فيستخذي له ويركع بين يديه ، من اجل ذلك كان الحريص منا على رضا المجتمع عنه واحتفائه به ، مكرها بطبعه على ان يتعفف ويتجمل ويتحبب ، وبذلك يتغلب على الطبع ويظفر بالامنية التي تدفعه الانسانية الى الحرص عليها ، ولم يخطىء الطريق اليها غير الشاعر الذي يابى ان يكون الا كما خلق فهو يتحبب الى من احب ويتنكر لمن انكر ، ان جاع تضور وان عري تلفع فلا يطمئن الى حياة يتظاهر معها بالشبع ويتجمل بكساء غيره ليحمل الناس على احترامه .

والقرآن اذ يقول :

« ويحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف » فانما يعني الفئة التي تترفع عن التهافت في سبيل الحياة الدنيا ، وليس هؤلاء ممن يتحاملون على انفسهم كيلا ينسبوا الى الفقر او الجهل ، فالتعفف شيء وتظاهر الانسان بما ليس فيه شيء آخر ، اما انت فمن اولئك المحببين الى الله لاني رأيت حياتك تزيد على الراتب الذي تتقاضاه ومظهرك لا يتفق ودخلك .

لقد كنا نسمع ان آباءنا لم يغفلوا عن مثل هذه المجالس اذ كانوا يعقدونها في بيوت الاعيان من علماء وزعماء ، على ان الشعب كان يتعهدها بماله ويغذيها بعواطفه ، لان البيت الذي يتسع للجماعات يجب ان يعنى بـه المجتمع وان يكون مكلوءاً ممن يغشونه صباح مساء ثم لا يبخل عليهم بطعام او شراب او منام فهل يفطن الشعب اليوم الى مثل ذلك ؟؟

ان الزعماء والعلماء عندنا لا تزال بيوتهم تتغذى من دماء الشعب ولا ترى هذه البيوت مدارس يتخرج منها العارفون الاهم الا النادر ، وقد ترى بيوت كثير من الزعماء هي الى المواخير اقرب منها الى الدواوين الحافلة باعيان الادب والعلم ثم نجد الامة شاخصة اليها تغذيها بالمال والعواطف ولا نجد غير الشاعر البائس يتحسس من شقاء الامة بهذه البيوت وعنائها تحت عبء الظلم العائذ باكناف تلك البيوت .

فالامة اشقى ما تكون وهي مبتلاة باناس خولهم الظلم والهضم رقابها وساعدهم الدهر عليها ثم ظاهرتهم الحكومات من وراء ذلك فكانت الامة البائسة نهباً مقسما بين زعماء يستعبدونها وهم عبيد الشهوات ، وبين حكومات تنبثق عن هذا الصنف البغيض الى الحق ، فاذا وطأت قدماك احد هذه المواخير التي يطلقون عليهـا اسم النادي او الديوان او البهو رأيت في الصدر منهـا اشرار الخلق يقتلون الزمن بالعبث من القول والفعل الشائن بينما يجدون انفسهم في أمس الحاجات الى الزمن الذي يتسع لاشباع امتهم من الجوع المحدق بهم وتأمينهم من الخوف المطبق عليهم .

ان الامة العربية جمعاء واخصها الطائفة الشيعية لا تزال تئن تحت هـذا

الكابوس ثم لا يشعر بانينها الا الشعراء وليس في طوق هؤلاء ان ينقذوها ما دام السلطان في ايدي اولئك الطغمة وما دامت الامة ترسف في قيود الذل والعبودية ، وما دام الجهل يعمي بصائرها عن ان تتبين منفذاً الى النور ، ثم اذا رفع الشاعر عبقريته داعياً الى الحق عمد هؤلاء الى التنكيل به وسلطوا عليه الشعب الذي يدافع عنه بقلمه ولسانه فكان ضحية شعوره بآلام امته وجهل تلك الامة تضحيته بين يدي تلك الالام .

فهل تتنبه العناصر الحية من الحكومة والشعب في ايامنا هذه التي رفعت ستار الجهالة شيئاً ما عن اعين الشعوب وبدأ الصبح يكشف لها عن مخزون الحياة ، هل يتنبهون الى التمييز بين الرجل الذي ينشىء في بيته ديواناًيتخرج عليه اعلام ادب وحياة فيعملون على ترقية نوعهم وتمدينه ثم الصعود به الى عالم الملكوت ، وبين من ينشىء في بيته ماخوراً يتخرج عليه لصوص خونة مارقون فيعملون على كبت الانسانية وتردي ابنائها في هوة سحيقة من الشقاء والبؤس ثم الانحدار بهم الى عالم الحيوان المسخر ؟؟

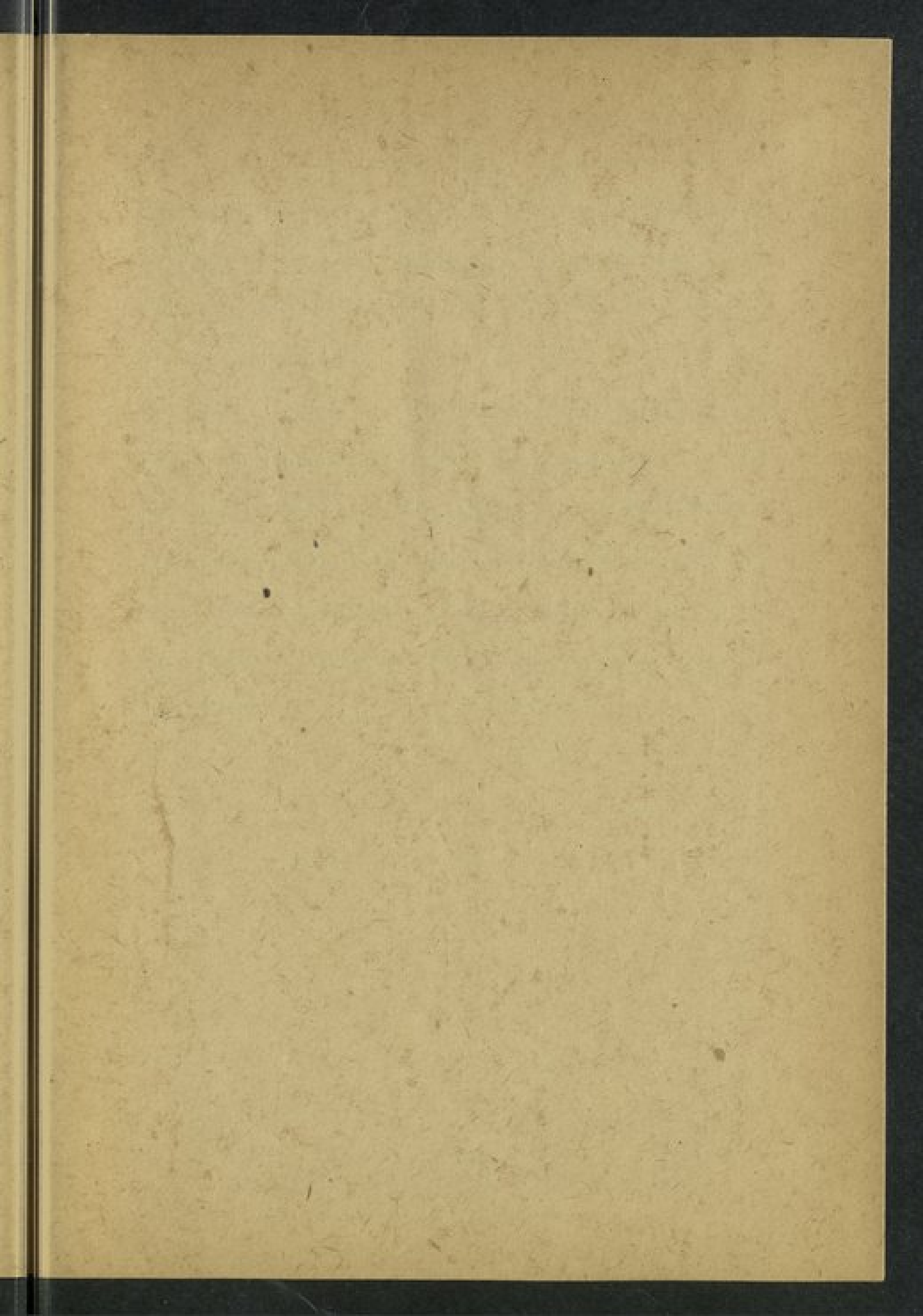
هل تتنبه الحكومات والشعوب الى مثل ذلك فيأخذوا بناصر الرجل الحي الخالد امثالكم ممن ينشؤون الدواوين لتغذية النفوس بحياة العلم والادب والدين ويخففوا عنه من عبء الحياة الشاقة ويعززوا النبل المتأصل في نفسه ليستمر في السير على نهجه ويؤدي رسالته كاملة غير منقوصة ؟

ان هذا التنبه لما يعوز الامة اليوم اذ هي في حاجة لان تفتح معهداً في كل بيت ، فيجب ان يكون الشارع مدرسة والبيت مدرسة والمقهى مدرسة والجامع مدرسة ، وعلى الحكومة تقع تبعة ذلك كله لانها المسؤول الاول عن

ان يكون رب البيت معلما وصاحب المقهى استاذاً وامـام المسجد مشرعاً وحكيما ، فما ينقص هؤلاء من ضروريات الحياة فعلى الحكومة ان تتلافى هذا النقص ، وعلى الحكومة ان تقفل باب كل من ينصب نفسه زعـيما او مصلحاً وفي بيته مسبة الامة وكل مخدع فيه وكر الزنابير

عزيزي ابا جعفر !

ارجو ان تساعدوني جميعاً على معالجة هذه الادواء التي تنوء الامة تحتها والتي هي الداء العضال المالك على الشعب العربي جميع جهاته فلا يبصر الواحد منا طريقه الى الحياة ، انت والله سيد وابن سادة ، ينميك الى جدك المصلح الاعظم صلاح وهديُ وفضيلة متعك الله بها ولما تزل ترفل في نعيم شبابك وقلما نجد الشاب مثلك في حلة سابغة من العفاف والتقوى ثم نراه بعد ذلك صاحب ديوان يتبارى فيه اعيان الادباء والعلماء ، انا لشديدو الحاجـة الى مثلك عمر الله بيتك ابدياً ٠



في منزل ابي محمد

الحاج عبد الله

الحاج عبد الله عبد الوهاب عميد جمعية منتدى النشر في الكاظمية

وهكذا ننجرّ مع الحكم الذي وثقنا بـه اذ نحسب اننا اغبياء في معرض التحليل ، هذا ابو محمد الحاج عبدالله عبـد الوهاب الكاظمي صاحب المصنع الفخم للدقيق ، يبيت ليله ارقا يتململ حتى الصباح يوم لا يجد في منزله ضيوفا ، لا ضيفا ، يبشرونه بمجلس ينعقد في ثوية مساء ذلك اليوم .

اما اذا كانت ضيوفه من عامة الناس واغنيائهم كانت ليلته اشد سوادا وامض ارقا واكثر تململا من الليلة التي يبيتها وحيدا ، وهو في المكانة الوسطى من اولي الثقافة ، ويكاد يكون تاجراً صرفا ، فلماذا اذن يقصر همه على مجالسة ذوي الادب والعلم ؟؟ ولماذا يضع كل ما يملك بين يدي هـذا الصنف من الناس ؟؟ ولماذا يجعل ديدنه تفقد المؤسسات العلمية والدينية ، وتعهدها بجل ما يملك من وقت او مال ؟؟ .

ماذا اسجل لك يا ابا محمد ؟؟ وماذا نشدتَ من وراء تلك الليالي البيض التي كنت تبحث الشوارع في بغداد والكاظميـة لتعثر باديب او شاعر او عالم يتذوق طعامك ، وشرابك ثم لا تتركه يبرح حتى يبارك فراشك باحلامه الهادئة ونومه الهنيء ، على ان يكون هذا كله مقدمات لسمر حافل بالادب

والفن يتحدث اليك به او تتحدث انت في هذا السمر الى اولئك الاعلام ساعات تتفتح عليكم بها السماء وتلفظ دراريها بين ايديكم جزافا ؟ .

اية لياليّ عندك اذكر بالشكر؟ الليالي اللاتي جمعتني بالاحبة من اعضاء منتدى النشر القائم على يديك وفيه مآت من النشء ينهل العلوم ويعل الآداب ؟ من لي بان اقطع ايامي بين هؤلاء الخيرة من قومي وقومك وفيهم امثال الشيخ المظفر والسيد مرتضى والحاج صادق :؟ أهؤلاء وانت منهم، اناس في شكل ملائك ام ملائك في شكل اناس ؟ .

لعل الله يمسك السماء والارض ان تزولا بفئة قليلة من البشر انتم منهم ايها الرهط الصالح ، وتالله مـا ذكرت حفلاتكم الساهرة او الضاحية في معهدكم وبيوتكم ثم جهادكم في سبيل امتكم ، وخدمتكم الميمونة ، وسعيكم المتواصل ، ما ذكرت شيئاً من هذا الا وكدت الفظ نفسي حنقاً على الدهر أن يهيء لي ما هيأ لكم من شرف الدنيا والآخرة .

ماذا يا ابا محمد ؟ ؟

أهنا لك اشرف من ان تغادر عملك اصيل كل يوم الى مدرسة كنت انت واخوانك السبب في وجودها من العدم فتستمعون الى فلذ الاكباد ترتل آي الذكر الحكيم وتتبارى بالخطب والاناشيد وفي كل ذلك تعود بكم الى ايام ازدهار العراق بنهضة آبائكم الاول ، ثم اذا غادرتم هذا المعهد فالى مجلس ليلي في دارك او دار احد زملائك تتبادلون الرأي وتتشاورون في تعزيز المعهد وتنظيمه وتغذيته بمالكم بل بدموعكم ودمائكم؟ ماذا؟؟ أهنالك اشرف واقرب الى الله واحفل بالعز من هذا في العالم ؟؟ .

أفأنسى يا اخي ؟ وماذا ينسيني تلك الليالي التي كنت تهرع اليها او تهرع اليك بها فنعقد الجلسة حول الموائد مستديرة ومستطيلة، للطعام والشراب والتسامر والتنادر ، وبيننا الواحي يحمل فنون مصر وبيروت والقدس وبغداد وسائر العالم ونحن في هذا الافق الضيق بين جدران بيتك الرحب الذي يسع العالم ... ؟

أينسيني هذا زمن او مكان او عمل ؟ وكيف وهذه وجوه عصبة « الساعة » من شرف الدين الى مروة الى الصفواني الى مغنية ، وكلهم شاعر واديب وعالم ومفكر فماذا اطلب من الزيوت والالوان والالواح اكثر من هؤلاء لارسم صورة تبقى على الدهر خالدة بين جنبي ؟؟ .

ايها الصديق الوفي كن مطمئناً الى ان خطتك هذه بين عملك الصالح في منتدى النشر الذي تغذي به عاطفتك الدينية فترضي الحق الذي هداك الى العمل الصالح ، وبين عملك الادبي في مجالسك الليلية التي تجمع لها اعيان الادب والفن لتغذي بمنظومهم ومنثورهم عاطفتك الادبية ، كن مطمئناً الى ان عملك هذا هو اشرف عمل لم يهتد اليه الا القليل من هؤلاء الناس الذين يريدون حصر العلم وفقه الحياة في اشخاصهم وهم دونك في هذا كله .

وان من يتسنى له ان يحيا في هذه الدنيا حياتين دينية ومدنية ثم يتقاعس عن الخوض فيها والانغماس الى اذنيه ، انه لا يملك مسكة من عقل ، ولا يحرز لمحة من فكر ، فالى الله ابعث بقولي إذ أبسط هذه الرسالة اليك ، وبين يدي الحق اقول واؤمن في التقرير ان عملك هذا هو العمل الذي يفتش عنه حكماء القرون التي انبتت امثال سقراط وافلاطون وارسطو ، فتباروا في

ينشدان السعادة عن طريق يصل المرء به الى الله فما اهتدوا وانحـدروا عن المرتبة التي خص الله بها الانبياء والرسل دونهم .

اما انت فكنت من هؤلاء الذين يتأثرون خطى الانبيـاء في حياتهم فيعملون جاهدين للحصول على المـال حتى اذا احرزوه جلسوا وعقولهم بين ايديهم يختطون لانفسهم الخطط المثلى التي ينفقون بها ذلك المال ، فاذا بهم يسيرون هداة الى الحق ، واذا باموالهم لاتتسرب الا الى الحق ، واذا بيوتهم لايفتحونها الا في سبيل الحق .

دعني اكثر من غبطتك فيما رأيتك تفعل ، فمن احب قوماً اشركه الله في عملهم ، وقد احببتكم والله يا بُناة « المنتدى » لقد احببتكم وغبطتكم وتمنيت لو اني منكم او أن لدي مسكة من مال تبلغني المنزلة التي بلغتموها فهل تسمعون لي كلمة واحدة اقضي بها حقي واراني بعدها مرتاحاً الى ضميري؟

ان عملكم هذا قيم جداً وانه لعمل يستهدفه كل حر مخلص لدينه ودنياه، وهو الغاية التي يرمي اليها الرجل الاول في الحياة ، على ان تضمنوا سير هـذا العمل واتقانه في ضمان خلوده ، وكلمة الامام : قيمة كل امرىء ما يحسن ، تأخذ في مفهومها احسان العمل ولن يكون العمل حسنا حتى يتصف بالحق واذا كان تحت رعاية الحق لايزول اثره من العالم ، فانظروا الى اخوانكم اركان المدرسة الجعفرية ، فان مشروعهم مازال يمشي اعرج حتى نهضوا به من جديد فاصبح الان او اوشك ان يمشي على اربع ارجل ولكن مشية الانسان .

ونظرة خاطفة نرجع بها الى ماضي العراق المجيد نجد ان كل عمـل من نوع عملكم كان يقوم على هذه الضمانة اي ضمانة البقاء وما هي عناصر هذه

الضمانة ؟ انهـا الوقف ٠٠ فيجمل بكم ان تجمعوا مالا وتشتروا بالمال املاكا وعقارا ثم تقفوها على مشروعكم ، واذا استطعتم ان تطبقوا على كل متمول منكم بطريق الحق فتقنعوه بان يتنازل عن شيء مما يملك ، والاملاك عندكم لا يحصرها فكر ، وما لكوها خليقون بالهبات اذا تعهدتموهم بالسياسة الحسنة القائمة على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ٠

هكذا تستطيعون ان تخلدوا مشروعكم وان تخلدوا معه الى الابد ، فهل تتقبلون هذه الكلمة الخالصة من اخيكم المخلص الغيور على عملكم غيرتكم عليه ؟ اما اذا قنعتم بان تفرضوا عـلى انفسكم شيئاً من المال تجمعونه على رأس كل شهر احسانا وتبرعا بما لا يزيد على اجر المكان والمعلم حتى اذا مللتم او مل بعضكم او مات البعض الآخر ، وكل قـديم مملول ، وكل حي هالك ، وقف اذ ذاك مشروعكم وكان عملكم ناقصا ٠

ثم لا ينبغي لكم ان تجعلوا الاتكال عمدة للتأسيس فان الله لم يسن لكم العمل حتى قرنه بالجهاد ، ولم يفرض عليكم الجهاد حتى وهبكم القوة ثم عصمها بالعقل من ان تجور ، فليس لكم من وراء هـذا كله ان تهملوا القوة والعقل ثم تعتصموا بالاتكال على الله ، فالاتكال عليه هو استخدام السلاح الذي حصنكم به في السبيل التي دعاكم اليها ، فاذا اهملتم هـذا السلاح واتكلتم عليه كنتم ابعد الناس عنه واجدر الناس بنقمته عليكم اذ اعطاكم فبخلتم وقواكم فاظهرتم الضعف وهيـأ لكم اسباب النشاط فاتخذتم الكسل جنة تتقون بها الجهاد والتضحية في سبيل الحق ٠

ما اراني مخطئا ان قلت : ان كل عمل من هذا النوع يستدعي التفكير

في عقباه قبل البدء به ، فاذا لم يؤمن مؤسسه بقاءه على الايام مهما تنكرت له ، فخليق بهذا العمل ان لا يكون ، وخليق بمؤسسه ان لا يحفل به كيلا يحبط عمله ويكون الاخفاق طريقه الى الخمول الدائم ، لان مرارة الاخفاق في منتصف الطريق اشد مضاضة على الرجل العامل الحر من احجامه عن الشروع بالعمل اذا لم يضمن بقاءه .

اقول ذلك بعد ان وقعت فيما أحذر منه غيري ، فلقد اسست جمعية ومدرسة في بيروت منذ ثماني سنوات او تزيد ، وكان جل همنا ان يقوم العمل لنري الناس قيامه دون ان نفكر ببقائه والمصدر الذي يصدر عنه الانفاق عليه ، حتى اذا قام العمل وظهر اثره للعيان فاستغرق تأسيسه كل ما توفر لدينا خلال سنتين ولبثنا نتكل على الله في استمرار العمل ، غير انا لم نكن نفكر بكنه التوكل والسبب الذي من اجله هبط علينا العقل فكانت نفقات المدرسة فوق دخل التبرعات لذلك ضاعفنا جهودنا كثيرا حتى استطعنا القيام بتسيير المشروع على قدر ما نستطيع بحيث لو مرض احدنا او مل او مات لتوقف ، وها قد مضى على عملنا ثماني سنوات ونحن كحمير الحجارة من المقلع الى البناء ومن البناء الى المقلع ، واذا كان البناء لايتناهى فالحمير وقطع الاحجار يجب ان يستمرا في الجهاد .

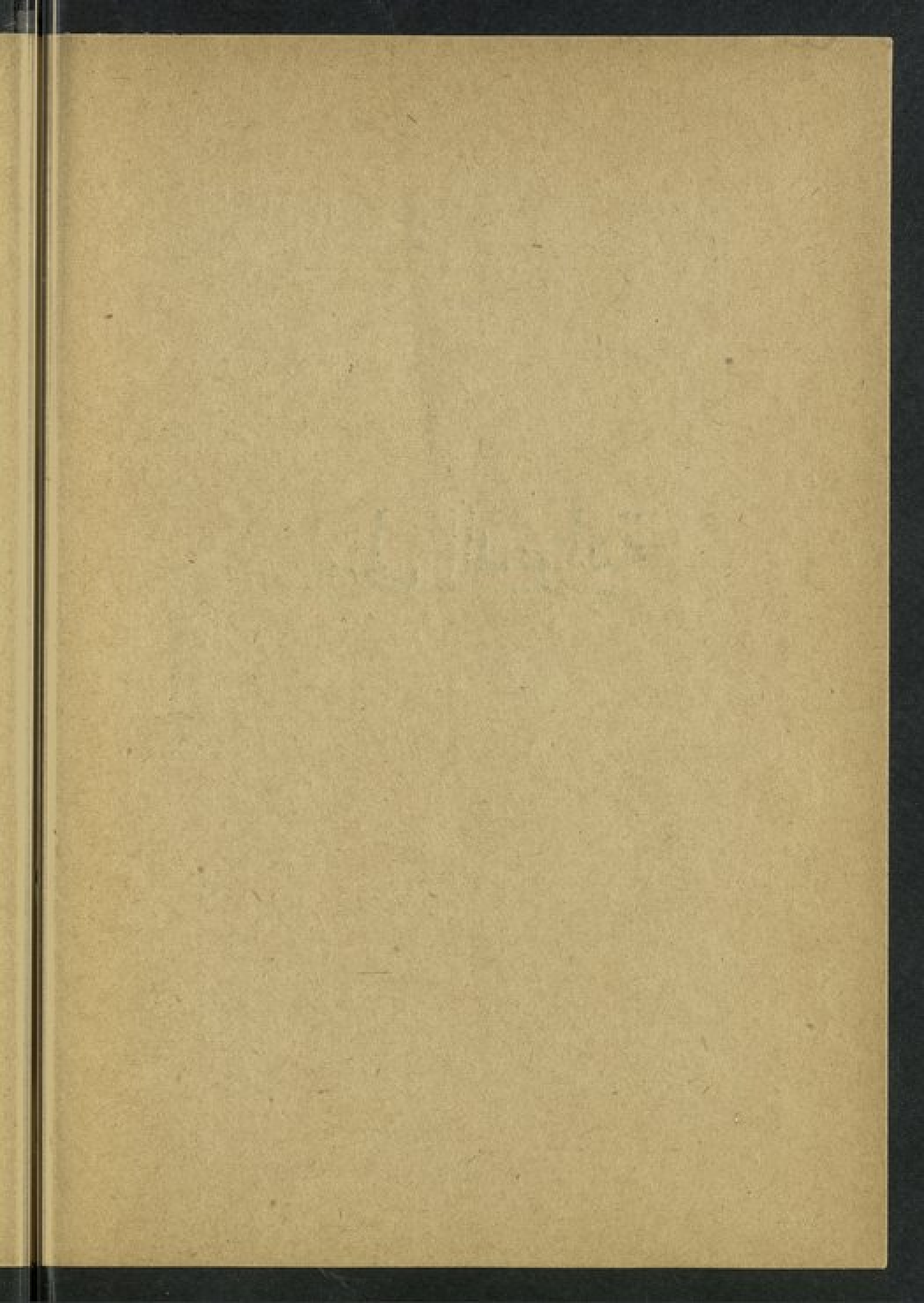
وبعد ان ذقنا مرارة هذه العقبى لم يعد في طوقنا التفكير لان تفكيرنا محصور في تسيير المشروع شهريا فلم يعد لدينا قوة على التفكير في بقائه ، ولقد اصبح المشروع عتيقا لا هم للناس في التفكير بخلوده الا ان يكون جديدا ، فقد كان علينا قبل ان نشرع ، مواصلة التفكير في كيفية البقاء

بان تنشيء له ميزانية ونقيس ما يتوفر لدينا من المورد على ما يجب انفاقــه لندخر ، ونحن نعمل ، شيئا من قوانا ، نستطيع ان ننفذ بهذا الشيء الى ضمان بقائــه .

فعسى ان يتنبه اخواني في الكاظمية لهذا الامر ويعملوا منــذ الآن على تعزيز هذا المشروع وتغذيته باموال تؤسس له ملكاً لا يبلى ويكون ريــع هذا الملك غذاء ابديا له ، ثم ينصرفون بعد ذلك الى التوجيه العلمي الاخلاقي في الناشئة التي يبذلون قواهم في سبيل اصلاحها .

واراك انت يا ابا محمد عاملا اول في العناية بما الفتك اليه لاني لمست بين جنبيك ، على هدوئك ، روحا وثابة وقلباً صامداً ورأياً حصيفاً ، ولعلي بعد زمن قريب اعود اليكم ونجدد العهد بلياليــنا البيض التي لا تزال تسطع اضواؤها في سماء نفسي ، ولا ازال ارجو الله ان يهيء لي عودا حميداً اليكم .

ليالى الديوانية



في منزل :

عبد الحمزة نصر الله

مدير مكتبة الاشارد في الديوانية واحد وجهائها وصاحب الفكرة القائلة « ليس للصداقـة وطن غير القلوب الحرة »

اخي عبد الحمزة :

كان لي في منزلك الميمون خفقات رجعت بها الى عهد « العروبة » الاول ايام كنت اصدرها وانا طائش ، ذكرت ان اسمك كان يمر بي آنذاك لكن بماذا وعلى اي شكل ؟ وطفقت اغمض عيني وافتحها على اسمك وجسمك اما هذا فلم اتوفق الى ذكرى شهوده من قبل ولكن اسمك بقي يجول في خاطري حتى ذكرت اني كنت استعرض اسماء المشتركين في العروبة واحيانا اكتب بيدي عناوينهم فاذا مر بي عنوانك راعني بطوله وعرضه ورحت أتساءل ونفسي :

هل للاسم صلة بالمسمى ؟ ام هو قاصر في امتداده وتقلصه ، وفي علوه وانحداره، وفي روعته وابتذاله،على ذوق المسمى ؟ لا اكتم عنك اني كنت استثقل طول اسمك وعرضه « الاستاذ عبدالحمزة نصرالله » فكنت انسخه احيانا على غلاف المجلة حيث اكون هادىء العصب ، اما في حالة التوتر النفسي فكنت أكل نسخه الى غيري واتعداه ولعلي أغفله فلا يصلك ذلك الجزء من مجلة العروبة وبعد زمن اتلقى منك اعلانا بعدم وصوله ورجاء باستمرار

ارسال الصحيفة فارى من خلال الفاظك ما يشفع في جهامة ذلك الاسم واعود فاتابع ارسال العروبة واجعل التبعة في اختلال البريد على اسمك لا جسمك .

ذكرت جيدا انك كنت من انصار العروبة في القراءة والحرص على وصولها اليك فقط . واما البدل المادي فلم ار له وجها منك ولا من غيرك في العراق وسوريا طوال ثلاث سنوات ، والخطأ في ذلك لا ينالك ولكن ينالني انا المهمل الطائش اذ كان المال وفيراً لدي وكنت اتثاقل من تنظيم الادارة واترفع عن ان اطلب الى احد بدل ما يقرأ من مجلتي ، من اجل هذا لم يمر بي اربع سنين حتى كنت في عالم الافلاس .

لقد كنت ارعن اذ حسبت ان الصحافة وقف على العبث والمجون والخلاعة فجعلت ديدني ان اتنادر في العبث بين لحى العلماء وشوارب الزعماء وتركت الحق من وراء ذلك مطويا في بطون التاريخ ، حقا لقد كنت ارعن اذ عولت في صحافتي على مثل هذه السفاسف واغفلت الحقيقة فضحيت بكثير من نشاطي الوثاب في سبيل العبث والهزء بينما الامة في امس الحاجات الى مثل هذا النشاط وتلك الثورة الصاخبة .

عزيزي ابا هند :

لا اخفي عنك اني اكبرت اسمك اذ رأيت جسمك وعلمت ان السر في التسمية يعود الى الولد لا الوالد ، وانما يستلهم الاب فيوحى اليه بما يتفق والمولود ، ولقد رأيت فيك من الحمزة الاول بسطة الجسم وجرأة القلب وعلو الهمة ، ومن هاشمية الحمزة لمست فيك سخاء اليد وكرم الطبع وطموح النفس ، ثم رأيت عليك من سمات النصر انك زعيم مكتب الارشاد

الذي يحمل على جدره وابوابه وفوق سمكه اعلام النصر الخفاقة ترفرف عليك .

على اني لست مدفوعاً لان اكتب اليك بشيء من هذا كله ولكن الفكر يشطح احيانا كما يشطح القلم . أفليس ذلك ملهم هذا ، أوَ ليس بين الملهم والملهم صلة ما بين المعطي والآخذ ؟ اذن فهما مشتركان فيما كان وما يكون .

ان الذي دفعني لان اكتب اليك على صفحات وحي الرافدين هو شذوذ المجتمع الذي يفجع الحق حينا بعد حين ثم لا يشعر بهذه الفجيعة الا الفئة القليلة من الناس ، الا وهي الفئة الموصوفة بالادب في عصر تتسم الاحرار فيه بياسم العبودية والرق بين يدي زعانف عهدت اليهم الامة بالحكم وهم عمي الابصار عمه البصائر .

ساعتين اضعتها الى جنبك في حديقة البلدية كاشفا وكتبها ما يطبخه المجتمع عندكم لتغذية الادمغة والقلوب في زمن نضجت فيه الافكار ولما يزل تفكيرنا ، نحن العرب ، اعجر يحبس مذاقه الالسن ويقبض الحلاقم فاذا بي امام أناس اطغاهم حب التقليد الاعمى حتى لبسوا جلود القنافذ يحسبون انها فرو السنجاب ، وحتى اكلوا رؤوس الشياطين يحسبون انها ثمر الاناناس ، وشربوا دم الخنافس يحسبون انه الخمر ، تشبها باناس لم يلبسو الفرو حتى اصطادوه ولا أكلوا الثمر حتى غرسوه ثم لم يشربوا الخمر حتى احكموا عصره وتخميره ، اما نحن يا أخي فنريد أن نلبس ونأكل ونشرب من وراء عقول اخنى عليها العفن ، والسنة اسف بها النفاق والتدليس ، وقلوب طغى

عليها الكبر واماتها الصلف .

لقد عرفت شخصك صبيحة يوم كانت الديوانية تضطرب باهلها فلا ترى الافئدة تتهامس ، واخرى تتباشر بالمستقبل ، ونفر ينشر الزينة في الاسواق وآخر يكثر من التساؤل وقد كنت انا من هؤلاء ، مشدوه العقل اتطلع الى ما شغل الناس فنشطوا للاحتفاء به حتى لا ارى الا راكضاً ، او مهرولا ، ثم اسمع جلاوزة الشرطه يذيعون نبأ الخروج من بغداد فملأ الهتاف واستكت المسامع بالتصفيق ممن يسمع في الطرق وعلى الارصفة وفي المتاجر .

قلت : انه الملك او الوصي يغادر بغداد الى الديوانيـة ، وهي فرصة ثمينة اشهد معها استقبال الملوك ، ثم يشتد اللغط وتكثر الضوضاء ويسود الهرج وتذاع الانباء ساعة بعد ساعة ثم دقيقة بعـد دقيقة ، ورسل المجتمع تتوالى على مركز البريد لاستيحاء الهاتف واذاعة النبأ : ها هم دخلوا الحلة الفيحاء وكان لهم على المحطة استقبال رائع من اركان الحكومة ووجـوه المدينة ، ها هم يخرجون منها ، ها هو القطار يجتاز كذا ، وها هو يدخل كذا ... الى غير ذلك من المواعيد التي تغذي المهرجان القائم في كل سوق ولدى كل منزل .

لم يخالجني شـك في ان الزائر ملك او وصي ملك واذا كان رئيس حكومة فالاهتمام الذي اراه فوق الحكومات اذ رأيت الاطفـال تتأهب والحيوانات تُدفع من الطرق ويحجر على اهلها ان ترسل ، وابواب المتـاجر تقفل والدوائر الحكومية تغلق والشرطة تعنى بالنظام والتنظيف وتحـذير الناس من الغوغاء . واعداد الحديقة الكبرى في المدينة بانواع الزينة من اقواس النخيل واصص الازاهر ومصابيح الكهرباء .

وعلى الساعة السابعة من امسية ذلك النهار اعلن وصول الوفـد ودقت اجراس البشائر في القلوب فاذا به « جوق النابغة الفنانة في الغنـاء والرقص الآنسة »زهور حسين« تزور الديوانية لاحياء ليلة تغذي بها الارواح وتنعم العقول بما تذيعه من لحن عربي وبما تعرضـه من اجساد نواعم على مرأى ومسمع من رجال الحكومة واعيان الشعب .

حسبنا اسمع وحسبنا ارى ، ان في ذلك لدليـلا على ما للفن من قيمة في مجتمع العراق المحبوب ، وفي ذلك برهان على ما اثبته من الجزء الاول من ان العراق الى الفن اقرب منه الى العلم ، وقـد كنت اسمع بنبوغ الآنسة زهور حسين وسمعت بعض الحانها من المذياع فطربت لفتنة في صوتها ووثبـة في حنجرتها تهز المشاعر ، ولقد حان لي الان ان اسمعها وانا ارى شخصها ثم استزيد من طرائق اللحن الذي يتسع لها افق فنها .

وكان لنا ساعتان ونحن معاً جنباً الى جنب استعرض فيهما اجساداً عارية الا ما عصم الحياء التقليدي ، تنعكس عليها اشعة الكهرباء الملونة في حديقة تكاد تمتاز بسعة الافق وجمال الزهر وروعة النظام ، وكان الى يساري نفر ساهمٌ في مقاعده الوثيرة تكاد الخيلاء تضرب حوله نطاقاً من سلطان فرعون وثروة قارون ، فلا يعيرون المجتمع لحظاً ولا يتكلمون الا همساً ، اما عيونهم فشاخصة الى متون الرواقص العارية وارادفها المتحركة وشعورها المنسابة واما الهمس فاطراء الفن تتخلله انفاس تلهب الافق .

سألتك : من هؤلاء فقلت لي : انهم رجـال الحكومة ... ثم سألتني وقد برمتُ بما أرى واسمع : كيف ترى ؟ فقلت لك : تتفضـل علي كثيراً ان

مهدت لي الخروج وتكون اكبر في نفسي ان صحبتني الى مبيتي . ثم نخرج واصحبت طوال الطريق وأمنى بالارق سواد تلك الليلة ، اما ان اشرح لك ماذا كنت افكر وماذا كنت استلهم بعد تلك الليلة حتى ساعتي هذه ، فذلك ما ليس في وسع القلم ان يشرح وهو تحت مجهر الفكر عريض الافق ...

اخي صاحب الارشاد

ليس الفن هو المعبود ولكنه طريق الى عبادة الفنان ، وليس الفنان هو هذا الذي يغني او يعزف او يشعر او يرسم ، ولكنه الآلة التي تكتنه بها الروح الحساسة اسرار الفن المخزون في قلب الطبيعة ، فالمعبود هو ذلك الخازن وهو الباعث الاول للفن في قلب الوجود الازلي ثم تعكسه الطبيعة على الواح الشعور الحساسة في جزئيات الانسان المنبثة في الكون منبثقة عن مصدرها الأول .

ولقد كنت معي ليلة التطريب في ان شيئاً مما سمعت أو رأيت لم يهزز مشاعرك ، اذن فلماذا زلزلت الارض وقامت قيامة الناس وضجوا الى الحق في ان يهون عليهم يوم الحساب بين يدي عبقرية الفن ؟ فما يصنعون لو زارتهم ام كلثوم وفي زمن لم تقفل لندن وباريس وبرلين وموسكو ابواب الملاهي والمواخير فيه عن عبث ؟ بينما نرى مصر وبيروت وبغداد تضيق دور الملاهي والفسق فيها عن جماهير المجتمع الحافل بالثروة والشباب والبطالة ويكاد انين العالم تحت كابوس الحرب المهلكة يقلب وجه الكون .

ولقد سمعت ان تخمة المال في لواء الديوانية ادت الى ان ينفق احد الشيوخ على عرس قام في اهله ، ثلاثين الفاً من الدنانير ، وفي مكان آخر حملت هذه

التخمة اناساً من ابناء المثرين على ان يفصّلوا للرواقص اثواباً من اوراق النقد بينما يجدون صباح كل يوم ومساءه على ابوابهم من العفاة من يسألهم فلساً واحداً يسد به رمقه .. افكانت الحياة هي هذه التي نسمع ونرى ونحن نعقل ونفكر ؟ ام هي عبر يعظنا بها الدهر ثم يدخرها حجة علينا يوم ندعي بلوغنا المنزلة التي تؤهلنا لان نحمل اعباء الحياة ونضطلع بها على ضوء الحرية وتحت سماء الاستقلال ؟

وبعد فلقد وضعتُ دعوتك لي اخيراً في المكان الذي وضعت به اكرامك لي من قبل ، في عالم نفسي غير مادي ، وكلما فتحت مغلق الفكر واطللت من شرفة النفس على بيتك المتواضع الذي مر بي فيه زمن قصير كنت معه حبيس غرفة تكاد تضيق بجثماني ولكن افقها الرحب يتسع لحياتي كلها ، أفما كنت انت ذلك السمير الحبيب وكانت عزيزتي هند تلك العصفورة التي تغرد لنا تحت المراوح الكهربائية المرفهة عنا حرارة الصيف ؟ ؟

ما ذكرت تلك الساعات التي مرت بنا تحت سماء الديوانية ، وجمال حديثك يوحي الي كثيراً من امجاد العروبة وتاريخ العراق الحافل بالعز ، ما ذكرت ذلك الا ورأيتني اهم بالشخوص اليك واود لو كان لي اجنحة ستة تخف بي وتساعدني على السرعة اليك لعلنا نعود الى تلك الذكرى الجميلة ، وننزل ثانية تلك المنازل على ضفاف الفرات والشمس تصبغ بالوان الشفق رؤس النخيل الشاخصة الى الافق المهيمن على الارض .

ان ايامي عندك لجميلة ، واجمل منها هذه الذكريات التي تبعثها في نفسي يوماً بعد يوم فاراني معك دائماً واراك بذلك الفم المحشو من لآلىء المجد

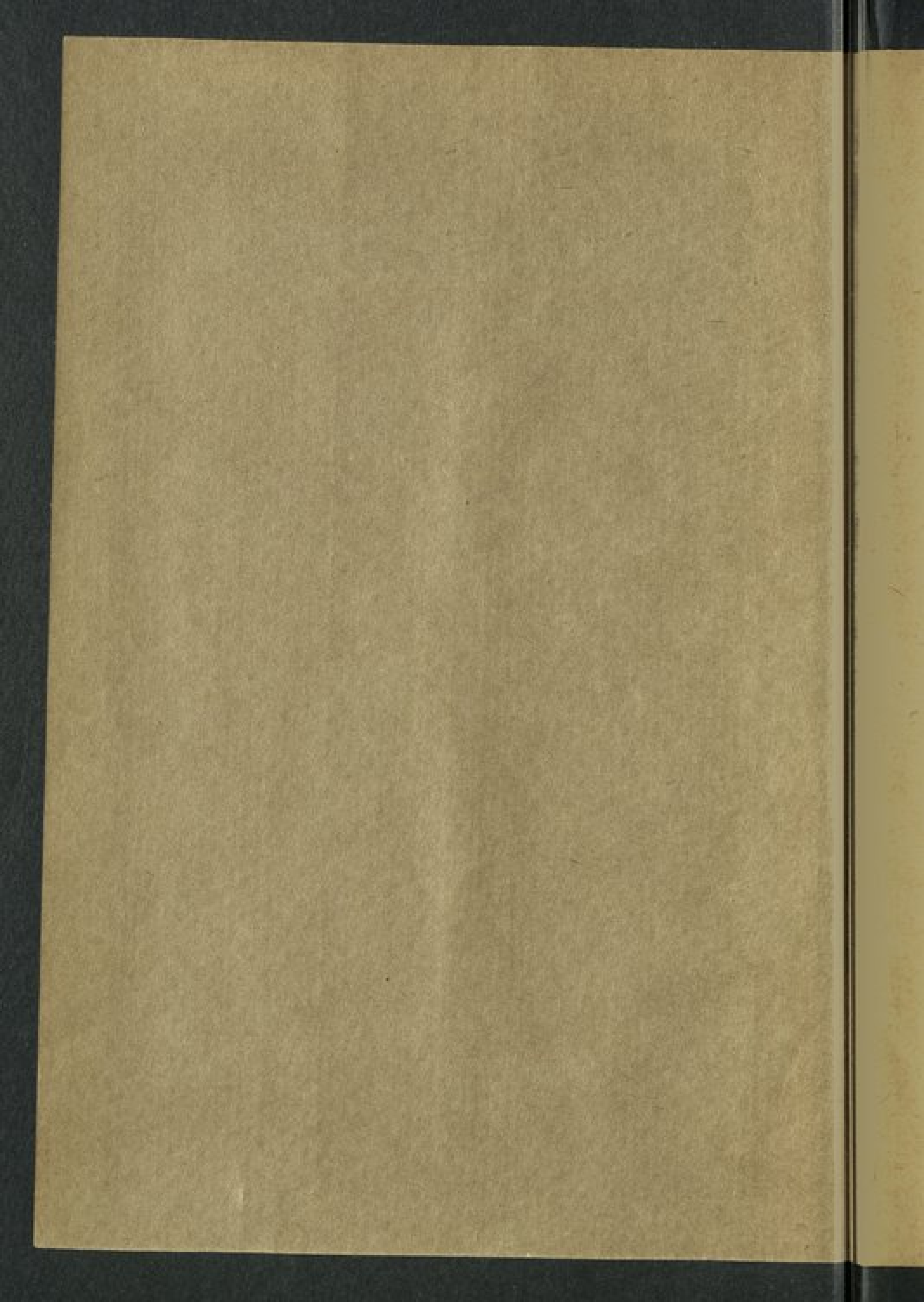
تتهلل للضيف ، ويجلو عليها الغريب جمال وطنه ، والبائس فجر سعادته ، فهل نعود الى جمال الفرات وجلاله ! وهل نذكر تلك الساعة في حدائق الديوانية الرحبة مرة اخرى ؟؟ ان الزمان لضنين ولكن الذكرى رحبة الافق وحنين الاحبة سمح الاخلاق ، فالى اللقاء !!!

انتهى طبع هذا الكتاب على

مطابع الكشّاف

في : ٦ تموز سنة ١٩٤٥

ويليه الجزء الثالث



DATE DUE

